

نسخة معدلة قابلة للطباعة

هدية مقدمة من قبل Bassim KH للاخ علي عمر بدوي

حبا ووفاء

دكتور

محمود سعيد عمران

استاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

معيد كلية الآداب جامعة بيروت العربية سابقا

حائز على جائزة التميز العلمي لجامعة الإسكندرية

# منهج البحث التاريخي ومصادر العصور الوسطى



## الفصل الأول

### منهج البحث التاريخي

#### مقدمة

١ - مدخل إلى البحث العلمي التاريخي

- مفهوم التاريخ

- الصفات الواجب توافرها في المؤرخ

- العلم والفن في التاريخ

٢ - المراحل الأولى للبحث التاريخي (العلوم المساعدة)

اللغات

علم المكتبات (البيلوجرافيا)

الأختام

الرنوك

الاقتصاد

النقود والمسكوكات

الفنون (الآداب - النحت - التصوير)

العمارة والتّرحال والجغرافيا

الحاسب الآلي

عوامل نجاح الرسالة

## ٢- جمع المادة التاريخية

تعريف المراجع

تعريف المصادر

المفهوم الفكري لجمع المادة التاريخية

كيفية جمع المادة التاريخية

تحليل المادة التاريخية

الحواشي

الصور والرسومات والخرائط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

لاحظت أن معظم طلاب مرحلة الليسانس أو مرحلة الدراسات العليا سواء لإعداد الماجستير أو الدكتوراه لا يدركون تماماً المنهج التاريخي الصحيح، لذلك تأتي أبحاثهم بنتائج غير كاملة ويعتريها الكثير من القصور، لذلك فكرت في إعداد كتاب قدر استطاعتي وبعد خبرتي الطويلة في العمل الجامعي ليكون مرشداً للطلاب.

والحقيقة أن هذا الكتاب لم يأت من فراغ فهو ناتج عن اتصالات عديدة مع أساتذتي أو زملائي أو طلابي في مصر والعالم العربي حيث أعرت لجامعة بيروت العربية مرتان عملت في الأخيرة منها عميداً لكلية الآداب بذات الجامعة، يضاف إلى ذلك المؤتمرات العديدة التي حضرتها في مصر والعالم العربي وكذلك المؤتمرات الدولية التي حضرتها في معظم بلاد أوربا ونشرت أبحاثي في مجلدات هذه المؤتمرات فضلاً عن الاتصال المباشر مع معظم المتخصصين في فروع العصور الوسطى المعروفين عالمياً ومنهم على سبيل المثال ستيفن رانسمان، ميشيل بالارد، جونشان رايلي سميث، فرانكو، بيتر إديوري، هانز ماير، مارجو جامعة بيزا، جارسيا في أسبانيا، جيل كونستابل (دامبرتون أوك بيبير) وغيرهم الكثير.

وراقع الحال أن البحث العلمي هو القيمة المضافة للعادة، ومعنى ذلك، أن العالم الكيميائي مثلاً يأتي ببعض المواد الكيميائية ويضعها بنسب معينة فيكون الناتج دواء معين يشفي المريض. أو أن باحث في العلوم الالكترونية يأتي ببعض المواد الخام من الحديد والنحاس والبلاستيك وغير ذلك ثم تكون النتيجة في النهاية جهازاً محمولاً مثلاً، ومعنى ذلك أن المادة الخام المستخدمة في جهاز المحمول لا يتعدى ثمنها عشرة أو عشرين جنيهاً، ولكن الجهاز في

لا يوجد مصدر واحد يقدم كل الأحداث،  
ولا يوجد مصدر واحد يقدم الحقيقة كلها،  
وعلى المؤرخ البحث عن الحقيقة في كافة  
المصادر. إن البحث العلمى هو القيمة  
الوصفية والفكرية والفلسفية المضافة إلى  
المادة التاريخية.

دكتور محمود سعيد عمران



قهيبة يصادف مثلث الحبيبات - وبذلك تكون القبيبة الفكرية التي وضعت في  
القول العام هي التي وادت من لبنة المادة الخام.

ومن يتعلق بالبحث العلمي التاريخي فهو يصادف القبيبة العلمية  
المطابقة للمادة التاريخية الأصلية التي جمعها الباحث من بطون المصادر  
والبحث العلمي التاريخي لا يتوقف على المصادر فقط ولكن هناك عوامل  
أخرى يجب أن يتسلح بها الباحث التاريخي حتى يتمكن من الوصول إلى  
أفضل النتائج التي تعتبر قسرة مناسبة من الزمن - فلا يوجه في العلم شئ  
فأنت - فالنظرية البحتة.

ومعنى القبيبة المطابقة أن على الباحث أن يجمع كل المصادر الخاصة  
بموضوع دراسته وأن يطلع على كل المراجع الحديثة ويجمع منها كل ما يتعلق  
بموضوعه من أفكار ونتائج - وبذلك تصح الأمور واضحة أمامه - ثم عليه بعد  
ذلك أن يضيف إلى بحثه ما لم يرد في المراجع السابقة من أفكار ونتائج.

ولكن كتابة التاريخ استعمالات فكرية ومادية - والفكرية تتعلق بالمفرد  
وتعلمه ودراساته واستعمالاته وملاكاته وإحصائياته وغير ذلك من الأمور التي  
يجعل منه مؤرخاً - لأن التاريخ لا يكتب اعتباطاً وليس كل من كتب في التاريخ  
صار مؤرخاً - فبوسع أي إنسان أن يطلق على نفسه مؤرخاً - ولكن الصواب هو  
أن يقوم بعمل علمي جاد له أصول وقواعد ويخضع للمنهج العلمي السليم  
أما إذا رأى فيه كل أركان البحث العلمي - حتى يستحق أن يطلق عليه لقب  
المؤرخ - ولا يمكن أن يكون هناك المؤرخ الشامل لكل العصور - فلكل عصر  
أدواته ومصادره - فمن المستحيل أن يدرس المؤرخ مصادر كل العصور وأن يلم  
بخصائص كل مرحلة على حدة حتى يكون له رؤية تاريخية لأحداث مرحلة من  
مراحل التاريخ - فمن الأفضل أن يتخصص المؤرخ في مرحلة من التاريخ حتى  
يستطيع أن يتعمق فيها وأن يقدم لها رؤيته التاريخية.

فلذلك أمة تاريخها وكذلك لكل دولة بل لكل إقليم - وقد وصل الأمر أن

أصبح لكل مدينة ولكل جماعة أو لكل قبيلة أو لكل أسرة تاريخها - ومن  
محصور هذا كله يكون تاريخ مرحلة من مراحل التاريخ - ومن محصور هذا كله  
يكون التاريخ - وهو ما لا يقدر عليه فرد.

أما المخراب للمادة التي يحتاجها المؤرخ فهي المراجع والمصادر - وقد بدأت  
بالمراجع لأن فيها خسارة المؤرخين السابقين في المراجع التي يقدون عليها الباحث  
بحرارة - ويؤمن الرجوع إلى هذه المراجع بمعنى الباحث أن يبدأ من الصغر وهذا  
ليس من التقية للباحث - لأن على الباحث أن يبدأ من حيث انتهى الآخرون حتى  
يستطيع أن يضيف إليهم - وهذا أتوقف لإيضاح أن على الباحث أن يقرأ المراجع  
القديمة - الحديثة - فليس من المعقول أن يخضع الباحث على مراجع قديمة وأفكار  
عفا عليها الزمن - إنما المطلوب أن يطلع الباحث على أقدم وأحدث المراجع وما  
سجل فيها من - - - - - ومثال إلى ذلك أن الباحث إذا كانت أحداث مراجعه تعود  
إلى عام ١٩٦٠م وهو يكتب في عام ٢٠٠٥م فمعنى ذلك أنه لمجاهل كل الأفكار  
التي وردت في المراجع التي تلت عام ١٩٦٠م وبذلك يكون البحث ناقصاً  
ولكن الإضافة التي قدمها الباحث غير ذات جدوى - فربما وردت في مراجع  
سابقة.

أما المصادر فهي كل ما سجل أيام الأحداث أو بعدها بوقت مناسب سواء  
أكانت وثائق أو مخطوطات أو كتب تاريخية أو أدبية أو آثار وكل ما فيه من  
مادة تاريخية تفيد الباحث - والمادة التاريخية تنقسم إلى حواشي متعددة فمنها  
السياسة أو العسكرية أو الدبلوماسية أو الحضارية وغير ذلك وسوف نتناول  
ذلك بالتفصيل في الصفحات التالية.

لقد بدأ الشعوب التاريخية منذ أن تعلم البشر الكتابة - وبدأ تدوين  
الشعوب يرتبط بمعرفة الأقوام بالكتابة - ويمكن القول أن من بدأ في تعلم  
الكتابة هم رجال الدين - سواء كان رجال الدين هؤلاء تدوين لأديان بوضعية أي  
الأديان الوثنية أو الأديان السماوية مثل اليهودية والمسيحية والإسلام.

## ١ - مدخل إلى البحث العلمي التاريخي

مفهوم التاريخ  
الصلات الواجب توافرها في المؤرخ  
العلم والفن في التاريخ

التاريخية تأتي مع المعلومات التاريخية السليمة التي حصل عليها، أما الخيال العلمي فهو نقطة في غاية الأهمية ولا ينبغي تجاهلها. ومثال ذلك أننا نأتي بالمادة التاريخية من مصادرها سواء عربية أم أجنبية ثم نقارنها ببعضها البعض وتستخلص النتائج، وهنا يقع في خطأ كبير واضح، لأن ما سجل في المصادر لم يكن معلوماً لدى القادة السياسيين أو العسكريين الذي اتخذوا القرار، وهذا يجب على الباحث أن يعود بذاكرته إلى الأحداث ويعيش زمنها بكل ما فيها من عادات وتقاليد وسلاح وقدرات الحاكم أو القائد وغير ذلك حتى يعيش الحقبة الزمنية التي يكتب عنها، ومحدثه هذه الحقبة بما فيها من أسرار ليضيفه إلى المادة التاريخية حتى يصبح ما يكتبه تاريخاً حياً ينبض بحياة العصر الذي يتحدث عنه.

ويجب أن يتحلى المؤرخ بالصبر، فطريق البحث العلمي شاق وطويل وبه الكثير من المصاعب، فالباحث عن أحدث المراجع والمصادر المناسبة يحتاج إلى أموال ويبحث دؤوب، وعليه أن يجول المكتبات العامة والخاصة ليحصل عليها، وعليه أيضاً أن يتعرف على دور النشر المحلية والعالمية المتخصصة في نشر الكتب المتصلة بموضوع بحثه ليطالع على كل ما ينشر حول موضوع دراسته، وربما يكون ذلك مكلفاً من الجانب المادي، ولكن الشبكة العالمية «الإنترنت» قد سهلت هذا الأمر كثيراً، وهي مليئة بالمواقع التاريخية والأبحاث الحديثة المتعلقة بكل جوانب البحوث ومنها البحوث التاريخية وسكن الحصول على كل ذلك بمبالغ زهيدة.

وبما يجب أن يتحلى به المؤرخ عدم التحيز، وكما هو معروف أن المؤرخ باحث عرقي، فإن التحيز سوف يخرج المؤرخ عن الحقيقة، والمقصود بالتحيز هو - الميل إلى طرف على حساب طرف آخر، ومثال على ذلك فإذا كان المؤرخ يكتب عن مرحلة من مراحل تاريخ الحروب الصليبية ومال إلى المسلمين ضد الصليبيين، فهذا يكون المؤرخ قد خان أمانة العلم وقدم بحثاً بنتائج خاطئة، ولم يخدم القضية الوطنية أو القومية لأن نتائج البحث سوف تسقط



وبلاحظ أن التاريخ بدأ بتدوين أحداث فردية أو ترجمة لنظم أو تحليلدا  
لأثر بطل أو تدوين أحداث خاصة بديته، ثم إلى تاريخ عام يشمل دولة أو  
إقليميا. وقد كتب ذلك كله على صورة يوميات أو حوليات، ومع ذلك كله  
فالشخصية المعنوية في هذا كله هي شخصية الحاكم. أما الشعوب وتاريخها  
مثل أحوالها الاقتصادية أو الاجتماعية أو غير ذلك، فقد تأتي عرضاً بين  
السطور، ولعل المقصود بكتابة التاريخ في هذه المرحلة كان تشييف العامة  
وإطلاعهم على المعطيات والمسير من خلال هذا العرض للأحداث، وأود هنا أن  
أوضح أن ما سبق يطلق على التدوين التاريخي وهو لا يزيد أن يكون مادة  
للتاريخ، أما كتابة التاريخ أو التأريخ فهي الاستعانة بهذه النصوص وتبويبها  
وتفسيرها وتحليلها وتقديمها في صورة أقرب إلى الحقيقة للقارئ.

وما لا شك فيه أن المدونات التاريخية هي وعاء لكل الخبرات البشرية وكل  
العلوم السابقة، فالذي يريد أن يطلع على حضارة أي دولة أو أمة عليه أن  
يتنب في بطون المصادر ليتعرف على تطور العمارة في مرحلة ما أو التطور  
اقتصادي، أو التطور الاجتماعي، أو تطور العلوم الطبية أو الهندسية وغير  
ذلك.

### مفهوم التاريخ :

يقول ابن خلدون في الكتاب الأول من المقدمة «إعلم أنه لما كانت حقيقة  
التاريخ أنه خبر عن الإجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض  
لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنيس والعصبية وأصناف  
التفليات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها  
وما ينتعله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعايش والعلوم والصنائع  
وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعة الأحوال».

ومعنى ذلك كما يرى معظم المؤرخين أن للتاريخ معان كثيرة، فالبعض  
يري أنه يضم كل المعلومات التي يمكن معرفتها «جغرافية العالم»، لأن علم  
الجغرافيا له دخل كبير في معظم الحوادث فهو يؤثر عليها، ومن ذلك تأثير  
الطبوغرافيا على كل حوادث المعارك سواء صيفاً أم شتاء، كذلك الصراع بين  
الأمم على المعادن التي في باطن الأرض مثل البترول أو الألماس أو اليورانيوم  
وغير ذلك من المعادن الهامة.

ويرى بعض المؤرخين أيضاً أن التاريخ هو البحث في حوادث الماضي أي  
كل ما يتعلق بنشاط الإنسان منذ أن وجد على ظهر الأرض وذلك بدراسة آثاره  
المرجوة على الأرض وكتابات المسجلة في بطون المصادر.

ولقد بدأ التاريخ منذ أن سجل الإنسان حوادث زمانه، أما ما قبل ذلك  
فيعتبر من عصور ما قبل التاريخ، والعصر التاريخ هو الذي يبدأ الإنسان فيه  
بتسجيل أحداث عصره، وهكذا حتى نصل إلى الوقت الحاضر. والحقيقة أن  
التاريخ بدأ عندما بدأ الإنسان بروى لأولاده قصص أجداده التي مزجها  
بالأساطير، ولقد بدأ ذلك مع تسجيل الأحداث بالرسم أو النقش على الحجر أو  
الصخر وسار التاريخ يسجل الأسس الهامة في تسجيل موكب البشرية، وهناك  
نقطة هامة أود الإشارة إليها فلا يوجد إنسان أو جماعة أو دولة أو أمة ليس  
لها تاريخ، كما لا يوجد أيضاً علم ليس له تاريخ، ومثال ذلك تاريخ الطب بمعنى



انه إذا ذكرنا جراحة القلب فلها تاريخ متطور حتى وصلنا إلى ما نحن فيه من تقدم بفضل الأجهزة الحديثة. وهكذا يمكن تطبيق ذلك على كل العلوم. وتاريخ العلوم مادة تدرس في جميع جامعات العالم حتى يومنا هذا.

والإنسان دوراً كبيراً في مجريات الأحداث. لأن التاريخ يسير بطريق مباشر على يد الإنسان. ولذلك أصبح الإنسان ابن الماضي. وبذلك أصبح هناك ارتباطاً مباشراً بين حياة الإنسان الحالي وبين الإنسان في الزمن الماضي. لأن الإنسان الحالي يعيش على تراث الماضي سواء كان تراث الأجداد أم تراث الأمم الأخرى. كما أن الإنسان لا يستطيع أن يفهم الحاضر دون أن يفهم الماضي الذي يعيش فيه أو ماضي الشعوب التي حوله. ومن هذه المميزات السابقة يستطيع الإنسان أن يفهم نفسه ويكون قادراً على حسن التصرف في وقته الحاضر ليبنى للأجيال القادمة مستقبلاً أفضل.

وما سبق يتضح أهمية دراسة التاريخ. لأنه بدون دراسة الماضي وما فيه من خبرات. فعلى الإنسان أن يبدأ من الصفر. ولذلك أصبح لا غنى للإنسان عن دراسة التاريخ. لأن في التاريخ عظمت وعبر. ومنه نتعرف مثلاً على الأسباب التي أدت إلى الحروب الصليبية ونشأتها ودوافع الغزو الأوربي في السيطرة على التجارة العالمية التي كان يمر الجزء الأكبر منها عبر مصر والشام مما أدى إلى الكشف الجغرافية التي تحولت بمرجبتها التجارة إلى رأس الرجاء الصالح. وما كان لذلك من نتائج على العالم العربي وأنهيار دولة المماليك. ثم سيطرة الدولة العثمانية وموقف الغرب الأوربي منها. وما ترتب على ذلك من نتائج أدت إلى الاستعمار الأوربي للعالم العربي.

#### صفات المؤرخ:

هناك العديد من الصفات التي يجب أن تتوفر في المؤرخ. وأول هذه الصفات سعة الإطلاع في كافة علوم المعرفة لأن التاريخ ليس بمعزل عن العلوم الأخرى. يضاف إلى ذلك أن على المؤرخ أن يفهم تماماً العصر الذي يدرس

موضوعاً فيه. فإذا كان المؤرخ يدرس في الإمبراطورية البيزنطية. فعليه أولاً أن يقرأ في تاريخ بيزنطة كله. ثم يبدأ في التركيز على العصر الذي سوف يقوم بدراسة بعض جوانبه. ثم يركز ويتعمق في البحث الذي يتولى إعداده.

ومن صفات المؤرخ الأمانة والشجاعة. وفيما يتعلق بالأمانة فعليه إذا نقل مادة تاريخية أن ينقلها بأمانة ولا يحرفها أو يزيد عليها أو ينقصها. ولا يخفي من الأحداث شيئاً حتى لو كان غير راض عنها. ولا ينقل أعمال الآخرين ونسبها إليه. أما الشجاعة فتتجلى في عدم منافقة أصحاب السلطان. والواقع أن لا رقيب على المؤرخ سوى ضميره. ومن يفعل غير ذلك لا يعد مؤرخاً وسوف يقدم نتائج مخالفة للحقيقة. ثم يأتي باحث آخر ويقدم الحقيقة وبذلك تسقط الدراسة غير الملتزمة بالأمانة والشجاعة.

ومن صفات المؤرخ أن تتوافر فيه ملكة النقد. فليس كل ما ورد في المصادر صواباً. وعلى المؤرخ أن يتفحص كل ما يقع تحت يده من أصول وأن يخضعها لكل أنواع النقد والتحليل على ضوء المصادر الأخرى وطبيعة العصر ومنهج البحث العلمي المنزه عن الهوى. وإذا أغفل المؤرخ هذا الجانب سقطت عنه صفة المؤرخ وأصبح مجرد شخص يكتب ما يقع تحت يده. وليس على هذه الحالة يدرس أو يكتب التاريخ. لأن من واجب المؤرخ أن يقدم كل ما أمكن من الحقيقة.

ومن الصفات التي يجب أن يتحلى بها المؤرخ أن يكون ذا عقل راجع منظم. فالنظام وترتيب الحقائق سوف يساعده كثيراً على تحديد العلاقة بين الأسباب والأحداث والنتائج والشخصيات التي لعبت دوراً في الأحداث. والعلاقة بين كل هؤلاء وبين الزمان والمكان. وما حول ذلك من أحداث ولا اختلطت المعلومات ببعضها واضطرت.

وعلى المؤرخ أن يكون ذا حاسة تاريخية وخيال علمي حتى يستطيع أن يفهم دوافع من حركوا الأحداث ولعبوا فيها دوراً كبيراً أم صغيراً. والحاسة



أمام بحث آخر يقدمه مؤرخ معاهد مهيا كانت جنسيته، وسوف يسقط المؤرخ نفسه أمام وسائله المؤرخين، وسوف تسقط أيضاً أبحاثه الأخرى، ومن الصعب جداً أن يستعيد المؤرخ مكانته مرة أخرى.

### العلم والفن في التاريخ :

ليس التاريخ قصة مثل القصص التي تؤلف من نسج خيال الكاتب، بل إنه دراسة علمية على الوثائق والمصادر التاريخية الخاصة بموضوع الدراسة والمراجع العلمية المتعلقة بذات الموضوع، ومن هذه المادة التاريخية وما لدى المؤرخ من علوم مساعدة ومنهج علمي يستطيع الباحث أن يبحث عن الحقيقة الخاصة بالمدة الزمنية التي يدرسها، وواقع الحال أن الحقيقة الكاملة يصعب الوصول إليها، ولكن المؤرخ يحاول قدر الإمكان الاقتراب من الحقيقة كلما أمكن، وهنا نقول أن التاريخ علم.

وراقع الحال أن المادة التاريخية تظل مادة جافة دون روح، وأن الذي يبحث الروح في المادة التاريخية هو الجانب الفني الذي يملكه المؤرخ، والرؤية الفنية للمؤرخ تظهر عند قراءته للتصوير، وعلى المؤرخ أن يعيش عصر هذه التصوير ويتخيل كيف كان يعيش الناس في هذه المرحلة وما هي نظم الحكم وما هي الحياة الاقتصادية وغير ذلك من الأمور التي تجعل المؤرخ يعيش العصر الذي يتحدث عنه، يضاف إلى ذلك أن على المؤرخ أن يدرك كيف كان يتفاوض الناس مع أعدائهم وكيف كانوا يحاربون وما هي الأسلحة التي حاربوا بها وقدرات هذه الأسلحة، والتحصينات التي يواجهها الجيش المهاجم والملابس التي يرتديها المحاربون من الجانبين، والرنوك، وهي الشارات التي يضعها المقاتلون على ملابسهم لتبين المجموعة التي ينتمون إليها ورتبهم. أضف إلى ذلك المناخ وطبوغرافية الأرض، والظروف التي قامت عليها المعركة وغير ذلك من الأمور التي تساعد المؤرخ على أن يكتب تاريخاً تدب فيه الحياة، ومن هنا يمكن القول أن التاريخ علم وفن وأن جانباً واحداً لا يكفي.

## ٢- المراحل الأولى للبحث التاريخي (العلوم المساعدة)

اللغات.  
علم المكتبات (البيبلوجرافيا).  
الاختام.  
الرموز.  
الاقتصاد.  
النقود والمكروكات.  
الفنون، (الأدب، التعت، التصوير).  
العساة والترحال والجغرافيا.  
الحاسب الآلي.  
عوامل نجاح الرسالة.

### اللغات:

نما لاشك فيه لا يوجد علم من العلوم يعتمد على لغة واحدة حتى لو كانت الدراسة تتعلق بالقرآن الكريم، ومثال ذلك أن الباحث يحتاج إلى اللغات لدراسة المناهج المختلفة، يضاف إلى ذلك أن العلوم إذ لم تصل إلى مستوى العالمية لتصبح بحوثاً محلية، وكيف للباحث أن يفتح الآخرين بأبحاثه حتى ولو كانت دينية. كما أن الباحث يحتاج إلى اللغات لقراءة آراء وأفكار المستشرقين والمفكرين وغيرهم للرد عليهم إذا لزم الأمر، وهناك العديد من علماء الدين خاصة علماء الأثر وقد حصل العديد منهم على درجاتهم العلمية في الماجستير والدكتوراه من دول غربية.

وإذا كان هذا هو الحال مع العلوم الدينية البحتة فما بالك بعلوم الأديان المقارنة وبالفلسفة الإسلامية وغير ذلك من العلوم الأخرى المتعلقة بالإسلام وبالمناطق العربية بخاصة، فإن ما لدى المؤرخ من مصادر وسهيج بدون لغة تصبح عديمة الجدوى إلى حد كبير، لذلك أصبح من الواجب على الباحث أن يسلح نفسه بلغة أو أكثر ليستطيع أن يقدم بحثاً يواجه به العلماء الآخرين في المؤتمرات الدولية أو في المجلات العالمية.

رواقع الحال أن التاريخ من العلوم المتصلة بمجموعة كبيرة من العلوم الأخرى، فندرس التاريخ عليه أن يتعامل مع المخطوطات والوثائق وما نشر أو حقق، يضاف إلى ذلك التعليق عليها، وكذلك علوم الجغرافيا والاقتصاد، والأدب والفنون، لذلك أصبح من الضروري أن يكون الباحث في التاريخ واسع الاطلاع غزير الثقافة، وكل ذلك يتطلب أن يكون المؤرخ ذا ثروة لغوية في اللغة التي يكتب بها رسالته، وهي اللغة العربية في عالمنا العربي يضاف إلى ذلك لغة أو أكثر تتعلق بلغة تخصصه، فإذا كان المؤرخ يبحث في التاريخ القديم فهناك لغات تتعلق بهذه المرحلة، وإذا كان يدرس في التاريخ الروماني أو اليوناني فهناك لغات أخرى، أما إذا كان الباحث يدرس في التاريخ الأوربي الوسيط أو الحروب الصليبية فأمامه اللغة اللاتينية والفرنسية القديمة، وإذا كان يبحث في التاريخ البيزنطي فعليه باللغة اليونانية القديمة، وهكذا فلكل عصر لغاته، وعلى الباحث أن يدرس الأسس اللازمة بصفة مبدئية ثم يستمر بعدها في المزيد.

ومن حسن حظ الطلاب الآن أن هناك العديد من المراكز المتخصصة في الجامعات الأوروبية يقومون بترجمة هذه المصادر والوثائق إلى اللغات الحديثة وهي مراكز موثوق بها يتولى أمرها نخبة من أساتذة الجامعات المتخصصين وعلى مستوى عالمي وسوف نشير إلى بعضها عند الحديث عن الشبكة العالمية (الانترنت).



واللغة كائن حي يتطور. وقد تدل الكلمة على أكثر من معنى وهذا يتطلب الأمر الأهتمام بعلوم اللغة (الفيلولوجيا) Philology حتى يستطيع أن يتفهم معنى ما يقرأ. وهذا أصبح الغلاب في مصر والعالم العربي بأن يبدأوا بالاطلاع في موضوع بحثهم عما كتب باللغة العربية وبعد أن يتعرفوا على ما كتب في موضوعهم باللغة العربية يتدرجون إلى القراءة في الكتب المتخصصة التي كتبت بلغة أخرى يستطيعون فهمها. وهكذا تتضح الأمور ويبدأ رويدا في المصادر والوثائق.

#### علم المكتبات:

ودارس التتبع في حاجة إلى معرفة علم الجغرافيا (Paleography) وهو علم دراسة الكتابة والقروش القديمة. لأن الباحث سوف يتعرض لقراءة بعض المخطوطات والوثائق العربية وسوف يجدها بخطوط مختلفة ومنها ما كتب مثلاً بالخط النسخي، أو الرقعة أو الفارسي أو الكوفي أو المغربي أو القباري والأخير يكتب بحروف دقيقة جداً واستخدم في كتابة الطاقات التي ترسل بالحصاء الراجل وغير ذلك من الحروف التي يجب أن يتعرف عليها الباحث حتى لا يضيع تسقط عنه معلومة هامة تختص بعينه.

وأول ما يوقف الباحث في الشرق بين الخريجات أو المدونات والوثائق، هو نوع الخدال الذي يصنف من مصادر، ولكن معنى الخريجات أو المدونات هي الحوادث التي تسجل في سجلات أو سجلات الأحداث أو دلت في أيام لاحقة لتسمية من الأحداث. أما الوثائق فقد أتفق المؤرخون على اعتبار المكتبات الرسمية أو شبه الرسمية المتبادلة بين الدول أو الشخصيات الهامة مثل الأوامر والقرارات التي يصدرها الحكام، أو المعاهدات والمراسلات السياسية التي يتبادلها الحكام أو المستشارون مع الحكام أو المستشارين في دول أخرى أو داخل الدولة. ولكل عصر وثائقه التي تختلف فيها أنواع الأخبار والأوراق وكذلك صياغتها وأختامها وأحياناً الشفرة التي كتبت بها وطريقة تغليفها وغير ذلك مثل المخطوط التي كتبت بها.

#### الأختام:

أما فيما يتعلق بالأختام التي تبصم بها الوثائق وهي مثل ختم الدولة في عصرنا الحالي أو الأختام الأخرى التي تخص هيئة أو مصلحة أو نادي أو جمعية، وكانت الأختام تصنع عادة من المعادن كالذهب أو الفضة أو الرصاص. وكانت الأختام تصنع بأشكال مختلفة ومنها الدائري أو البيضاوي أو المستطيل أو المثلث أو على شكل الصليب. واستخدم مع الأختام الشمع مثل الشمع الأحمر الذي لا زال يستخدم حتى يومنا هذا، ويقلل من الحرارة يلين الشمع ثم يضغط عليه بالحناء فيتعلق الشمع بالوثيقة وعليه النقوش المرحودة على الخاتم.

#### الرموك:

ويرتبط بدراسة الأختام علم الرموك Heraldry وهي الشعارات التي توضع على الأختام أو الأعلام أو على ملابس النبلاء والإقطاعيين، والشعارات هذه مثلما تستخدم جمهورية مصر العربية حالياً تسر صلاح الدين على أختام الدولة أو على الأعلام بعدما كانت تستخدم من قبل صقر قريش، أو الناج الملكي. ومثلما يستخدم الآن بعض الشعارات التي يستخدمها كل صلاح من أسلحة الجيش، وواقع الحال أن كافة الدول قديماً وحديثاً استخدمت هذه الشعارات وعرفتها العصور الوسطى في الشرق والغرب، فقد استخدمتها الدولة الفاطمية والأبوية والمملوكية والسلاجقة والعثمانيون وكل دول أوروبا في العصور الوسطى مثل إنجلترا والمانيا وفرنسا بالإضافة إلى الامبراطورية البيزنطية، فاستخدموا التسر ذا الرأسين أو الرأس الواحدة أو الهلال أو الصليب كما استخدموا أيضاً أشكال الزهور مثل زهرة الزنبق في فرنسا أو ألوان الورود مثل إنجلترا.

#### الاقتصاد:

ومن العلوم المساعدة أيضاً في دراسة التاريخ علم الاقتصاد، والاقتصاد



هو الزراعة والتجارة والصناعة وطرق المواصلات البرية والبحرية والنهرية والمجوية حالياً والتقود وكل ما يتصل بذلك. والاقتصاد هو عصب الحياة منذ فجر التاريخ حتى برز هذا وله تأثير فعال في سير الأحداث التاريخية. فالثروة الطبيعية والمعدنية في بلد ما يجعلها مطعماً لدول أخرى، كما أنه يؤثر على نظم الحكم فيها وعلى مستوى المعيشة داخل هذه الدولة، وعلى علاقة هذه الدولة بغيرها من الدول.

ومن الأمثلة على ذلك الهجرات الجرمانية التي اجتاحت غرب أوروبا بسبب فقر المناطق التي عاشت فيها القبائل الجرمانية ومجاورتها لبلاد غنية أصبحت ضعيفة بعد ضعف الامبراطورية الرومانية في الغرب ثم سقوطها في عام ٤٧٦م. والأراضي المجدية قليلة الموارد تساعد الشعوب على الارتفاع خارج حدودها والأمثلة على ذلك عديدة. كما أن تحكم بعض الدول في طرق التجارة وارتفاع الرسوم الجمركية يجعل بعض الدول تفكر في طرق أخرى مثلما تحكمت دولة المصاليك في طرق التجارة بين الشرق والغرب مما دفع دول أوروبا إلى التحرك واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح.

كما أن ثراء الدول وشعورها بقوتها تجعلها تندفع إلى خارج حدودها مثلما فعلت الثورة الصناعية بدول أوروبا وتطلعها إلى استعمار الدول الفقيرة الضعيفة للبحث في أرضها عن الثروات والمعادن لتطوير صناعيتها وتزدهاد ثراء. على ثراء على حساب الدول المغلوبة على أمرها وتجعل منها أسواقاً لمنتجاتها.

#### التقود والعسكوكات:

ومن العلوم المساعدة أيضاً علم دراسة التقود والمسكركات، وهو مرتبط بالعلوم الاقتصادية ويعرف أيضاً بعلم النميات أو النومات Numismatics، فالعملة والنباشين بما عليها من صور وكلمات مع حجمها ووزنها ونوعها وأماكن سكها تقدم للباحثين مادة قيمة خاصة فيما يتعلق بالتجارة. فوجود

وإذا اتجهنا إلى إيطاليا وبدأت من الشمال فيستطيع الزائر أن يرى مدينة ميلان وهي المدينة الشهيرة التي ينسب إليها مرسوم ميلان الذي أصدره الامبراطور قسطنطين العظيم Constantine The Great (٣٠٥-٣٣٧م) في عام ٣١٣م، الذي اعترف فيه بالمسيحية ديناً في الامبراطورية الرومانية.

كما يمكن أن ترى كنيسة القديس أمبروز Ambrose ٣٣٤١ أو ٣٤٠ - ٣٩٧م وهي أقدم كنائس المدينة وقد بنيت في عام ٣٧٩م، وفي هذه الكنيسة أعمال فنية رائعة تمثل أعمالاً تمتد من العصر الرومانسكي حتى الوقت الحاضر.

وتعتبر كاتدرائية الدومر Duomo أو القبة أو كاتدرائية السيدة العفراء أعظم كنائس مدينة ميلان. ويرجع تاريخ هذه الكاتدرائية إلى حوالي عام ١٢٠٠م وهي مبنى معماري أقيم على الطراز القوطي اللباردي. وقد بنيت الكاتدرائية بناء على طلب حاكم المدينة جيان جاليزو Gian Galeazzo، والمبنى تحفة معمارية رائعة، ويصل ارتفاع أعمدها إلى أكثر من مائة متر وأكثر هذه الأعمدة ارتفاعاً العامود الذي وضع عليه تمثال السيدة العفراء. ويصل ارتفاعه إلى حوالي مائة وثمانية أمتار، وهذا التمثال مغطى بحوالي ثلاثة آلاف وتمسامة قطعة من الذهب. وفي ميلان أيضاً العديد من المتاحف والمعارض والمسارح.

وإذا اتجهنا إلى الجنوب الشرقي لمجد مدينة البندقية Venice (فينسيا) وهي مدينة الجزر والجنادل حيث تترايط القنوات التي تصطف على جوانبها القصور التاريخية الزاهية ذات الطرز المعاصرة الزاهية وكذلك الكنائس والكاتدرانيات. وفي المدينة حوالي أربع مائة كنيسة على طول قنواتها البالغة مائة وثمانية عشرة قناة وطول المدينة كلها حوالي ٤٢٦٠ متراً وعرضها ٢٧٩٠ متراً. ويبلغ عمق قنواتها حوالي خمسة أمتار، ويرتبط بالمدينة مجمرعة من الجزر أشهرها جزيرة مورانو التي تشتهر بصناعة الزجاج، وجزيرتي بورانو



وتورينيلو. ويربط المدينة بالبابسة كوبري طوله أربعة كيلومترات مبني عام ١٨٤١م وهو طريق مرصوف جيداً به خط سكة حديد يصل إلى محطة القطارات الرئيسة في المدينة. وشعب المدينة له شهرة عظيمة في الترحال والتجارة والمغامرة والكفاح. وكان لها أسطولاً وجيشاً قوياً لعب دوراً كبيراً في تاريخ المصور الوسطى مع الامبراطورية البيزنطية والدول الإسلامية والحروب الصليبية.

ومن أعظم مبادئ المدينة ميدان القديس مرقس، وفيه تقع كاتدرائية القديس مرقس، ويرجع أهمية تاريخ هذه الكاتدرائية إلى عام ٨٢٩م عندما سرق بعض البنادقة وفات القديس مرقس من كنيسة المرقسية بالاسكندرية. وقد استغرق بناء هذه الكاتدرائية العديد من السنوات وحلت عليها إضافات معمارية وفنية كثيرة. وعلى سطح الكنيسة يوجد تماثيل ضخمة لأربعة خيول استولى عليها البنادقة من مدينة القسطنطينية أيام الحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م. وقد استولى على هذه الأحصنة نابليون بونابرت ولكن إيطاليا استعادتها مرة أخرى. والكاتدرائية يغلب عليها الطابع البيزنطي كما يوجد بها العديد من لوحات الفسيفساء خصوصاً فسيفساء رفصة سالومي المرتبطة برأس يوحنا المعمدان. ورمز مدينة البندقية هو الأسد المجتح الذي يرمز إلى القديس مرقس.

إذا المجهها إلى الجنوب فإن الزائر يمر بمدينة بولونيا حيث توجد أقدم جامعة أوربية هي جامعة بولونيا التي أسسها الامبراطور الألماني فريدريك بارباروسا Frederic Barbarosa عام ١١٥٨م.

والى الجنوب تقع مدينة فلورنسا على نهر أرنو Arno، وكانت حصناً منيعاً منذ القرن الأول الميلادي. ومنذ القرن الثالث عشر قام تجار المدينة بتنظيم الاتحادات في فلورنسا، وقد ألحزت هذه الاتحادات العديد من القوانين واحتمت بالفنون والتجارة والصناعة. لذا كانت المدينة هي مهد عصر النهضة في أوروبا.

كلها وكان للدرر الكبير الذي قامت به عائلة ميديشي بالاهتمام بالفنون والمبدعين نتائج هامة مما جعل فلورنسا أعظم مراكز العالم في الفنون والجمال. ونذكر من أشهر أديباء وفناني المدينة دانتي Dante (١٢٦٥-١٣٢١م)، وبوكاشير Boccaccio (١٣١٣-١٣٧٥م)، وبروسكيو Brunelleschi (١٣٧٧-١٤٤٦م)، وليوناردو دافنشي Leonardo da Vinci (١٤٥٢-١٥١٩م)، ومايكل أنجلو Michel Angelo (١٤٧٥-١٥٦٤م) وغيرهم.

ومن أعظم مباني المدينة كاتدرائية سانتا ماريا ديل فيوري St. Maria del Fiore وهي المعروفة باسم الدومر Duomo وهي من أعظم الأبنية في العالم. وقد شيدت على الطراز المعماري القوطي وبدأت بنائها عام ١٢٩٦م، واستغرقت بنائها ١٤٢ عاماً وببلغ ارتفاعها إحدى وتسعين متراً. أما واجهة الكاتدرائية فبها العديد من التماثيل، معطاة بمرحمة، واستغرق العمل فيها نحو من مائتي عام. وفي المدينة أيضاً برج سمور Giotto ذو الأجراس الذي يرتفع حوالي خمسة وثمانين متراً. وقد بدأ العمل فيه حوالي عام ١٣٣٧م. وفي المدينة أيضاً معسورة Baptistry سان جيوفاني St. Giovanni ذات أهمية أصلاح وترجع إلى القرن الثاني عشر. ويقع أمام باب الفردوس على أحد أبوابها فيه لوحات مستوحاة من القصص الدينية، وقد اكتسب الباب في عام ١٣٣٦م أهمية عظيمة عن متحف مفتوح تضيق المستوحات عن شرح ما به. وأجراً محمد كوبري في شمو Fonti Vecchie وهو الأثر القديم المرحبه في إلى إلى على نهر بومعدان. ففتحت الحرف العشرة عشرة كل كناري القدية ويوجد على الكوبري أحد صغره طولاً وعرضاً بعدد من المعلات المنتشرة التي تباع الذهب والتذكارات السياحية.

والى الشرق من مدينة فلورنسا توجد مدينة بيزا Piza وتشتهر المدينة ببرجها المائل وهو من عجائب الدنيا السبع، وهو برج الكاتدرائية الشهيرة بالمدينة التي بدأ بنائها في القرن الثاني عشر الميلادي. ويشكون البرج من ثمانية طوابق ويحيط بكل طابق أقواس تحملها أعمدة من الرخام، وارتفاع



الرج حوالي تسعة وحسين متراً، أما قاعدته فهي حوس خمسة عشر ونصف متراً مربعاً. وعمق أساس البرج ثلاثة أمتار فقط، والميل الذي نشاهده الآن لم يكن مقصوداً ولكنه حدث بسبب ضعف في تربة الأرض، وقد بدأ هذا الميل يظهر بعد عشرة سنوات من البناء حيث كان البناء قد وصل إلى الدور الثالث فقط، ورغم ذلك تم استكمال البرج. وقد أغلق البرج في عام ١٩٩٠م ومنع الصعود إليه. وقد بذلت محاولات عديدة لانتقاذه وأخيراً تم ربط البرج بكرابيل جديدة لمنع سقوطه. أما كاتدرائية بيزا فترجع إلى العصر الروماني في القرن الثاني عشر، وقد تم الانتهاء من مذبج الكنيسة في عام ١٢٦٠م.

ومدينة روما لها شعارها وهي عبارة عن دبة ترضع طفلين، وتحكي أسطورة أن أحد الملوك خلعه شقيقه عن العرش وتوج على إحدى الكاهنات وسمى سبلسا أن تصح أما لطفلي الملك المخلوع، فغضب الملك وأمر باغراق الطفلين ولكن العبد المكلف بهذه المهمة ترفق بهما ووضعهما في سلة والقاهما بهر فدفعت الأمواج السلة إلى شجرة تين، وهناك عثرت عليهما ذئبة فحلبت بارضاعها إلى أن التقطتهما أحد الرعاة رساهما رموس ورسولوس. وعندما كبر الغلامين قاما بالاطاعة بالمغضب وتولى رموس الحكم وأنشأ مدينة روما عام ٧٥٣ قبل الميلاد. وترتبط المدينة بالقدوس بطرس الذي استشهد في المدينة حيث بنيت كنيسة صغيرة ثم شيد الامبراطور قسطنطين الأول (٣٠٥ - ٣٣٧م) في عام ٣٣٠م بازيليكاً في المكان نفسه. ثم أقسم بدلا من ذلك في عام ١٥١٦م كاتدرائية عظيمة البناء هي مقر الفاتيكان الآن.

رواقع الحال أن مدينة روما تقع في مركز عالم البحر المتوسط، وقد ساعدها موقعها على أن تكون سيدة العالم المسيحي الكاثوليكي في العصور الوسطى. وقد لعبت المدينة دوراً دينياً كبيراً باعتبارها مركز البابوية بالإضافة إلى الجانب الثقافي والتجاري والسياسي. وقد تعرضت إيطاليا للتمزق بعد سقوط الامبراطورية في الغرب عام ٤٧٦م وظلت إيطاليا لا تعرف الوحدة السياسية طوال العصور الوسطى. فقد كانت هناك دويلات مثل البندقية وبيزا

وجنوة وقلورنسا وأمالفي وغير ذلك. وفي نهاية العصور الوسطى بدأ عصر النهضة الذي اهتم بالفنون والتحف والآثار والتاريخ وغير ذلك بعدما تأثر الغرب بالتراث الإسلامي الذي وفد عليها من صقلية والأندلس ومن بلاد الشام بتأثير الحروب الصليبية.

ولا أريد أن أخوض في إيطاليا أكثر من ذلك وأتحدث عن بقية مدنها مثل نابلي وغيرها. والحقيقة أن إيطاليا تعتبر متحفاً مفتوحاً لتقلاص والكنائس والعمارة على مر العصور بداية من عصر الامبراطورية الرومانية، وبها من المباني التي اشتملت على كل الطرز مثل الكنائس البازيلكية والرومانيسكية والقوطية وكذلك العمارة التي تجسد فيها الطراز الباروكي والركوكي والكلاسيكي الحديث، هذا إلى جانب الفنون بلوحاتها وعماراتها وتماثيلها إلى غير ذلك.

وإذا انتقلنا إلى الأندلس بشقيها الأساني والبرتغالي حالياً فمن الملاحظ أنك لا تجد مدينة إلا وبها آثار إسلامية إلى جانب الآثار المسيحية، ومن المفضل أن تبدأ بالبرتغال وعاصمتها لشبونة التي أسقطها البرتغاليون بمساعدة بعض قوات الحملة الصليبية الثانية في عام ١١٤٧م وهي في طريقها إلى بلاد الشام خلال حكم الملك البرتغالي الفونسو هنريك Alfonso Henriques (١٢٢٨ - ١١٨٥م). والتي جعلها الملك دينيس Dinis (١٢٧٩ - ١٣٢٥م) عاصمة للملكة. وقد هدم البرتغاليون مسجد المدينة بعد سقوطها ونوا مكانه في عام ١١٥٠م كاتدرائية عظيمة جددت في القرن الرابع عشر على الطراز القوطي. وفي المدينة بعض القصور والاسوار القديمة وبعض التماثيل لعل أهمها تمثال املاك الفونسو هنريك.

أما عن أسبانيا فحدث ولا حرج حول اختلاط العمارة الإسلامية بالعمارة المسيحية في كافة المدن الكبيرة والصغيرة مثل الزخارف والعقود والأبراج والأسوار والكاتدرائيات والأبواب والقناطر والحمامات وغير ذلك إلى جانب أسماء المدن نفسها والعديد من الكلمات العربية التي دخلت اللغة الأسبانية.



ولن نستطيع في هذه الصفحات أن أدخل في تفاصيل كل هذا. ولكنني سوف أكتفي بالإشارة إلى بعض آثار بعض المدن الرئيسية في الأندلس.

وأبدأ بمدينة قرطبة حيث توجد ساعة مصارعة الثيران، وجامع المدينة القديم وبرج الأجراس الذي أقسم مكان المندنة القديمة، وأحد أبواب المسجد الذي يسمى حالياً باب القديسة كاتالينا. وفي إشبيلية حيث تحولت منذة جامع المدينة الكبير إلى برج للأجراس والمعروف باسم لا غرالدا La Giralda أو منارة جامع المنصور. هذا بالإضافة إلى قصر أشبيلية. وفي بلنسية حيث الكنيسة العظمى وقلة الجبلين. وفي مرسيه حيث الكنيسة العظمى القوطية الطراز. والقنطرة المعبرية الواقعة على نهر شقورة أما مدينة غرناطة فإن قصر الحمراء بعد من أعظم الآثار الأندلسية الباقية، يضاف إلى ذلك حنة العريف وحى البيازين والكنيسة العظمى التي بنيت على أنقاض مسجد المدينة وضريح فرديناد وإيزابيلا (١٤٧٤-١٥٠٤م) داخل الكنيسة ويقايا قصر شنبل وغير ذلك.

أما مدينة مدريد وهي مجرط قديماً، فهناك كاتدرائية سيدة المدينة التي بنيت على أنقاض مسجد المدينة. وقصر الاسكوريال الذي بناه الملك فيليب الثاني في عام ١٥٦١م. وهو يذكرنا بمكتبة الأسكوريال حالياً التي تضم نادر المخطوطات. هذا بالإضافة إلى القصر الملكي ومتحف المدينة والمكتبة الوطنية.

وإذا انتهينا من الأندلس بمدينة برشلونة فإنك تجد نحة فنية معمارية رائعة نادرة عالياً وهي كاتدرائية العائلة المقدسة Sagrada Familia التي يرتفع أعلى أبراجها إلى حوالي مائة وخمسة وعشرين متراً وهي من أعمال الفنان العظيم أنطوني جودي Antoni Gaudi (١٨٥٢ - ١٩٢٦م). وقد وضع أساسها في عام ١٨٨٢م واستغرق العمل فيها حوالي أربعين عاماً.

أما عن المملكة المتحدة وهي بأقسامها إنجلترا، ويلز، اسكتلندا، وجزر من إيرلندا حالياً، فإن القلاع والكنائس والكاتدرائيات تتشعب في كل أرجاء البلاد وعرضها. كما أن الجامعات القديمة مثل جامعة أكسفورد وكامبردج تجد مبانيها من طرز العصور الوسطى. وإذا بدأنا الحديث عن بعض معالم هذه البلاد فسأبدأ بمدينة كانتربري Canterbury على اعتبار أن كاتدرائية هذه المدينة هي أقدم كنيسة في مقدسة كنت Kent الواقعة في إنجلترا. وأن رئيس أساقفة كانتربري لارال حتى الآن يعتبر رئيساً لكل كنائس المملكة المتحدة. وقد شهدت هذه الكنيسة أحداث تاريخية من أهمها أكبر الأثر في تاريخ المملكة كلها. ومن ذلك مصرع رئيس الاسقفية لثيودور توماس بكت Thomas Becket في عام ١١٧٠م.

وإذا انتقلنا إلى لندن فسندرى قلعة لندن بحوائط رومانية والبرج الأبيض الذي بناه وليم الفاتح The Conqueror (١٠٦٦ - ١٠٨٧م) في عام ١٠٧٨م. وتوجد أيضاً كاتدرائية القديس بولس الذي يرجع بناؤها إلى عام ١٠٤٠م والتي أعاد بناها الوردمان في عام ١١٨٠م وهي الكاتدرائية الرسمية للحكومة البريطانية والتي تم فيها زفاف الأميرة ديانا الأخيرة. وفي قلب العاصمة تجد الكلية الملكية التي وضع أساسها الملك هنري السادس (١٤٢٢ - ١٤٦١م) في عام ١٤٤١م.

وإذا توجهنا إلى الغرب مع نهر التايمز Thames تجد مدينة وندسور وقلاعها حيث تذكرنا بالصراع الذي دار بين الملك ريتشارد (١١٩٩ - ١٢١٦م) والأمراء والذي نتج عنه توقيع أقدم وثيقة تاريخية في أوروبا تبشر بالديمقراطية وهي وثيقة العهد الأعظم Magna Carta في عام ١٢١٥م بعد ما تحرك الملك من وندسور إلى برج رونيميد Runnymede حيث تم التوقيع على هذه الوثيقة.

وإذا انتقلنا إلى الشمال الغربي تجد مدينة أكسفورد Oxford حيث توجد



## الحاسب الآلي:

ومن "عوامل المساعدة في علم التاريخ" عالياً التعامل مع الحاسب الآلي (الكومبيوتر) ليس لكتابة الرسائل أو الأبحاث بما الأخر من ذلك فبعض الباحثين العديد من المواقع التاريخية في تعامل وتقدم مصادر تاريخ "المصور" لوسطى في أوروبا والامبراطورية البيزنطية والحروب الصليبية وغير ذلك. وهذه المواقع هي في واقع الأمر تناقض بين جميع جامعات العالم في أوروبا وأمريكا وأستراليا، وهي تقدم هذه المصادر باللغة الانجليزية بعد ما تم ترجمتها من لغتها الأصلية سواء أكانت اليونانية أو اللاتينية أم غير ذلك.

ويوجد في المواقع أجزاء متخصصة مثل: - الجيولوجيا أو المصادر النورمانية في إيطاليا وصقلية، وقد تخصص بعض أساتذة الجامعات في هذه المواقع وتقدم المصادر بمقابل أو بمقابل زهيد ويمكن للباحث أن يحصل بهذه المواقع ويطلب منها ما يريد في تخصصها. وبالإضافة إلى ذلك فإن جميع المؤتمرات التي تعقد في كل المجالات ومنها التاريخ، يعلن عنها في مواقع متخصصة وبإمكان المؤرخ الاطلاع على موضوع المؤتمر والمشاركين فيه من كبار العلماء وكافة البيانات التي يطلبها، كما أنه يستطيع أن يطلب مجلدات المؤتمرات بعد طبعها، أو الاشتراك في الاطلاع عليها.

## عوامل نجاح الرسالة:

قبل البدء في عوامل نجاح الرسالة يجدر بنا تعريف الرسالة، ويمكن إيجاز هذا التعريف بأن الرسالة أو الأطروحة هي بحث علمي جاد يتولى الباحث إعداده طبقاً لتهج علمي بعيداً عن التحيز وأن يكون مؤيداً بالمصادر والحجج والأسانيد، ويضاف إلى ذلك إذا كانت رسالة دكتوراه أن يكون البحث مبتكراً فيه إضافة علمية لموضوع التخصص.

وراق الحال أن البحث العلمي التاريخي له درجات متعددة، وأول هذه الدرجات هي مطالبة الطالب في مرحلة الليسانس ببعض البحوث رغم أن هذا

أقدم جامعة في إنجلترا، فقد أسست في عام ١١١٧م، ومع الاتجاه إلى الشمال الشرقي نجد مدينة كامبردج Cambride، وهي تعني كلمتين، كام Cam وهو نهر صغير، وكلمة Bride وتعني كبرى حيث أقيمت هذه المدينة التي لا تزال تحمل سمات العصور الوسطى، وبها جامعة كامبردج العريقة التي أسست عام ١٢٠٩م، وفي هذه المدينة أيضاً توجد كنيسة دائرية لهدية أسست حوالي عام ١١١٨م، وهي كنيسة إبيست بغرض إقامة الصلاة من أهل المعادين الصليبيين في الأراضي المقدسة، وهذه الكنيسة تعتبر واحدة من أقدم أربع كنائس دائرية موجودة في بريطانيا حتى الوقت الحاضر.

ومضيق المكان والصلححات في هذا الكتاب من تسع الكنائس والكاتدرائيات والقلاع والجامعات في كل مروج بريطانيا، لذلك اكتفى بأن أقول أن الزائر يوسع أن يرى كاتدرائية سالزبوري Salisbury في الجنوب الوسط، وبالقرب منها إلى الجنوب الشرقي نجد قلعة أرنولد Arundel التي أسست عام ١٠٦٧م، حيث لجأت إليها الملكة ماتيلدا Matilda في عام ١١٣٧م عندما قام الصراع على الحكم في إنجلترا، وبداخل القلعة حفر مكتوب عليها وهنا أقامت ماتيلدا ١١٣٧م.

والى جانب هذا فالمتخصص في الحروب الصليبية والتاريخ الإسلامي عليه ألا ينسى العالم العربي خاصة العراق وفخداد، وسوريا ودمشق، ولبنان وبيروت، والأردن وعمان وللسطين والقدس ومصر والقاهرة والمغرب العربي وتونس والرباط ومراكش. والحقبة أن زيارة هذه الأماكن والشعور بها وتنفس هوائها وشرب مياهها وتطرق أطمعتها لكن المؤرخ لما من الإحساس بالتاريخ، ويوسع أن يقرأ المصادر والمراجع الخاصة بسهولة، لأن معايشة هذه الأماكن تساعد المؤرخ كثيراً على الشعور بأحداث الماضي وتقبلها بصورة أقرب للواقع لكنه من صباه الأحداث بصورة تكاد تكون حية يستطيع أن يلمع القارئ بالواقع.



الأمر من الجامعات المصرية، ذات الأعداد الكبيرة يعتبر من المشقة بمكان على الطالب والأستاذ، وبالنسبة للطالب ربما تكون الكتب المطلوبة للبحث غير متوفرة في مكتبة الكلية أو الجامعة التي يدرس فيها الطالب، كما أن الإمكانيات المادية للطلاب لا تمكنهم من الانتقال إلى المكتبات الرئيسية في الجامعات الكبيرة، وإذا توفر ذلك فاللغات تصبح عائقاً آخر أمام الباحثين.

والمهم هنا أن ما ينبغي أن يكون، هو مطالبة الطلاب في مرحلة الليسانس ببعض البحوث، ولا ينتظر من طلاب مرحلة الليسانس أن يقوموا ببحوث أصيلة مبتكرة يصل فيها إلى نتائج غير معروفة، ولكن المطلوب منهم أن يتعرفوا على بعض الكتب التي تتناول موضوع ما في تخصصهم واختبار حانياً من هذا الموضوع بمساعدة الأستاذ من أجل التدريب على البحث العلمي، وغالباً ما يطلب منه ملخص عن موضوع معين مثل تاريخ صلاح الدين ويوثق هذه المعلومات من المراجع التي رجع إليها ويتعلم كيف يناقش الأحداث وما يروى في متن البحث أو في هوامشه وكيف يكتب المحاشية باسم المؤلف، وعنوان الكتاب والدولة أو المدينة التي طبع فيها هذا الكتاب وسنة الطبع وأخيراً أرقام الصفحات. والطالب في هذه المرحلة يطلع على هذه المراجع سواء أكانت موجزة أو موسعة، وما هي المصادر التي وجدها في الكتاب، وهل يمكن الوصول إليها.

والدرجة الثانية من البحوث هي البحوث التي يقوم بها طلاب الماجستير، وهنا الأمر يتطلب اختيار جانب واحد من تاريخ صلاح الدين، مثل كيف قامت الدولة الأيوبية في مصر، أو كيف كانت العلاقة بين صلاح الدين ونور الدين، أو كيف استعمل صلاح الدين لمحاربة الصليبيين، أو أسباب ونتائج معركة حطين، أو صلاح الدين والحطة الصليبية الثالثة وهذا الموضوع يقسم إلى عدة موضوعات منها: استعدادات صلاح الدين لملاقاة القوات الصليبية، أو كيف تعامل صلاح الدين مع الأخبار التي وردت إليه بقدم الجانب الألماني من الحملة عبر آسيا الصغرى، أو كيف تعامل صلاح الدين مع رينشارد قلب الأسد Richard The Lion-Heart ملك إنجلترا ١١٨٩ - ١١٩٩ م، أو مراحل

المفاوضات بين صلاح الدين ورينشارد، وهكذا في جميع موضوعات تخصصه. العصور الوسطى بجميع فروعها، وغالباً ما تكون هذه البحوث في صفحات محددة يبرر فيها الطالب عنوان البحث وأهميته وسبب اختياره والنقاط الرئيسية التي يتناولها وأهم المصادر والمراجع التي استقى منها الطالب مادته التاريخية، وما هي النتائج التي توصل إليها.

أما في مرحلة التسجيل لدرجة الماجستير فالأمر يختلف عما سبق، لأن على الطالب أن يختار موضوعه بنفسه، وعلى الأستاذ المشرف والتأكد أن يتأكد من صلاحية الموضوع والقدرة على إيجازه، وهل تتوفر المصادر والمراجع للموضوع داخل البلاد أم خارجها وكيفية الحصول عليها، أم هي متوفرة على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) وهل لدى الباحث معرفة باللغة التي عليها هذه المصادر. وعند مرحلة افتتاح المشرف بالعمل المقدم عليه الطالب تتحول العلاقة بين الأستاذ والطالب إلى علاقة أخرى قائمة على أساس تحمل الطالب للمسئولية وعلى تبادل الآراء، وهنا يمكن القول بخبرتي الطويلة أن الطالب يصبح أستاذاً بحسه وعلى أستاذته المشرف التوجيه والإيضاح بعض الفصوص لقضايا البحث ومشكلاته.

وعند هذه المرحلة أنصح الطلاب بالآلا يختارون موضوعاتهم بطريقة عشوائية لأن الاختيار له أسس وقواعد وهو أساس الرسالة الناجحة، فعلى الباحث أولاً أن يطلع على كل ما كتب في تخصصه وسواء يكتشف بنفسه ما هي الموضوعات التي يمكن دراستها ولم تدرس بطريقة كافية من قبل، وهذه نقطة في غاية الأهمية ولا يكتشفها الطالب إلا بعد الانتهاء من رسالته، لأن المطلوب من الطالب أن يقدم في بداية رسالته تحليلاً عن المصادر والمراجع التي رجع إليها والدراسات السابقة في الموضوع فإذا لم تكن قراءات الطالب واسعة ربما يكتشف بعد مدة أنه يدرس موضوعاً سبق دراسته وبذلك يقدم الطالب عملاً هزئياً.

فالاطلاع على الدراسات السابقة في الموضوع الذي ينوي تسجيله هام



حداً. وبعد ما يتأكد الطالب أن موضوعه لم يدرس من قبل بدرجة كافية، وأن المصادر والمراجع يمكن الحصول عليها بطريقة أو بأخرى يكون الطالب قد اقتنع تماماً بالموضوع المراد تسجيله، وهنا يمكن القول أن الطالب لا يختار موضوع بحثه. ولكن الموضوع هو الذي يختار الطالب. وواقع الحال أن على الطالب ألا يختار موضوعاً لا يعيل إليه وشعر أنه استقر في وجدانه، لأن الطالب يفرح عندما يختار له البعض موضوعاً وسجله دون أن يسير أغواره ويستكون الكارثة عندما يتضح عدم وجود المصادر أو أن المادة التاريخية الموجودة في المصادر لا تكفي لكتابة الرسالة أو غير ذلك من الأسباب التي تجعل الطالب يصاب بالاحباط، وعليه أن يبدأ من جديد بموضوع آخر، وعلى الطالب عندما يفكر في البحث العلمي عليه أن يدرك تماماً أن البحث العلمي التاريخي هو القبة الفكرية المتأصلة للمادة التاريخية الأصلية.

والحقيقة أن البحث العلمي في حق العصور الوسطى أمر ليس بالصعب ولكنه أمر ليس بالسهل أيضاً لأننا لازلنا متأخرين في مجال البحث العلمي في العصور الوسطى الأوروبية لأننا لا نملك إلا القليل من مصادر هذه العصور. وأن علماء الغرب الأوربي وأمريكا قد سبقونا بمراحل في هذا المجال وأعدوا لذلك إعداداً جيداً مثل جمع المصادر التاريخية ونشر بعضها بلفتها الأصلية أو ترجمة حائياً كبيراً منها إلى اللغات الأوروبية الحديثة، وأن فرنسا والمجملها بلغت شوطاً كبيراً في هذا الجانب منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

وأود أن أذكر في هذا المقام أنه ينبغي على المهتمين بالدراسات التاريخية والهيئات العلمية المتخصصة أن تسعى للعمل على تبسيط الدراسات التاريخية وذلك بتوفير المصادر التاريخية اللازمة خاصة بعد ما وصل العلم إلى درجة متقدمة من التقنية في التصوير والطباعة ونقل المعلومات عن طريق شبكة المعلومات (الانترنت).

ومن عوامل نجاح الرسالة دقة اختيار عنوان الموضوع، لأن هذا العنوان وما يندرج تحته من عناوين الفصول هو المحور الرئيسي للبحث، فإذا كان

العنوان غير دقيق فإن الباحث سوف يضل الطريق ويضيع وقتاً طويلاً قد يصعب مائة ليس في حاجة إليها أو لا يجمع مادة هو في أشد الحاجة إليها. وبداية أقول أن عنوان الرسالة التاريخية لابد أن يشتمل على مكاناً وزماناً ودولاً أو شخصيات أو ما يشابه ذلك بحيث لا يكون هناك لبس أو غموض. وعنى يتضح هذا المفهوم نقول مثلاً: الحملة الصليبية الخامسة على مصر (١٢١٨ - ١٢٢١ م - ٦١٥ - ٦١٨ م). ويمكن أن يكون العنوان:

#### الحملة الصليبية الخامسة

(حملة جان دي هرين على مصر)

١٢١٨ - ١٢٢١ م / ٦١٥ - ٦١٨ هـ

وسوف أقدم عنواناً آخر فيه بعض القموض ومن ذلك:

بيزنطة وسياساتها الشرقية في عهد الامبراطور مانويل الأول

١١٤٣ - ١١٨٠ م / ٥٣٧ - ٥٧٦ هـ

وهنا يكون بعض القموض في هذا العنوان لأن هذا يعنى من الناحية اللغوية أن الباحث سوف يتناول موضوع من جزئين، الأول وهو بيزنطة ثم سياساتها الشرقية، فإذا كان الباحث يقصد ذلك فيكون ما قدمه صواب. أما إذا كان الباحث يقصد دراسة السياسة الشرقية فقط فيجب أن يكون العنوان:

السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في عهد الامبراطور مانويل

١١٤٣ - ١١٨٠ م / ٥٣٧ - ٥٧٦ هـ

وفي هذا العنوان أيضاً بعض القموض، فما هو المقصود بالسياسة الشرقية، أي مع كل الدول التي تقع في شرق الامبراطورية البيزنطية. فإذا كان هذا هو المطلوب فلا ضرر، إما إذا كان المقصود بالدول الملاصقة وقريبة من الحدود الشرقية فهنا يكون الطالب قد أخطأ، ويمكن معالجة ذلك بوضع عنوان



إضافي تحت العنوان الرئيسي للموضوع. ولما كان المفروض أن يكون عنوان الرسالة قصيراً إلى حد كبير، فيمكن للباحث أن يترك العنوان كما هو وعليه أن يوضح ذلك في أول صفحة من الرسالة فيقول عنوان رسالته ثم يقول والمقصود بذلك هو دراسة الدول المتاخمة للحدود الشرقية أو الغربية منها وهي سلطنة سلاجقة الروم، وإمارة الأرمن، والإمارات الصليبية في بلاد الشام، والدويلات في بلاد الشام، ودولة مصر.

والى جانب هذا كله فليس العنوان شيئاً مقدساً، إنما يستطيع الطالب أن يغير عنوان الموضوع في إطار الحيز الزمني والمكاني الذي اختاره من قبل أو في حيز أقل، ولا ضرر في ذلك بشرط ألا يكون هذا التغيير جوهرياً حتى لا يعتبر التغيير تسجيلاً جديداً ويضيع على الطالب مدة التسجيل السابقة. وعلى الطالب إذا شعر أنه لا يستطيع التعامل مع الموضوع الذي اختاره لسبب أو لآخر فعليه ألا يعاند نفسه ويكابر بل عليه أن يتوقف ويغير الموضوع حتى لو كان تسجيلاً جديداً.

ومن عوامل الرسالة الناجحة أيضاً الدقة في نقل المادة التاريخية وترجمتها إذا لزم الأمر بكل دقة أيضاً حتى لا يسيئ نتائج على معلومات مغلوطة فتكون النتائج خطأ. كما يجب على الباحث أن يتفهم آراء الآخرين، وعليه أيضاً ألا يأخذ آراء الآخرين على أنها حقيقة، فبعض الآراء تقوم على أساس غير سليم أو لأسباب مفروضة، وعلى الطالب أن يدرس الأسس التي قامت عليها هذه الآراء، ويأخذ بما يراه سليماً ويتخذ ما يراه غير سليم معتمداً على أسس حقيقية.

بضأن إلى ذلك أن على الباحث أن يقدم ابتكاراً وإضافة جديدة إلى ما هو معروف في التخصص الذي يدرسه الطالب، لأن من المسلم به أن يبدأ الباحث حيث انتهى الآخرون، وليس الابتكار أو الإضافة هو كشف ما هو غير معروف فقط، بل هناك نقاط أخرى تعنيها كلمة الإضافة أو الابتكار، ومن ذلك إعادة ترتيب المادة التاريخية ترتيباً مفيداً، أو الوصول إلى أسباب جديدة

لحقائق معروفة، أو إعداد موضوع مرتب من مادة تاريخية مثلاً في مادة الكتب.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الباحث يقدم رسالة لنقد أو لا أن توضع على الأرفف، ولذلك فعلى الباحث أن يبذل كل ما يستطيع ليكون مقنعاً قسوى التأثير في القارئ، ومن هنا يجب على الباحث أن يقدم من الأدلة ما يقتضيه الآخرون بما بحثه في رسالته، بأن تكون الأفكار مرتبة، الجمل مترابطة مع سلامة اللغة ودقة تعبيرها وعليه ألا يستعزذ أو يقدم حجلاً سهمة أو عبارات تحمل أكثر من معنى، وأن تكون الصياغة في قالب علمي قوية التأثير في القارئ.

وأخيراً ما يمكن إضافته حول عوامل نجاح الرسالة - هو التيسير السليم لفصول الرسالة، فيجب أن يكون الفصل متجانساً مع بعضه من ناحية الزمان أو المكان أو الفكرة الرئيسية بموضوع البحث، وأن تكون الفصول مكتملة لبعضها البعض وأن تخدم بعضها أيضاً. لذلك يجب اختيار العناوين الرئيسية للفصل بكل تأني وروية لأن الفصول والعناوين الداخلية للفصول هي المحاور الرئيسية التي يتم جمع المادة على أساسها، ولو اختلف ذلك فسوف يجمع الباحث مادة تاريخية ولا يعرف كيف ينظمها ليخدم بها فكرته، وسوف يبذل جهداً آخر لإعادة فرز وتنظيم هذه المادة.

والحقيقة أن الطالب غير ملزم بعناوين الفصول أو العناوين الداخلية لكل فصل، فيوسع الباحث أن يغير ويعدل ويضيف طبقاً لما يحصل عليه من مادة تاريخية، فقد يكون الباحث قد وضع عنواناً داخلياً ثم لا يجد له مادة كافية، وعند هذه المرحلة فيوسع الطالب ضمه إلى العنوان الجانبي السابق له أو اللاحق. أما إذا لم يجد له مادة فعليه أن يلقيه، وعندما يحصل الطالب على مادة تاريخية لنقطة لم يكن قد سجلها من قبل في العناوين الداخلية فيوسعه أن يضع عنواناً داخلياً جديداً في المكان المناسب للرسالة. وإذا لم يجد الطالب في مراعاة ما سبق بكل دقة وتركيز تكون بوادر الرسالة الناجحة قد أصبحت حقيقة إلى حد كبير.



### ٣- جمع المادة التاريخية

تعريف المراجع.

تعريف المصادر.

السلهوم الفكري لجمع المادة.

كيفية جمع المادة التاريخية.

تحليل المادة التاريخية.

الحواشي.

الصور والرسومات والخرائط.

المراجع:

قبل الدخول في الحديث عن جمع المادة التاريخية من المراجع والمصادر يحدد بنا التعريف بالمراجع والمصادر. فالمراجع هي الكتب التاريخية التي كتبها المؤرخون المعتمدون مثل أساتذة الجامعات وهم محترفون كتابة التاريخ وهم يحكم مراقبتهم العلمية لهم سمعتهم ومنهجهم وهم مسئولون عما يكتبون أمام طلابهم وقراءهم وهذه المراجع لها مصداقية إلى حد كبير، فالكمال لله وحده. والمراجع التي يقدمها أساتذة الجامعات المتخصصون نوعان، الأول منها هي بحوث تنشر في كتب أو في مقالات وهي موثقة بالمصادر. أما الثاني منها فهي الكتب العامة التي تختص على منهج دراسي كامل مثل كتاب عن تاريخ الامبراطورية البيزنطية، وهي مرحلة نقد إلى حوالي ألف عام ولا يستطيع الأستاذ أن يقدم مثل هذا الكتاب كما يقدم بحثاً في نقطة محددة، فهو مرجع عام وضعت فيه الخطوط العريضة للموضوع. وهناك أيضاً من هواة كتابة التاريخ، وهذه الكتب عادة لا يؤخذ بها في التوثيق لرسائل الماجستير أو الدكتوراه.

المصادر:

أما المصادر التاريخية فهي الكتب التي سجلها المؤرخون القدامى الذين عاصروا الأحداث، وربما يكون بعضهم شهود عيان، أو المؤرخون الذين سجلوا

الأحداث بعدها بوقت متاخر وتسمى هذه مصادر متأخرة زمنياً. وإلى جانب هذه الكتب توجد الوثائق وهي الرسائل الرسمية التي يتبادلها الحكام أو المسئولون مع بعضهم البعض حول مسائل معينة مثل شروط هدنة أو اتفاقيات تجارية أو فك أسر بعض الجسود أو إخطار بأحداث مثلما حدث عندما أرسل الامبراطور البيزنطي إسحق الثاني (١١٨٥ - ١١٩٥ م) رسولا إلى صلاح الدين يحصل خطاباً يحبره فيه يوصول الامبراطور الألماني فريدريك بارباروسا Frederick Barbarosa (١١٥٢ - ١١٩٠ م) إلى أراضي الإمبراطورية وعيبره المضيق إلى آسيا الصغرى في طريقه إلى بلاد الشام. هذا بالإضافة إلى كل المواد الأثرية أو الأدبية أو ما سجله الرحالة يتعلق بموضوع الدراسة.

ومن المصادر المخطوطات التي لازالت بلغتها الأصلية أو نسخة منها، وواقع الحال أن التعامل مع المخطوطات يعتبر صعباً من ناحية الخط الذي كتبت به المخطوطات، وفي بعض الأحيان يكون قد تلف أو تآكل جانب من الكتابة. والحقيقة أن عدد المخطوطات الموجودة في مصر كثيرة وتحتاج إلى أجيال للعمل فيها. ولقد قام مركز تحقيق التراث التابع لوزارة الثقافة بجهد كبير في تحقيق بعض هذه المخطوطات وهي بين أيدينا نتعامل معها بكل فخر. وأرد أن أشير هنا إلى بعض المعلومات وهي أنه يمكن نشر المخطوطات فقط، أي أن تقوم هيئة أو فرد بطبع المخطوط كما هو دون إضافة. ومثال ذلك كتاب ابن الأثير: الكامل في التاريخ الذي طبع في مدينة ليدن في اثني عشر مجلداً عام ١٨٥٣ م.

أما تحقيق المخطوط فهو عمل علمي كبير، ويبدأ من يريد تحقيق المخطوط بجمع كل النسخ للمخطوط المراد تحقيقه من جميع أرجاء العالم، وبعد ذلك عليه أن يقرأ كل هذه النسخ وسوف يجد بعض الاختلاف في كل نسخة ناتج عن خطأ في النسخ، وقد يجد نسخ مصورة مكررة وعليه أن يستبعد النسخ المكررة ويحصر ما تبقى من النسخ ويختار أفضل النسخ ويعتبرها عامود التحقيق ويطلق عليها مثلاً رقم (أ) ثم يرتب النسخ بعد ذلك ويضع النسخ الأقل خطأ لتكون رقم (ب) وهكذا. وعليه بعد ذلك أن يضبط النسخة الأولى



على صورة النصوص الواردة في نسخ الأحرار. المصادر الأخرى التي كتبت في الموضوع ذاته ومن الأمثلة على ذلك كتاب التراث السلطانية والمخاض السريفة أو مسيرة صلاح الدين الأيوبي مؤلفه بها الدين بن شداد الذي حققه المرحوم الأستاذ الدكتور جمال الدين النبال وطبعته دار المصرية للتأليف والترجمة طبعة أولى عام ١٩٦٤م.

أما الدرجة الثالثة من التعامل مع المخطوطات هو التحقيق والتعليق أو وضع الحواشي أو تصحيح مع وضع الحواشي وهذا النوع يمر بكافة خطوات مراحل التحقيق السابق ذكرها، ولكنها تزيد عنه بوضع حاشية لكل معلومة تاريخية وردت خطأ، والتعريف بكل شخصية ورد اسمها صعباً أو خطأ أو معرف، ووضع حاشية لكل المدن والبلاد والقلاع المندوبة أو تكون غير واضحة للقارئ، ووضع حاشية أيضاً عن كل الوظائف والمصطلحات التي ترد في متن الكتاب مثل الطلحانة أي الموسيقى السلطانية، والحراقة وهي نوع من السفن الحربية إلى غير ذلك مما يجعل القراءة للكتاب سهلة وميسرة، وواقع الحال أن ذلك يعتبر من الأعمال العظيمة الكبيرة وتحتاج إلى سنوات طويلة أو إلى مجموعة عمل لا تحجزه. ومن هذه الأعمال كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للوزير الكبير القزويني وقام بتصحيحه ووضع حواشيه لبعض أجزائه المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زياده وصدر عن مطبعة دار الكتب المصرية عام ١٩٣٤م وما بعدها.

وبعد هذا التعريف بقيمة المراجع والمصادر فالأفضل للباحث أن يبدأ بالمراجع العامة الموثوق بها في موضوع تخصصه مثل الكتب التي كتبت عن الحروب الصليبية أو عن أوربا في العصور الوسطى أو عن الامبراطورية البيزنطية ليتفهم الحقبة الزمنية بأكملها، ويجمع المادة التاريخية التي تناسب موضوعه ويسجل ما يراه من ملاحظات، ثم يبدأ المرحلة الثانية بدراسة الكتب التي كتبت في الفترة الزمنية موضوع دراسته، وعليه أن يختار ما يساعده على كتابة موضوعه، وتسجيل المصادر والمراجع التي رجع إليها المؤلف، وأرقام

الصفحات وكل ما يساعده على جمع المادة التاريخية وبعد أن يسبح الشاطئ بكل ما ورد في هذه المراجع المتخصصة ينتقل إلى المصادر التي رصدها من قبل وعدد صفحاتها ويطلع على كل مصدر بكل تركيز ويجمع مادة التاريخية، وهنا أنصح الطالب بالرجوع إلى المصادر التي لها ترجمات حديثة، وأخيراً ينتقل الطالب إلى المصادر المكتوبة باللغات القديمة مثل السريانية أو اللاتينية. وقبل أن يترك الطالب أي مصدر عليه أن يركز على المادة التاريخية التي سبق أن وردت في المراجع وبين المادة التاريخية التي يستخدمها الباحثون السابقون. ومن هنا سوف يدرك الباحث الجديد الذي سوف يضيف إلى موضوعه وهنا ملاحظة أود أن أذكر بها الباحث قبل أن يسجل بيانات المراجع والمصادر التي رجع عليها وأرقامها في المكتبات أو من أين حصل عليها حتى يحكم الرجوع إليها إذا لزم الأمر.

#### المفهوم الفكري لجمع العادة:

وقبل الدخول في عملية تفاصيل جمع المادة التاريخية أود أن أقول للباحث مفهوماً فكرياً أساسياً يتم على أساس جمع وتصنيف المادة التاريخية وهذا المفهوم يمكن وضعه في النقاط الآتية:

الشخصيات	الزمان	المكان
الأسباب	الأحداث	النتائج
الثابت	الثابت المتغير	المتغير
الأصالة	معاصرة الأحداث	حادثة العرض

ومن المهم للباحث أن يضع هذه المفاهيم وهو يجمع المادة التاريخية حول نقاط البحث وقضاياها لأنه بدون هذا المفهوم فسوف يقوم الباحث بجمع المادة التاريخية دون وعي وسوف يفوته الكثير من النقاط التي يجب أن يبحث عنها في بطون المراجع والمصادر ويقدم بحثاً هزلاً.



وبداية شغل الشخصيات، فلا يوجد عمل ما إلا وكانت الشخصيات إحدى وعائمه، فإن كانت هناك معركة فلا بد من وجود قائد أكبر وقادة مساعدين، فإذا كان هؤلاء القادة محبرين فلا يصلحون لقيادة المشاة والفرسان والعكس صحيح. وإذا كان العمل يقوم على أساس العمل السياسي أو الدبلوماسي فيجب أن يكون هؤلاء الأشخاص مختارين بكل عناية ولهم دراية كافية حول ما سوف يقومون به من أعمال وهكذا، فإذا كانت الشخصية مناسبة للعمل الذي تولت القيام به فتلك بؤادر النجاح.

أما الزمان فهو عامل هام جداً، ولا يوجد عمل ليس له زمان، والمقصود بالزمان هو التاريخ الذي دارت فيه الأحداث، فإذا اختار المعين بالأمر الزمان المناسب فيكون ذلك من عوامل نجاح المهمة والعكس صحيح، ومن هذه الأمثلة أن الحملة الصليبية الخامسة تحركت من مدينة دمياط جنوب القاهرة وقت قيضان النيل، كما كان من القوات الإسلامية إلا استعمال ارتفاع مستوى الماء في نهر النيل وقروعه وكسرت الجسور فأغرقت المعسكرات الصليبية وفشلت الحملة وجلت عن مصر. يضاف إلى ذلك أن المناخ له دور كبير في المعارك، فالقتال في الصيف غير القتال في الشتاء إلى غير ذلك.

وفيما يتعلق بالمكان فهو هام جداً، فهل قامت المعركة في مكان مرتفع، ومن كان يسيطر على الموقف، فمن المعروف عسكرياً في العصور الوسطى أن من يملك المرتفعات يسيطر على الأماكن المنخفضة، وهل كان القتال في أرض مسطحة، وهل كان المكان صحراء أو غابات، وهل كان لدى القوات الغذاء والماء، وهل كان بالإمكان الحصول عليه من الأنهار أو الآبار القريبة، وهل كان على القوات عبور بعض الأنهار أم لا، يضاف إلى ذلك مواقع الحصون والأسوار وغير ذلك من الأمور التي يلعب فيها المكان دوراً في العمليات العسكرية، كما أن خطوط الإمدادات لها أكبر الأثر في العمليات العسكرية.

وفيما يتعلق بالأسباب التي أدت إلى وقوع الأحداث فهي كثيرة

ومتعددة، ومن ذلك هناك أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة، كما أن هناك أسباب معلنة وأسباب غير معلنة، وهناك أيضاً ذرائع ومقاردها ذريعة ومعناها أن يتوصل الإنسان بواسطة مثل حرب العراق الأخيرة، وهذه الأسباب والذرائع متعددة فمنها الأسباب الدينية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والعرقية وغير ذلك من الأسباب التي تعلنها الدول لمحاربة الدول الأخرى.

أما الأحداث فربما تكون حدثاً واحداً مثل معركة واحدة تؤدي إلى نتائج حاسمة، أو أن هناك معارك متعددة، أو أن المعارك قد تخللها بعض المفاوضات، وهل انتهت المفاوضات في جولة واحدة أم استغرقت عدة جولات، وهل ولعت الأحداث في أيام أو أسابيع متقاربة أو متباعدة بحيث تعطى لأحد طرفي الصراع الفرصة للحصول على بعض الإمدادات أو النجدة من الدول التحالف، وهل كانت المفاوضات تتم لكسب الوقت أم هي مفاوضات جادة يراود بها حل المشكلة.

وعن النتائج فكل حدث سواء كان معركة أو مفاوضات أو غير ذلك فلا بد أن تكون له نتائج، فهل انتهى الأمر بانتصار القوات وسيكون لذلك نتائج للمنتصر، أما إذا انتهت بالهزيمة فيكون هناك نتائج مختلفة، أما المفاوضات فغالباً ما تكون متوازنة إذ لم يكن هناك نصراً أو هزيمة، أما إذا كانت المفاوضات بعد الانتصار فهنا يفرض المنتصر شروطه على المهزوم. وواقع الحال أن النتائج بعد المعارك تكون سياسية أو اقتصادية أو كلاهما معاً. وعندما تكون هناك مفاوضات ربما تتضمن النتائج أكثر من ذلك لأنها تخترق على تسوية شاملة لإزالة أسباب الصراع والتوتر. وهناك نتائج لاحقة للأحداث ونتائج بعيدة المدى، وهذه أمور لا يمكن وضع قواعد لها إنما ندرس كل حادثة على حدة.

ولهما يتعلق «بالثابت» فالمقصود بهذه الكلمة أن المسافة بين القاهرة



وغزة ثابتة مدى الحياة وأن أماكن القلاع ثابتة أيضاً وأن وجود الأنهار والمرادى والكبارى والجسور ثابتة كذلك. أما الثابت المتغير فهو أن التعامل مع كل هذه الأمور وعبرها من الثوابت يختلف من فصل مناخى عن فصل آخر. بمعنى أن المسافة الثابتة من القاهرة إلى غزة تختلف من معطياتها فى الصيف عن الشتاء. فالطريق فى الصيف صحراوى حاف يحتاج إلى ماء للمقاتل والمجول وأن السير فيه صعباً بسبب الإرهاق. أما فى الشتاء فيمكن أن يكون هناك عشب لدخول ومياه للشرب بالإضافة إلى أنه أقل إرهاقاً من السير شتاء عن السير فى الصيف. كما أن الأنهار أو التيارات حصراً فى بلاد الشام تجدعها جافة فى الصيف. أما فى الشتاء فهي تملأ بمياه الأمطار وفى الربيع تملأ من ذوبان الثلج وكل هذه الأمور من الأهمية بمكان لكن يصعبها القائد العسكرى فى حساباته قبل القيام بأى عملية عسكرية. أما التعبير فهو أن يتولى القيادة قائد حبر بالأمور العسكرية إذا كانت المعارك برية. وقائد خبير بالأمور البحرية إذا كانت المعركة بحرية. وأن وضع القائد المناسب فى المعركة المناسبة هو من مفاتيح النصر لأى عملية عسكرية. لأن تحريك الجيوش أو البحرية والاستفادة بقدراتها إلى أقصى طاقة ممكنة هو من الأهمية بمكان فى تاريخ المعارك العسكرية. وفى كثير من الأحيان يكون تغير القيادة عاملاً كبيراً من عوامل النصر أو الهزيمة.

أما الأصالة فهي متعددة المفاهيم. ولكن المقصود هنا هو أصالة المصادر التى يرجع إليها الباحث. سواء كانت كتب منشورة أو وثائق. وعلى الباحث أن يشكك أولاً فى كل ما هو مكتوب خاصة فيما يتعلق بالوثائق. هل هي أصلية أو مزورة. أو أن هناك فى الوثيقة جانباً سليماً وجانباً مزوراً. وهذا أمر يحتاج إلى خبرة الباحث وإذا تعذر عليه موضوع فمن الطبيعى أن يلجأ إلى المشرف أو إلى أحد المتخصصين فى هذا الجانب.

وفيما يتعلق بمعاصرة الأحداث. فعلى الباحث أن يلجأ إلى المصادر التى عاصرت الأحداث. ومن الأفضل أن يكونوا شهود عيان أو فى مراكز تمكنهم من

الاطلاع على القرارات الخاصة بالأحداث. وإذا لم يتيسر ذلك للباحث أو أنه لم يجد مادة كافية فى هذا كله فله أن يلجأ إلى المصادر المتأخرة زمنياً لعلها نقلت من مصادر أصلية تكون قد فقدت أو أضاعت إلى المصادر الأولى بعض المفاهيم أو العبارات التى تسهل على الباحث فهم التصور. وأودع ما أن أقول أنه لا يوجد مصدر واحد يتضمن كل أحداث حدث ما. فالمصادر تكمل بعضها البعض وما كتب فى المصادر الإسلامية حول حدث ما يكمله ما ورد فى المصادر الأجنبية. يضاف إلى ذلك ما يستنتجه الباحث.

ومن المعاصرة أيضاً التعامل مع المكان خاصة ما يتعلق بوصف المدن وأسوارها وتحصيناتها. ومن الفضل هنا أن يلجأ الباحث إلى الكتب الجغرافية وكتب الرحالة الذين عاصروا الأحداث لأنهم يقدمون للباحث وصفاً واقعياً. أما إذا رجع الباحث إلى مصدر متقدم زمنياً فربما يقدم لنا وصفاً للمدينة ولها سور واحد. وربما كان هناك سوران للمدينة وقت المعركة فيها يقع الطالب فى خطأ. والشئ نفسه ينطبق على المصادر المتأخرة زمنياً فربما أضيف سور ثالث أو أضيفت قلعة داخل المدينة أو أبراج على سور المدينة. فعلى الباحث أن يبحث بدقة عن شكل المدينة وقت وقوع الأحداث التى يدرسها فى الزمن المطلوب. وهناك بعض الجوانب الأخرى تتعلق بالمعاصرة سوف نتحدث عنها عند الحديث عن تحليل المادة التاريخية.

وعن حداثة العرض. فالمقصود بها أن تكون كتابة الرسالة بطريقة حديثة يتفهمها القارئ. ومن ذلك أن الطالب يجمع المادة التاريخية من مصادر مختلفة. وكل مصدر له أسلوبه وبعض المصادر بها الفاظ أو مصطلحات غير واضحة للقارئ. أضف إلى ذلك ما يقرم الطالب بترجمته من لغات مختلفة بعضها إنجليزى أو فرنسى أو لاتينى أو يونانى وغير ذلك من الكتب الأجنبية التى تناولت جانباً من الموضوع. وعلى الطالب أن يتفهم كل ذلك ويقدمه بأسلوب مترابط دون أن يشعر القارئ بالفرق حتى تخرج الرسالة كلها بنمط واحد هو أسلوب الباحث. وإذا أراد الطالب أن يقتبس كلمة أو أكثر فعليه أن



بضعها بين «قوسين» بحيث يتشئ أعرابها مع ما سبقها وما يلحقها بشرط أن تقدم قضية البحث.

وإذا أراد الباحث أن يحذف جملة أو سطرًا مما ورد داخل القوسين فعليه أن يضع بدلها ثلاث نقاط. أما إذا كان الحذف كثيرًا فعلى الطالب أن يكمل السطر الذي بدأ الحذف منه بالنقط ثم يضع السطر الثاني بالنقط فقط ثم يبدأ من أول السطر الثالث بالمطلوب.

أما إذا أراد الباحث تفسير كلمة وردت بين القوسين فيلزمه وضع التفسير بين قوسين مركبتين [ ] .

وفي ختام هذا المفهوم أقول أن على الباحث أن يضع ذلك في الاعتبار ويتعامل معه بكل دقة حتى يستطيع أن يجمع المادة التاريخية الخاصة بموضوع بحثه على أسس سليمة وحتى لا يذل جهداً مضاعفاً إذا جع المادة التاريخية دون وضوح هذه الرؤية.

#### كيفية جمع المادة التاريخية :

وفي بداية الحديث أرد أن أسوق مثالا للباحث، فعندما كنت في المراحل الأولى للحياة الأكاديمية وكنت بدرجة مدرس حديث، أشركني استاذي معه في الاشراف على إحدى الطالبات وذلك بسبب إعارته للخارج، وعندما علمت الطالبة بذلك حضرت إلى قسائها، ماذا فعلت حتى الآن، قالت لقد قمت بجمع معظم المادة التاريخية، فناقشتها في الأمر، وأخيراً تبين أنها صررت الصفحات الخاصة بموضوعها من العديد من الكتب، فقلت لها أنت لم تجمعي مادة تاريخية فما قمت بنقل المادة من المكتبات إلى المنزل.

ورافق الحال أن عملية جمع المادة تحتاج إلى تركيز وفهم وإدراك وتعایش، ثم تأتي عملية تصنيف وتليق للمادة التاريخية. وقبل أن يبدأ الباحث في عملية جمع المادة التاريخية هناك بعض الأدوات التي يحضرها الطالب، ومن هذه الأدوات بطاقات في حجم كف اليد من ورق مقوى ليدون عليها بيانات

الكتاب الذي يبدأ به ومن ذلك اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المبرمج أو المحقق إن وجد، عدد أجزاء الكتاب، والجزء الذي رجع إليه، وبلد وتاريخ الطبع، والمكتبة التي بها هذا الكتاب ورقته في هذه المكتبة حتى يتمكن الطالب بسهولة للعودة إليه إذا لزم الأمر أو في أبحاث مقبلة، ثم يقوم الباحث بتدوين ملاحظاته عن الكتاب خلف هذه البطاقة مثل عدد صفحاته، القيمة العلمية للكتاب، وهل ما ورد به موجز أو تعمق في جانب أو أنه كتاب سطحي، أو موثق من مصادر وغير ذلك من الأمور التي توضح قيمة هذا الكتاب، وأفضل أن يخصص الباحث لونا معينا لكل نوع من الكتب فليكن اللون الأحمر للمصادر الأجنبية واللون الأخضر للمراجع الأجنبية، واللون الأبيض للمصادر العربية واللون الأصفر للمراجع العربية واللون الأزرق للمخطوطات، وبهذه الطريقة يستطيع الطالب من نظرة واحدة بعد سنة أشهر مثلاً أن يعرف عدد ونوع الكتب التي رجع إليها، وحتى إذا اختلطت بعضها فيمكنه فرزها بكل سهولة.

أما الأدوات الأخرى فعلى الباحث أن يخصص لكل فصل من فصول الرسالة دوسية له كعيب عريض ومزود بحلقات تفتح وتغلق لوضع الأوراق بعد تخريمها. ولما كان من المتعذر انتقال الطالب بهذه الدوسيات بين المكتبات فعليه أن يعد دوسية على النمط السابق له كعيب مناسب ويضع فيه خطة البحث ومجموعة من الأوراق الفارغة أفضل أن تكون في مساحة الكوارتير أو القلوسكاب أي بمساحة الدوسية الذي معه تقريباً، هذا بالإضافة إلى عدد من البطاقات الخاصة بتسجيل بيانات الكتاب.

وعلى الطالب عندما يبدأ بجمع المادة أن يبدأ بأفضل كتاب تناول موضوعه أو جانباً منه مكتوباً باللغة العربية. ثم يبدأ بتسجيل بيانات الكتاب كما إسلفنا ثم يحدد عدد الصفحات التي سينقل منها مادته التاريخية فإذا تبهر له تصوير هذا الجزء وواجهة الكتاب بكل بياناته فهذا أفضل وإذا تعذر فعليه أن يجلس بالمكتبة ويبدأ في نقل المطلوب لجزء جزء ولو صفر على حدة،



بعض أنه وجد في صفحة واحدة كل الأسباب الخاصة بحدث ما، فعليه أن ينقل كل سبب في ورقة مستقلة وسجل على نفس الورقة اسم المؤلف واسم الكتاب والجزء ورقم الصفحة، ولهذه الطريقة أهمية كبرى لأن الباحث سوف يجمع من كل الكتاب كل سبب على حدة وفي النهاية يستطيع أن يجمع كل أوراق سبب واحد مع بعضها، فتكون هناك مجموعة من الأوراق خاصة بالأسباب السياسية أو الدينية، أما إذا كانت هناك أسباب اقتصادية فعليه أن يضع عناوين فرعية مثل الزراعة، الصناعة، التجارة، طرق المواصلات برية أم بحرية أو نهريّة، أو العملة وغير ذلك، وبهذه الطريقة يمكن للباحث جمع الأوراق الخاصة بكل نوع على حدة ووضعها في الدوسية الخاص بها ثم في الجانب المتخصص للأسباب الاقتصادية مثلاً، ولا ينسى الباحث أن يضع في كل صفحة رقم الفصل والموضوع الجانبي للفصل، وبهذه الطريقة يكون الباحث قد جمع ورتب وصنف ما وقع تحت يده من مادة تاريخية، ولا ينسى الطالب أن يوضح في نهاية كل صفحة المصدر أو المرجع الدون في الكتاب الذي نقل عنه وكافة بياناته بما في ذلك أرقام الصفحات.

وهنا أود أن أضيف من خبرتي أن على الطالب أن يحمل معه كراسة أو كشكول مدرسي، ويوسع الباحث أن يخصص في هذا الكشكول صفحة أو أكثر لكل مصدر أجنبي يجده في حاشية من حواشي الكتاب الذي يجمع منه مادته، وفي نهاية الأمر يكون الطالب قد حصر عدد الصفحات المتعلقة بكل مصدر والموضوع المتعلق بهذه الصفحات، فإذا ما رجع لذات المصدر أبداً كان لفته فيما مكانه أن يعرف مسبقاً الصفحات المطلوبة من هذا المصدر، وعلى الباحث ألا يتوقف عن هذه المرحلة، بل عليه أن يقلب الكتاب ليرى عما إذا كان ما سبقه قد تسرا جانباً لم يسجله، وهنا يدرك الطالب ما هو الجديد في هذا الجانب.

وبعد أن ينتهي الطالب من أفضل كتاب تناول موضوعه أو جانباً منه يلجأ إلى كتاب أقل درجة، وهنا سوف لا يبذل الباحث الجهد الذي بذله في

الكتاب الأول بل عليه أن يقرأه ثم ينقل منه ما لم يسجل فقط في الكتاب الأول، وهكذا يتدرج الطالب إلى الأقل فالأقل، وبعد أن ينتهي الطالب من الكتب المدونة يدسفة العربية ينتقل إلى الكتب المدونة بلغته الأولى الأصلية، ويبدأ بأفضل ما فيها، وربما يكون الموضوع مسجلاً في عشرين أو ثلاثين صفحة فعليه أن يترجمها بكل عناية وربما يبذل جهداً كبيراً حسب قدرته على الترجمة، ولكن الجهد الذي يبذله سوف يستفيد منه في الكتب الأقل في المرحلة التالية لأنه استفاد من الترجمة ويوسعه أن يقرأ بسهولة، وعليه أن يسير على الطريقة نفسها الذي اتبعها مع اللغة العربية.

بعد ذلك ينتقل الباحث إلى لغة حديثة أخرى مثل اللغة الفرنسية وسير في الكتب بنفس الطريقة التي اتبعها مع الكتب العربية ثم الإنجليزية، وبعد أن ينتهي منها يكون قد فهم موضوعه بصورة كبيرة ويوسعه أن ينتقل إلى الكتب المدونة باللغات القديمة مثل اللاتينية أو اليونانية، وأخيراً يتوجه الطالب إلى المخطوطات ويتعامل مع المخطوطات المعاصرة للأحداث ثم ما يليها وبهذه الطريقة يكون قد استوعب المادة التاريخية متدرجاً من السهل إلى الصعب، وفي كل مرحلة يتفهم موضوعه أكثر فأكثر.

وأود في هذا الصدد أن أسجل أنه كلما جمع الطالب أجزاء صغيرة من المادة التاريخية يكون من السهل عليه أن يضع هذا الجزء في المكان المناسب بالدوسية الخاص بالفصل وعناوينه، وكما سبق أن ذكرنا أن على الطالب أن يتحرك بالدوسية الصغير معه خطة البحث لينقل المادة في جزئيات صغيرة، وعندما يعود إلى منزله عليه أن يضع ما جمعه من مادة بكل عناية في المكان المناسب حتى إذا ما بدأ في تحليل المادة التاريخية وضع أمامه كل ما جمعه من المادة التاريخية حول نقطة واحدة ليسهل التعامل معها طبقاً للمنهجية العلمية التاريخية والمفاهيم الفكرية التي أوضحتها في الصفحات السابقة.



## تحليل المادة التاريخية:

من المسلم به أن المادة التاريخية لأي بحث علمي تجمع من بطون المصادر بكافة أنواعها، أما الآراء والأفكار ووجهات النظر فتستخذ من المراجع، وعلى الباحث أن يفهم ذلك بوضوح قبل تحليل النصوص، فعندما يقوم الباحث بجمع المادة التاريخية من المصادر والمراجع عليه أن يفرق بين الجانبين، أما المادة التاريخية الموجودة في المصادر هي الأصل والمادة التاريخية الموجودة في المراجع فهي تعين الباحث على فهم المصادر والقدرة على التعامل معها.

ومن حسن حظ الجيل الحالي أن الأجيال السابقة في مصر والعالم العربي والعالم الأجنبي قد تعاملوا مع معظم المصادر الخاصة بالعصور الوسطى بكافة فروعها في الدراسات الطبعية والدراسات البيزنطية وما يتعلق بدراسات أوروبا في العصور الوسطى في الجانب السياسي والحضاري. وعلى الباحث الحالي أن يستفيد من كل ما كتب من دراسات وبحوث حول هذه المصادر، فالتعرف على كاتب المصدر هام للغاية فهل هو متحيز إلى ما كتبه في أحد الجوانب، وهل كان شاهد عيان لبعض الأحداث أم كلها، أم نقل من شهود عيان، ومدى قربه من الأحداث أو من صناع القرار المتعلق بالحدث، أم أنه كان يشغل منصب مرموق في الدولة مكنته من الاطلاع على كل الوثائق أو بعضها.

ومن الأمثلة على النموذج الأخير أن المؤرخ البيزنطي نيكيتاس خونياتس Nicetas Choniates في كتابه «التاريخ» قدم بعض المعلومات المتعلقة بمعركة ميركيفالون Myriokephalon التي وقعت أحداثها بين سلاجقة الروم والإمبراطورية البيزنطية في عام ١١٧٦م لجده قد أورد معلومات سجلها الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول Manuel I (١١٤٣ - ١١٨٠م) في خطاب أرسله إلى الملك الإنجليزي هنري الثاني Henry II (١١٥٤ - ١١٨٩م)، فكيف حصل هنا المؤرخ على هذه الوثيقة، لقد تبين أن المؤرخ نيكيتاس كان يعمل

حاجباً في البلاط البيزنطي، ولعله أطلع على هذا الخطاب أو أنه هو القاء، كتب الخطاب بناء على تعليقات الإمبراطور ومن هنا يتبين أن المناصب التي تدرج فيها المؤرخ أو شغلها ساعدته على تسجيل الأحداث بصورة أقرب إلى الواقع.

وكما ذكرت أن المؤرخين المحدثين قد بحثوا وقدموا لنا معلومات قيمة عن المؤرخين الذين سجلوا في المصادر التاريخية أحداث عصرهم، والواقع أن الأحداث التاريخية تعرف عن طريقين، الأولى هو ما سجل عنها، والثانية هي الآثار المتخلفة عن الأحداث، وتفسير الثانية أن قرات ما ضرت مدينة ما، فإذا زارت هذه المدينة تجد آثار الدمار والخراب الذي لحق بالمدينة. ومن هنا نقول أن ما يسجله الرحالة يمتاز في أحوال كثيرة بدقة التفاصيل عن الأحداث، كما أن الرحالة يسجلون لنا صورة حية عن روح العصر الذي سجلوا أحداثه، وربما لا يتيسر ذلك للمؤرخ المتأخر زمنياً الذي ينقل من مصادر سابقة له أو عن روايات شفوية تنقلها الأجيال.

وهناك نقطة هامة أود الإشارة إليها وهي إن المصدر الأصلي يسجل أحداثاً باعتباره شاهد عيان، أو معلومات سمعها أو نقلها عن شهود عيان، فعلي الباحث بحس التاريخي أن يحدد في النصوص ما سجله المؤرخ كشاهد عيان ويعتبر هذا الجزء مصدراً من الطبقة الأولى، وما سجله نقلاً عن الآخرين باعتباره مصدراً من الدرجة الثانية.

وبلاحظ أيضاً أنه ربما يكون المصدر التاريخي أو الكتاب الواحد من عمل أكثر من مؤرخ، فالكثير من الكتابات التاريخية تدخل عليها إضافات في مواضع مختلفة وربما يكون عليها تعليقات.. وعلى الباحث أن يبحث ذلك إن كان غير واضحاً وذلك عن طريق أسلوب الكتابة وزمتها كلما أمكن له ذلك، لأن ذلك سوف يفيد كثيراً عند نقد الأصول التي استقي منها الباحث مادته التاريخية.



وهناك نقطة أخرى تتعلق بالنقد التاريخي، وهي معرفة المكان والزمان الذي دون فيه المصدر، فالذي يكتب في الموصل ويكتب عن أحداث دمشق، يختلف عن الذي كان في دمشق وسجل الأحداث، وفيما يتعلق بالزمان فالذي يكتب الأحداث في حينها مثل المؤرخ الصليبي أمبرواز Amibroise الذي دون أخبار حملة ريتشارد قلب الأسد - The Crusade of Richard Lion- Heart وحروبه مع صلاح الدين - قد دون الأحداث باليوم والساعة، ومن الواضح أن من يكتب مثل هذه الترميمات قد تختلف عن الذي كتبها صاحبها بعد أسبوع أو شهر أو بعد نهاية الحملة أو بعد ما عاد إلى بلاده بفترة زمنية تكون قصيرة أو طويلة. والحقيقة أن لكل هذه المصادر أهميتها ولكنها تختلف في قيمتها.

والمقصود من تحليل المادة التاريخية هو الوصول إلى الحقائق التاريخية من خلال التوصل التاريخية، وعلى ذلك ينبغي أن يحلل الباحث كل ما ورد في كل مصدر على حدة حتى لا يأخذ كل ما ورد كما هو، فالتحليل عملية ضرورية، لنقد الأصول التاريخية. وبالقدر الذي يتعمق فيه الباحث في نقد الأصل التاريخي تصبح كتاباته أقرب إلى الصواب.

وعلى الباحث إذا قرأ نصاً أن يتعمق في فهم محتوياته، ويجب ألا يستخرج معاني لا وجود لها، وأن يضع نصب عينيه استخراج الحقائق وليس سرائرها. ويجب على الباحث أن يجعل النص يفسر نفسه قبل التعامل معه، وبذلك يصل الباحث إلى المعنى الحقيقي الذي أراد كاتب المصدر أن يسجله.

ومن المهم في هذه المرحلة أن يصل الباحث إلى إيضاح بالمعنى العام للأصل التاريخي، وينبغي ألا تفسر فقرة ما دون فهم الأصل التاريخي في مجرى العام حتى لا يبنى الباحث استنتاجاته على معاني غير سليمة فتكون النتائج خاطئة. وإذا اتبع الباحث هذه القواعد بكل دقة كان نسبة الوقوع في الخطأ قليلة للغاية. وعلى الباحث أن يراعى أن بعض المصطلحات تتغير من

زمن إلى آخر وكلمة وزير في العصور الوسطى تعني أنه الوزير الوحيد الذي يلي الحاكم الأول في الحكم بينما كلمة وزير تعني الآن معنى آخر.

والأمثلة على هذه المصطلحات وغيرها من الأسماء كثيرة جداً، فقد نجد كلمة البيرك ومعناها قلاع الجيش، وكلمة الاشكري ويقصد بها إمبراطور بيزنطة، والامبروز تعني الامبراطور الألماني، وفي أسماء الأشخاص نجد اختلافاً أيضاً فبعض الكتب خاصة الفرنسية تسمى شخصاً باسم راؤول Raoul، والشخص ذاته يسمى عند الانجليز رالف Ralph، وعند الألمان رادولف Radulph، ولبو Leo يطلق عليه عند المسلمين لاون، وهناك أيضاً خلط في أسماء المدينة فعندنا أنطاكية توجد على الساحل الشامى وهناك أنطاكية أخرى في وسط آسيا الصغرى يطلق عليها أنطاكية بسديا، وأخرى على نهر المياندرو.

وهنا أيضاً أسماء السفن الحربية مثل الثانية وجمعها شوانى وطريدة وجمعها طرائد ويجب على الباحث أن يفهم وصف كل واحدة ومهمتها العسكرية ومدى حمولتها حتى يستطيع أن يقدر مدى العمل الذي يمكن أن تقوم به، ويمكنه أيضاً أن يقدر عدد الجنود إذا ما عرف عدد السفن وأنواعها.

وأرد أن أشير أيضاً إلى أن مصادر العصور الوسطى تؤرخ الأحداث حسب الأعياد الرسمية المسيحية وأعياد القديسين، ويلاحظ أن المذهب الأرثوذكسي يختلف في تواريخ الأعياد عن المذهب الكاثوليكي، فإذا كان في يد الباحث مصدراً كاثوليكياً أو أرمينياً أو قبطياً أو أرثوذكسياً أن يراعى ذلك بكل دقة، وهناك قواميس خاصة بذلك لابد أن يرجع إليها الباحث، ومن ذلك على سبيل المثال أن عيد الميلاد عند الكاثوليك هو الخامس والعشرين من ديسمبر، وعند الأرمن السادس من يناير، وعند الأقباط في مصر السابع من يناير. والحقيقة أن مراعاة ذلك بكل دقة سيوفر على الباحث الوقت الكثير.



وعندما يضع الباحث كل هذه الأمثلة وغيرها أمامه يكون قد ملأ تلك تسمية  
البحث التاريخي، وعلى الباحث أن يكون لديه القدرة على تخيل الأحداث زمن  
وقوعها وأنها اعتقد أنه أمر صعب، ولكن على الباحث أن يدرب نفسه على  
ذلك، ولا سجل حدثاً إلا وأمامه خريطة بالمواقع التي يدرسها، وأن يضع ما  
سبق ذكره حول المفهوم الفكري لمصاعب المادة التاريخية، وبهذه الطريقة يتمكن  
الباحث من أن يتسلح كل مصدر على حدة ويكون لديه القدرة للتعامل مع  
مصدر آخر وهكذا مع كل المصادر.

وكما ذكرت أن المصدر يفسر نفسه، فإن المصادر أيضاً تفسر بعضها  
البعض وتكمل أيضاً بعضها البعض، فمن الواضح أنه لا يوجد مصدر واحد  
يشمل على كل المعلومات، فبعضها يذكر عدد الجيش، والبعض الآخر يذكر  
إسم القائد أو القادة المساعدين، أو المعدات أو موقع التجمع وإلى غير ذلك من  
المعلومات، فإذا ما وضعت المصادر إلى جانب بعضها البعض فإنه يمكن حصر  
كل ذلك في معلومة واحدة تفيد الباحث كثيراً في الوصول إلى الحقيقة أو ما  
هو أقرب إليها.

وقد يجد الباحث نفسه أمام مصدر إنفرادي يذكر معلومة لم ترد عند  
الآخرين، وهنا يجب على الباحث أن يبحث فيما قبل الحدث وما بعده حتى  
يستطيع أن يترصد الحدث أو يتنبه.

ومن الأمثلة على إنفراد مصدر بمعلومة دون غيره من المصادر فإن ذلك لا  
يعرف إلا في مرحلة التحليل والكتابة، أو ربما أدرك ذلك الباحث أثناء جمع  
المصادر التاريخية. وسوف أقدم مثلاً عن أفراد أحد المصادر بمعلومة دون غيره،  
وهي أنه قبل قدوم الحملة الصليبية الثانية ومرورها عبر آسيا الصغرى كانت  
هناك حروب بين سلاجقة الروم والامبراطورية البيزنطية، وأن خوف كلا الطرفين  
من الحملة مثلما حدث في الحملة الأولى أدى إلى عقد الهدنة بينهما، وقد  
أشارت المصادر إلى هذه الهدنة ولكن المؤرخ الفرنسي أودو آل دين Odo of

Deuil ذكر أن مدة هذه الهدنة كانت اثنتي عشر عاماً، ولما كانت الحروب بين  
سلاجقة الروم والامبراطورية البيزنطية قد توقفت في عام ١١٤٦م ولم تبدأ بعد  
ذلك إلا في عام ١١٥٨م، فيكون الفرق هو اثنتي عشر عاماً وبذلك تأكدت  
المعلومة التي أوردها المؤرخ أودو آل دين. وقد يجد الباحث نفسه أمام مشكلة  
أخرى إذا ما مجددت الحروب قبل اثنتي عشر عاماً، وهنا على الباحث أن يبحث  
عن أسباب ذلك، فيمكنه القول أن مدة الهدنة ربما كانت إثني عشر عاماً  
ولكنها خرفت بعد سنة أو اثنتين وهكذا. المهم أن يكون هناك في البحث جدل  
وتحليل واستنتاج، وهذا ما يشرى البحث التاريخي. أما إذا توقفت عمل الباحث  
على ما كتب في المصادر ففي هذه الحالة يتحول من باحث إلى جماع مادة.

وربما يصعب المصدر عن ذكر معلومات معينة ولا بد دراسة شخصية  
المؤرخ وما عرضه من مادة تاريخية ربما يعطي الباحث قدراً من الثقة يجعله  
يقدر شيئاً ما. ومن الأمثلة على ذلك ما قدمه لنا الرحالة الفرنسي أركولف  
Arculfus في رحلته عندما زار مصر وبلاد الشرق وبيزنطة ٥٥٠/٦٧٠م عن  
بعض المعلومات عن المسجد الأقصى وكنيسة يوحنا المعمدان في دمشق  
والمعاملة السيئة التي عامله بها أحد المرشدين في الامبراطورية البيزنطية.  
ولكنه صحت عن المعاملة التي لاقاها في مصر والشام، وهذا يرجع أنه عومل  
معاملة طيبة في هذه البلاد.

#### الحواشي:

يجمع الباحث مادته الأصلية عن رسالته من المصادر، أما المراجع فيؤخذ  
منها الباحث الأفكار والآراء أو الأحداث الجانبية غير الرئيسة للموضوع، وقد  
بأني في متن الرسالة بعض الأسماء أو الأماكن أو المصطلحات غير الرئيسة  
لموضوع الدراسة، وتوضع الحاشية أسفل الصفحة للإشارة إلى المصدر أو المرجع  
الذي استقى منه الباحث المادة الواردة في المتن، وإذا كان المطلوب في الحاشية  
تفسير ما ورد في المتن إذا كان غير رئيسي فيجب أن يعقبه حاشية تشير من



أين أتى الباحث بهذه العلمية. وأحياناً يكون الشرح يحتاج إلى صفحة أو أكثر. وهذا يجب على الباحث أن يقدم موجزاً في سطر أو أكثر قليلاً ثم يضع المظهر كاملاً في ملحق يشار إليه أيضاً في الحاشية ذاتها ويوضع الملحق في نهاية الرسالة. وإذا تعددت الملاحق فتأخذ أرقاماً يشار إليها في ذات الحاشية.

ومن المعروف أن إشارة الطالب إلى المصادر الأصلية أو المراجع المتخصصة تقوى الرسالة وتجعل منها رسالة موثقة توثيقاً ممتازاً. أما إذا كانت الإشارة إلى مصادر ضعيفة أو مراجع غير متخصصة تضعف من الرسالة ويجعلها عرضة للشد الشديد. وواقع الحال أن الإشارة إلى المصادر والمراجع هو إشارة قوية من الباحث إلى الاعتراف بفضل أصحاب المصادر وبفضل الآراء أو وجهات النظر أو المعلومات التي وردت في المراجع ويؤكد الطالب أنه أطلع على هذه الكتب وأنه استفاد منها ونسب عليها ما ورد في رسالته. كما أنه يفتح الباب أمام الباحثين المتدئين للمرجع إلى هذه الكتب إذا كانوا يكتبون في الحقبة الزمنية موضوع دراسته.

وأود هنا أن أشرح نقطة هامة جداً في منهج البحث العلمي، فما يأتي به الباحث من مادة أصلية لابد أن يخضع للتحليل ولا يقتصر عمل الباحث على جمع المادة ووضعها إلى جانب بعضها البعض والنقطة الثانية هو أن الطالب إذا سجل رأياً أو وجهة نظر من مرجع فيكون بذلك أصبح مسئولاً للدفاع عن وجهة النظر هذه لأنه عندما أخذها يكون قد اقتنع بها. وعلى الباحث ألا يعتقد أنه أخلى مسئوليته عندما يشير إلى مرجع ما.

وتوضع الحاشية كما ذكرنا للإشارة إلى مصدر أو مرجع أو ملحق بالرسالة أو إلى صفحة في ذات الرسالة. وهناك عدة طرق لوضع الحاشية أسفل الصفحة أو في نهاية كل فصل أو في نهاية الرسالة كلها. ويلاحظ أنه إذا كانت الرسالة مكتوبة باللغة العربية أن تكون أرقام الحواشي مكتوبة باللغة العربية وتوضع

على يمين الصفحة حتى لو كان الكتاب المشار إليه مكتوباً باللغة الأجنبية ويمكن حصر هذه الطرق فيما يلي:

١- يجب وضع خط في الجزء الأخير من الصفحة بعد نهاية المتن وأن يوضع رقماً مسلسلاً لكل صفحة على حدة. ويميزه هذه الطريقة أن الباحث يستطيع أن ي حذف أو يضيف حاشية أخرى في الصفحة ذاتها دون تعديل باقي الحواشي في الصفحات اللاحقة.

٢- إعطاء رقم مسلسل يبدأ من رقم (١) لكل فصل على حدة ويستمر التسلسل إلى نهاية الفصل. ويمكن وضع الحواشي في نهاية كل صفحة وهذا أسهل حتى يتمكن القارئ من متابعة الحواشي مع المتن الواردة في المتن. أو توضع كلها في نهاية كل فصل وهذا النوع الثاني يتطلب قلب الصفحات لتابعة ما ورد في المتن مع الحواشي. ويلاحظ هنا أنه إذا أراد الباحث أن يضيف حاشية في الصفحات الخاصة بهذا الفصل أن يعدل مسلسل ما يلي الحاشية المضافة حتى نهاية الفصل.

٣- إعطاء الرسالة كلها رقماً مسلسلاً من بداية الرسالة حتى نهايتها يبدأ من رقم (١) حتى النهاية وتوضع الحواشي في نهاية الصفحات أو في نهاية الرسالة بأكملها. ولهذه الطريقة عيوبها مثل الواردة في البند الثاني.

ويجب ملاحظة أن رقم الحاشية الذي يرد في متن الرسالة يجب أن يرتفع قليلاً عن السطر ولا توضع نقطة بعد مثال:

..... قبل أن يعطوهم رداً حاسماً. (١)

والحاشية ترد بعد ذكر اسم صاحب الكتاب إذ ذكر اسمه.

ويقول ياقوت الحموي (١) أن ..

وإذا لم يرد اسمه توضع الحاشية بعد نهاية الجملة ووضع النقطة مثال:

وهي قريبة من مدينة انطاكية. (١)



وبلاحظ عند الطباعة كما هو وارد في الأشرطة السابقة أن توضع الأرقام بين قوسين.

وبلاحظ أن يتم فصل ما ورد في متن الرسالة عن الحواشي بخط أفتح وتتلوه الحواشي بخط أصغر من الخط المكتوب به في متن الرسالة، وأن يتم كتابة الحواشي لأول مرة كاملة في الرسالة على النحو التالي:

١- ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب - ج١ - تحقيق سامي الدهان - دمشق ١٩٥١ - ص ١٢٠.

٢- المصدر: نفسه - ص ١٥٠ إذا تلاه مباشرة.  
وإذا اشترك في تأليف الكتاب إثنان أو ثلاثة فيجب أن يذكر أسماء الإثنين أو الثلاثة. أما إذا زاد العدد عن ثلاثة فيكتب إسم الأول ويضاف إليه كلمة «وآخرون». أما إذا كان المؤلف مجهولاً فيكتب بدل إسم المؤلف «مؤلف مجهول».

وهناك بعض المصطلحات خاصة بالكتب الأجنبية ويجب مراعاة استخدامها في الحواشي مثال ذلك.

يكتب المصدر أو المرجع كاملاً في أول مرة بالرسالة ومن ذلك.

١- Runciman, S., A History of The Crusades, Cambridge 1954, I, p. 120.

وإذا كان أكثر من صفحة يكتب pp. 120-2.

٢- إذا أراد الباحث أن يشير إلى نفس الكتاب السابق ونفس الصفحات مباشرة يكتب Idem وهذا يعني مثله أو شرحه.

٣- أما إذا أراد الباحث الإشارة مباشرة إلى ذات الكتاب مع اختلاف الصفحات فيكتب Ibid, p. 12.

وإذا تعددت الصفحات Ibid, pp. 12-14.

وهذا يعني Ibidem أي نفس الكتاب والجزء.

٤- ابن الأثير: المصدر السابق - ج١ - ص ٢٠.

٥- ابن واصل: المصدر السابق - ج٢ - ص ٣٠.

٦- إذا أراد الطالب العودة إلى الكتاب الأجنبي بعد عدة حواشي يكتب

Runciman, op. cit., I, p. 40.

وإذا تعددت الصفحات pp. 40-5 وهذا يعني الكتاب السابق.

٧- محمود سعيد عمران: المرجع السابق ص ٥٠.

٨- عمر كمال توفيق: المرجع السابق ص ٦٠.

وإذا أراد الطالب العودة إلى الكتاب المذكور في حاشية (٦) وتعني

نفس الصفحات فيكتب Runciman, Loc. cit.

وهنا يعني الأجزاء والصفحات والصفحة أو الصفحات نفسها.

وهناك أيضاً بعض المصطلحات الخاصة بأرقام الصفحات مثال

ذلك:

١- إذا أراد الباحث أن يشير إلى عدة صفحات في رسالته وكانت هذه

الصفحات قليلة فيكتب pp. 5f.

٢- أما إذا كان الباحث يشير إلى صفحات كثيرة متصلة فيكتب pp. 5ff.

٣- أما إذا كانت الإشارة إلى صفحات متعددة داخل الكتاب فيكتب Passim

وهي كلمة لاتينية تعني هنا وهناك.

وبلاحظ أن بعض الحواشي تحتاج لاكثر من سطر فعلى الباحث أن يستعمل السطر الثاني والثالث ولكن يلاحظ أن السطر الثاني لا يبدأ تحت



الحاشية بل إلى الداخل بعد رقم الحاشية ومحاذاً للكلمة التي في السطر السابق.

الصور والرسومات والخرائط:

يرى بعض الباحثين إضافة صور فوتوغرافية لإيضاح شيء ما يتحدثون عنه مثل مبنى أو موقع، ويجب أن تكون الصورة واضحة تؤدى الغرض المقصود منها، ويجب وضع الصور في صفحات مستقلة وأن يضع لها عنوان يعرف بها الصورة التي أوردتها، كما يحدد لها رقم خاص بها يوضع أسفل الصورة، ويمكن وضع الصورة بالطول أو بالعرض حسب الأحوال.

أما الرسومات فقد تتطلب البحث وضع رسم معين يكونه الباحث بنفسه، مثل وضع القوات المتحاربة حول مدينة، أو تخطيط داخلي لمدينة لإيضاح بعض الأماكن وما شابه ذلك، ويجب أن ترسم هذه الرسومات بكل دقة وبمقياس رسم مناسب مع وضع مربعات أو دوائر أو مثلثات صغيرة أو وضع دلال يشير إلى مسجد أو صليب يشير إلى كنيسة وهكذا، وينبغي فيها ما اتبع من الصور من العرمان والأرقام.

وليسما يتعلق بالخرائط الجغرافية فيجب أن تؤدى الغرض الموضوع من أجله وأن يكون لها مقياس رسم وأن يوضع شمال الخريطة إلى أعلى سواء وضعت بالطول أو العرض، وعلى الباحث أن يشير إلى الكتاب الذي نقل عنه الخريطة، أما إذا نقل الباحث خريطة صماء بمقياس الرسم المناسب ووضع عليها ما يراه من المواقف والأماكن أو خط سير القوات أو مواقعها فله أن يفعل ذلك، ويمكن أن يفعل ذلك عن طريق الحاسب الآلي ثم يوقع عليها باعتباره مسئولاً عنها، ويجب أيضاً وضع عنوان لكل خريطة بالإضافة إلى رقمها لسهولة الإشارة والرجوع إليها في صفحاتها.

## الفصل الثانى

### المصادر المبكرة لبيزنطة وأوروبا العصور الوسطى

- يوسيبوس القيصرى.
- أميانوس مارسلينوس.
- زوزيموس.
- بولس أروسيوس.
- القديس جيروم.
- چوردانس.
- إيفاجريوس.
- إيدور الإشبيلي.
- بروكوبيوس.
- فيكتور أف تونونا.
- جريجورى التورى.
- بولس الشماس.



## مقدمة

لم تأت الكتابة التاريخية الأوروبية في العصور المسيحية الأولى من فراغ، فقد سبقها ما كتبه المؤرخون اليونان ثم الرومان، وواقع الأمر أن أصول الكتابة التاريخية عند اليونان أنت كجزء من الحركة الفكرية العظيمة التي أتفق على تسميتها حركة النورين التاريخي القديم، وهي الحركة السابقة للمؤرخ هيرودوت Herodotus (٤٩٠ - ٤٢٥ ق.م)، ويرى البعض أن الكتابة التاريخية هذه لها عدة تفسيرات، فقد اعتبرها البعض أنها جزء من فلسفة الفقه اليوناني، يضاف إلى ذلك إن علينا أن ندرك رغبة بعض المواطنين اليونانيين البارزين في أن يصفوا على عائلاتهم الأنساب والألقاب المرموقة، ومن هنا نجد أن بعض الكتاب المحترفين استخدموا براعتهم في الكتابة ومجدوا النبلاء وبعض طبقة القوم. يضاف إلى ذلك إهتمام اليونانيين بدراسة الجغرافيا ووصف الأجيال والأنساب، وقد ساعد ذلك كله على وضع أسس الكتابة التاريخية عند اليونان.

وبعد هذه المرحلة تأتي مرحلة هيرودوت، وهو مؤرخ له شهرته بصفته أول مؤرخ بارز في عالم الكتابة التاريخية، وصاحب أول كتاب تاريخي شامل، وهو الذي أوضح أن مهمة المؤرخ هو أن يعيد بناء حياة الإنسان والشعوب والحكام في الماضي، ومن هنا بات الإهتمام بالتاريخ الحضاري.

وجاء بعد اليونانيين حكم الإمبراطورية الرومانية، والحقيقة أن الرومان لم يقدموا الكثير في علم الكتابة التاريخية، وأن الرومان لم يكونوا مبتكرين في هذا المجال مثلما كان الحال في معظم المجالات الأخرى، فقد ساروا على الفكر اليوناني وإن كان هناك بعض المؤرخين البارزين مثل ليفي Livy (٥٩ - ١٧ ق.م) صاحب كتاب بدايات تاريخ روما The Early History Rome، أو تاسيتوس Tacitus (٥٦ - ١١٧ م) الذي وضع كتاباً عن حوليات الإمبراطورية



الرومانية The Annals of in Perial Rome وكتاب آخر هو أجريكولا وجرمانيا The Agricola and the Germania. وواقع الحال أن ليسى وتاكيتوس يعتبران المؤرخان الرومانيان اللذان وصلتا إلى مرحلة يتضح فيها رقى وتقدم أسلوب الكتابة التاريخية عند الرومان إلى الدرجة التي كانت عند اليونانيين.

وواقع الحال أنني لا أستطيع في هذه الصفحات أن أتحدث عن المؤرخين الرومان، إلا أنه يمكن القول أنهم اعتمدوا اعتماداً مباشراً على ما سبقهم من الكتاب اليونانيين حتى أنهم أي الرومان ظلوا يدونون كتاباتهم التاريخية باللغة اليونانية. ورغم أن المؤرخين الرومان لم يكونوا مبدعين وأنهم ظلوا إلى حد كبير تحت تأثير المنهج اليوناني إلا أنه يلاحظ أن ما سجلوه كان أكثر واقعية وأقرب إلى الحقيقة وأقرب إلى علم الكتابة التاريخية. وأفضل من المؤرخين المسيحيين الذين جاؤوا بعدهم مباشرة لأنهم خلطوا التاريخ بالأساطير والتعصب الديني.

أما فيما يتعلق بالكتابة التاريخية في العصور المسيحية الأولى، فإنه يمكن القول أن انتصار المسيحية على الوثنية قد أحدث تغييرات كثيرة في مفاهيم علم الكتابة التاريخية، فمن الوجهة الرسمية والشعبية استبعدت الثقافات الوثنية وكل ما يدور في ذلكها باعتبارها عملاً من عمل الشيطان، وترتب على ذلك أن أخذت منهج الكتابة التاريخية عند المسيحيين واحتقروا منطق العقل الذي كان سائداً عند اليونان واستبدلوا به منهج الإيمان الذي يسهل تصديقه. ومعنى ذلك أن الفكر المسيحي في بدايته قد ربط النظرية الفلسفية التي توصل إليها من سبقهم من العلماء بالأساطير والحرفات وأصبح كل فكر غير مسيحي يعتبر فكراً وثنياً يتصف بالخداع. ومعنى ذلك أيضاً أن انتصار المسيحية على العالم الوثني القديم على ضوء هذا المفهوم يعتبر كارثة على علم الكتابة التاريخية لأن الديانة المسيحية الجديدة لم تعترف إلا بمنهج الإيمان.

ورغم هذا كله فإن رجال الدين المسيحي الأوائل لم يتمكنوا من التخلص من التأثيرات الوثنية القديمة لأنهم عاشوا ونشأوا تحت هذه التأثيرات ولم يتمكنوا من التخلص منها تماماً، ومن هنا أثرت الثقافة الوثنية في الكتابات التاريخية بالفكر الذي أثرت فيه الثقافات اليهودية عليهم. ومن هذه التأثيرات بلاغة القدماء، واستخدامهم اللغات القديمة في الكتابات المسيحية لأنه لم يكن هناك لغات أخرى يمكن استخدامها في كتاباتهم.

ومع الانتقال من المرحلة الفكرية الوثنية في الكتابات التاريخية إلى المرحلة المسيحية في كتابة التاريخ نجد أن الوثنية قد ساعدت بشكل كبير في علم التاريخ، فقد تأثر المسيحيون بالكتابات الكلاسيكية وبلاغتها وقواعدها. ولقد دخل هذا التأثير على الكتابات التاريخية بفضل الأفلاطونية الحديثة التي أدخلت تبريراً فلسفياً على منهج المسيحيين المتعلق بالإيمان، فقد كانت النظرية المسيحية تنادي بتفوق العواطف على العقل، وطالبت بضرورة التصك بلا حدود بكل ما يتصل بالأمور الدينية. وقد وجدت هذه الأفكار صدى كبير لدى رجال فكر آباء الكنيسة، حتى أصبح هذا المنهج هو الأساس الفكري لدى المؤرخين في بدايات العصور الوسطى واستمرت كذلك طالما استمرت هذه العصور.

ومن منهج الكتابة التاريخية عند الوثنيين والفكر الإيماني لدى رجال العصور الوسطى ظهرت النظرية الفلسفية المسيحية للكتابة التاريخية وهي النظرية التي طورها على مراحل الآباء المسيحيون حتى شرفها القديس أوغسطين Saint Augustine (354 - 430م) وهو رجل الدين والفيلسوف الذي حاول التوفيق بين فكر الأفلاطونية الحديثة والعقيدة المسيحية، ويظهر ذلك واضحاً بشرح واف في كتابه الشهير مدينة الله City of God وكتابيه الآخر الاعترافات Confessions وفي كتاباته الأخرى. وكان لهذان الكتابان أثراً كبيراً على الفكر المسيحي في كافة نواحيه في غرب أوروبا، ومن الملاحظ أن فلسفة أوغسطين هذه كانت نتيجة خلاصة ما قرأه من الفكر الفارسي



واليوناني والهليني والعبري، ومحور هذا كله أن العملية التاريخية أصبحت تعبراً عملياً عن الصراع الديني بين الخير والشر والذي ينتهي دائماً بانتصار الخير.

ويمكن أن نعتبر أن أول مؤرخ مسيحي وضع تاريخاً للشرية ويتفق مع المنهج التاريخي المسحي هو سكستوس جوليس الإفريتي Sextus Julius Africanus (حوالي ١٦٠ - ٢٤٠ م)، وقد وضع سكستوس كتاباً عن تاريخ العالم من بداية الخلق حتى عام ٢٢١ م أسماه Cesta وترجموه إلى Chronologia أو Embroidered Girdles أو Boxing Gloves ويمكن أن نرجع إلى العربية تحت مسمى حساب الزمن. ويتضح اختيار هذه الترجمة للطريقة التي أتبعها سكستوس في حساب الزمن، فقد أطلع المؤرخ على الكتابات السابقة المختلفة التي سجلها السابقون من الوثنيين واليهود بالإضافة إلى التوراة والانجيل، وقد رتب المؤرخ الأنبياء والحكام ومدة حياة أو حكم كل منهم وعاد إلى الوراء حتى وصل إلى بداية نزول سيدنا آدم ووجد أن ذلك يرجع إلى عام ٥٤٩٩ ق م، ولكن المؤرخين البيزنطيين الذين خلفوا سكستوس اختلفوا معه قليلاً حول هذه البداية، فقد سجل المؤرخ نيرفانيس Theophanes (ت ٨١٢ م) تاريخية على طريقة بداية الخلق Annus Mundi وأعتبر أن البداية تعود إلى عام ٥٤٩٢ ق م، أما الإمبراطور والمؤرخ قسطنطين بروفيزوجينوس Constantin Prophyrogentas (٩١٢ - ٩٥٧ م) فقد أعادها إلى عام ٥٥٨ م. ومن المهم أن نذكر أن سكستوس اعتقد أن العالم سيستمر بعد مولد السيد المسيح بحسمانة عام ثم يبدأ بعدها العصر الألفي أي أن العالم سيستمر ألف وخمسمائة عام بعد ميلاد السيد المسيح. ومن المؤرخين المسيحيين الذين قاموا بعملية إحصائية للوصول إلى بداية نزول سيدنا آدم إيدور الإشبلي Isidore of Seville (ت ٦٤٦ م) وأعتقد بداية الخلق يرجع إلى ٤٨١٤ م. أما فيما يتعلق بالتاريخ اليهودي فيعود إلى عام ٣٧٦١ م.

- يوسيبوس القيصري :-

وجاء بعد سكستوس كاتب آخر يعتبر من أهم كتاب التاريخ في مطلع المصور الوسطى وهو يوسيبوس القيصري Eusebius of Caesarea وقد اشتهر بهذا الاسم لأنه تولى أسقفية مدينة قيصرية في فلسطين، ويعرف أيضاً باسم يوسيبوس بنابيليس Pamphilus نسبة إلى أساقفه أسقف قيصرية السابق. وقد ولد يوسيبوس في مدينة قيصرية عام ٢٦٣ م وتلقى علومه في قيصرية وأنطاكية وتعلم الدراسات الدينية على يد الأسقف أجابوس Agapius. وقد تقلد يوسيبوس أسقفية قيصرية منذ عام ٣١٤ حتى وفاته عام ٣٣٩.

وقد تعمق يوسيبوس في علوم زمانه مثل التاريخ القديم وبخاصة تاريخ الشرق ودياناته، كما درس علوم الجغرافيا والفلك وحساب التقويم وتعلم البلاغة حتى أصبح خطيباً فصيحاً بليغاً أتقن الكلمة، وقد ذاعت شهرته وسمت الآفاق فحظى عند الإمبراطور قسطنطين العظيم بمكانة رفيعة فقره إليه وشرح له الكتاب المقدس في خمسين خطاباً شرحاً عظيماً، ويطلق أيضاً على يوسيبوس اسم «أب التاريخ الكنسي».

وقد اتفق أسلوب يوسيبوس في الكتابة مع أسلوب أريوس Arius صاحب المذهب الأريوسي، ولكن كتابات يوسيبوس لا تشير إلى أنه اعتنق المذهب الأريوسي، وإذا كان البعض قد اعتبره من أنصار الأريوسيين. والحقيقة أن جميع الطوائف المسيحية تعترف بما كتبه يوسيبوس. وقد تعددت كتابات هذا الأسقف والمؤرخ الذي صار يسجلها حتى بلغ الثمانين من عمره، وقد حاول يوسيبوس في كل أعماله الرد على أعداء المسيحية من فلاسفة وثنيين ويهود، واعتبر أن الله قدر للمسيحية أن تراث العالم، وأن العالم قد تهيأ لاستقبالها.

وكتب يوسيبوس مجموعة من الأعمال أهمها التاريخ العالمي Universal History، وكتاب الدفاع عن المسيحية وكتاب التحضير



Praeparatio ليظهر من خلاله أباطيل الديانات الوثنية واضرارها، ويسبرهن على تفوق اليهودية على الوثنية. كما صنف البرهان الانجلي Demonstratis Evangelica ليدافع به عن المسيحية ضد الاتهامات اليهودية بأنهم تهودوا ليخرجوا على اليهودية. ويشرح أيضاً بأن شرائع سيدنا موسى أنزلت لتكون حلقة وصل بين الأنبياء السابقين والسيد المسيح. وأخيراً يأتي كتاب حياة الامبراطور قسطنطين Vita Constantine. وكتاب التاريخ الكنسي.

وإذا كنا في هذه الصفحات نتعامل مع بريسبيوس كمنزوخ فإن ما كتبه في التاريخ الكنسي قد أرح فيه للكنيسة الجامعة منذ ظهور السيد المسيح حتى عصره. وسجل بريسبيوس في هذا الكتاب الاضطهادات التي حلت بالمسيحيين. والعذاب الالهى الذى حل بكل من اضطهد المسيحيين بداية من اليهود حتى الأباطرة الرومان. والمحققة أن هذا الكتاب يعتبر المصدر الأول لتاريخ الكنيسة منذ أنشائها حتى عصر بريسبيوس. ويقع الكتاب في عشر فصول رئيسية. ويبدأ من طبيعة وأعمال السيد المسيح. وينتهي بالسلام وانتصار السحرة، وانتصار الامبراطور قسطنطين.

أما الكتاب الثانى فهو كتاب حياة قسطنطين. فهو يتضمن أربعة فصول كبيرة أو أربعة كتب. وقد بدأ المؤرخ الكتاب الأول بموت الامبراطور قسطنطين وسجل فيه تسعة وخمسين موضوعاً آخرها «بعد أن صار مكسيميان Maximian [حاكم الأقطار الشرقية في الامبراطورية] أعشى أصدر أمراً ملكياً في مصلحة المسيحيين. أما الكتاب الثانى فقد احتوى على ثلاثة وسبعين موضوعاً وبدأ بالاضطهاد الذى أثاره ليسينيوس Licinius الذى قتل بعض الأساقفة في أماسيا في إقليم بيطس وانتهى باستمرار المازعات التى أثارها أريوس. وفيما يتعلق بالكتاب الثالث فقد تضمن ستة وستين موضوعاً بداية من مقارنة بين تقوى قسطنطين وشر المضطهدين وانتهى «باكتشاف بعض الكتب المشووعة عند الهراطقة». أما الكتاب الرابع والأخير فإنه احتوى على خمسة وسبعين موضوعاً. أولها كيف أكرم الامبراطور قسطنطين الكثير بالهدايا والشرقيات. وانتهى بأن الامبراطور قد تناق بالباطرة لسابقين في

عبادة الله. ولهذا الكتاب أهمية خاصة في التاريخ المسيحى لأن المؤرخ كان شاعداً عياناً على ما كتب. وأنه لم يترك صغيرة أو كبيرة دون أن يسجلها. ورغم عدم التزامه تماماً بالترتيب الزمنى. كما أنه لم يسجل شيئاً عن مدينة القسطنطينية.

- أميانوس مارسلينوس:

ومن الكتب التاريخية الهامة التى جاءت بعد حياة قسطنطين للمؤرخ بريسبيوس هو الكتاب الذى وضعه أميانوس مارسلينوس Ammianus Marcellinus (٢٣٠ - ٤١٠ م). وقد ولد أميانوس في مدينة أنطاكية لوالدين يونانيين وثنيين، وبذلك ولد وثنياً وظل كذلك حتى نهاية حياته. ولكنه كان حراً في أفكاره مع الكنيسة. وقد تلقى أميانوس تعليمه في المدينة التى ولد بها. وكانت هذه المدينة في تلك المرحلة من أهم المدن في الامبراطورية حيث كان بها أهم مدارس الفلسفة والقانون والفكر الدينى الوثنى ثم المسيحى. وقد تتلمذ في هذه المدينة على يد مشاهير عظام نذكر منهم المفكر والخطيب البرائى الانطاكى الأصل ليسانوس Libanius (٣١٤ - ٣٩٣ م). وبروحنا فم الذهب John Chrysostom (٣٤٥ - ٤٠٧ م) تلميذ ليسانوس. فقد كانت المدينة تعتبر من أروع مدن الشرق اليونانى حتى أن المؤرخ أميانوس سماها «تاج الشرق الجميل».

وقد التحق أميانوس بالجيش حوالى عام ٣٥٣ م. وترقى في الوظائف العسكرية حتى بلغ أعلى المراتب. كما لمع في أداء واجبه العسكرى في بلاد الغال كما أشترك في الحرب الفارسية مع الامبراطور جوليان المرتد في عام ٣٦٣. وبعد أن تقاعد من الخدمة العسكرية قام برحلة إلى روما في عام ٣٧٨ م. وفي رحلته هذه جمع مادة تاريخية كبيرة. وفي نهاية الأمر عاد إلى أنطاكية حيث ظهرت مواهبه الأدبية التاريخية وأخذ على عاتقه تكملة كتاب المؤرخ الرومانى تاكيتوس.

وقد كتب أميانوس كتاباً أرخ فيه للحقبة الممتدة من عام ٩٦ حتى ٣٧٨ م



بلغة لاتينية فصيحة. وقد جاء مصنفه في واحد وثلاثين جزء. فقدت الثلاثة عشر الأولى منه. وتنازلت الأجزاء الباقية الأحداث التاريخية الواقعة بين الفترة الممتدة من ٢٥٢ حتى ٣٧٨ م وهي السنة التي وقعت فيها معركة أدورنه وتشمل فيها الامبراطور فالتر Valens.

ورغم أن أميانوس كان على صلة قوية بالفيلسوف والبلغ ليبانوس إلا أن أميانوس ورغم وثيقته كان أكثر تسامحاً مع المسيحيين، ولم يؤثر ذلك على حياته ونظرة الموضوعية لما سجله من أحداث. وقد اهتم أميانوس بالاخلاق والشخصيات والمؤسسات الاجتماعية.

- زوزيموس -

ومن المؤرخين الذين قدموا جانباً هاماً في حقل المصور الوسطى المؤرخ البيزنطي زوزيموس Zosimus. وهو من مؤرخي القرن الخامس والسادس الميلاديين. وتاريخ ميلاد هذا المؤرخ غير معروف لدينا. كما أنه ليس لدينا معلومات كثيرة عن ظروف حياته أيضاً إلا أنه قدم تاريخاً قسماً عن الإمبراطورية الرومانية حتى عام ٤١٠ م. كما أنه كان محارباً وشغل منصب وزير الخزانة في الإمبراطورية البيزنطية وأنه كان وثيقاً وساند الوثنيين. كما أن المنطقة التي عاش فيها ليست معروفة لدينا. ولكنه كان معاصراً للإمبراطور البيزنطي أناستاسيوس Anastasius (٤٩١ - ٥١٨ م). وهناك عدة أسباب لهذا الاعتقاد. منها أن المؤرخ يوستانيوس ألباني Eustathius of Epiphania الذي قدم لنا ما كتبه زوزيموس وأكماله حتى عام ٥٠٢ م. وهناك معلومة أخرى قدمها المؤرخ زوزيموس نفسه وهو أنه تحدث عن بعض الضرائب. وأن هذه الضرائب ألغيت في عام ٥٠١ م.

وقدم لنا زوزيموس كتابه تحت اسم «تاريخ الإمبراطورية البيزنطية» في ستة كتب. وهو يبدأ بالامبراطور أوغسطس Augustus. واستمر يقدم التاريخ باختصار حتى عام ٢٧٠ م. وبعد هذه الرحلة نلاحظ بعض التفاصيل في

الأحداث. واستمر حتى الأحداث الخاصة بمهاجمة روما على يد الأمريك عام ٤١٠ م. ومن الواضح أن زوزيموس كان ينوي أن يستكمل هذا الكتاب. ولكن يبدو أن هناك بعض الظروف التي منعت من ذلك وربما يكون ذلك بسبب وفاته. والكتاب بعد عملاً ترتيبياً عن تاريخ الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع. والكتاب لا يخلو من الشعور بالنقد. ويتضمن فلسفة المؤرخ. ويلاحظ من كتابات المؤرخ أنه كان وثيقاً وأنه احترم الآلهة الرومانية القديمة.

ولقد قدم لنا المؤرخ بصورة تدريجية فساد الحكم في الإمبراطورية. وأرجع ذلك كله إلى تخلى حكام الإمبراطورية عن عبادة الأوثان. كما أنه كان يؤمن بالمخافات. ويقع الكتاب في ستة فصول كما سبق أن أوضحنا. ويبدأ الكتاب الأول بالحديث عن الإمبراطورية الرومانية وحروبها مع جيرانها خاصة مع هانيبال Hannibal ومعركة كاناي Cannae عام ٢١٦ م. ثم عاد وتكلم عن الاسكندر الأكبر Alexandre The Great وخلصائه والحروب مع الفرس. كما تحدث عن زنوبيا Zenobia ملكة مملكة تدمر Plamyra والامبراطور الروماني أورليان Aurelian (٢٧٠ - ٢٧٥ م) والحروب التي دارت في هذه المرحلة.

أما الكتاب الثاني فيبدأ بالحديث عن بعض الآلة الوثنية الجرمانية ثم انتقل إلى ذكر الأحداث التي أعقبت اعتزال الامبراطور دقلديانوس Dicoletian (٢٨٤ - ٣٠٥ م) وتطرق إلى الصراع الذي دار بين القيادة العسكرية الرومان حتى وصل الإمبراطور قسطنطين إلى الحكم بعد قضاؤه على خصمه الأخير ليسينوس Licinius وبناء قسطنطين لمدينة القسطنطينية ثم حكم أولاده من بعده. ثم الامبراطور جوليان وحروبه مع الفرس. ويلاحظ أنه قدم مادته التاريخية دون مراعاة للترتيب الزمني.

وفيما يتعلق بالكتاب الثالث فقد بدأه بالكتابة عن عناصر البرابرة في أوروبا ثم عاد للحديث عن الامبراطور جوليان. وفي هذا الفصل قدم لنا المؤرخ جانباً طيباً عن أحوال الإمبراطورية في عهد جوليان والحروب التي دارت مع الامبراطورية الفارسية. وانتهى هذا الكتاب بمصرع الامبراطور جوليان.



وفيما يختص بالكتاب الرابع فقد صدره بالحديث عن الإمبراطور فالتر  
وقدم لنا صادة تاريخية جيدة حول هذا العهد، ثم انتقل إلى الإمبراطور  
ثيودوسيوس Theodosius (٣٧٩ - ٣٩٥ م) والحروب التي دارت مع العناصر  
الجرمانية شمال نهر الدانوب، وذكر أسماء القادة العسكريين الذين ظهوروا في  
هذه المرحلة مثل روفينوس Rufinus، وأريوجاست Arbogastes وسيلكو  
Stilico، وانتهى هذا الفصل بموت الإمبراطور ثيودوسيوس وتبعه ابنه  
هونوريوس Honorius إمبراطوراً على غرب الامبراطورية (٣٧٩ - ٤٢٣ م) قبل  
أن يتخذ الإمبراطور طريقه إلى القسطنطينية حيث توفي.

وسجل زوزيموس في الكتاب الخامس أحداث الامبراطورية أيام  
الإمبراطور أركاديوس والإمبراطور هونوريوس وتحدث بتوسع عن أليك ملك  
القوط الشرقيين وقدم صادة تاريخية عن علاقته بالإمبراطور والحروب التي  
دارت في تلك المرحلة وكذلك أطاع أليك في الامبراطورية، وكيف استدعت  
الامبراطورية عشرة آلاف من عناصر الهون لمقاتلة أليك.

والكتاب السادس والأخير فهو جزء قصير من الكتاب الكلي وقد استمر  
المؤلف في كتابه عن الامبراطورية في عهد الإمبراطور هونوريوس وظهور  
شخصية القائد أتلوس Attalus، وانتهى هذا الجزء بحصار أليك لمدينة روما  
التي وقعت أحداثه عام ٤١٠ م.

- بولس أوريوس:

كان بولس أوريوس Paulus Orosius مؤرخاً ومدافعاً عن المسيحية  
وقد ولد بين عامي ٣٨٠ - ٣٩٠ م في مدينة براجه الحالية Brage التي تقع في  
دولة البرتغال، وتاريخ وفاته غير معلوم لدينا، ولما كانت مؤلفاته تنتهي بعام  
٤١٨ م فإن وفاته تكون بعد هذا التاريخ، كما أن أسد الأول بولس لم يعرف إلا  
في القرن الثامن الميلادي. ومن الواضح أنه بدأ حياته في الحياة الدينية، وبعد  
أن وصل إلى السن المناسب ذهب نفسه لخدمة الديانة المسيحية ثم أصبح كاهناً.

ولقد ذهب أوريوس إلى شمال أفريقيا في عام ٤١٣ أو ٤١٤ م لسبب غير  
معروف وهناك التقى بالقديس أوغسطين في مدينة هيبو Hippo ليستفسر  
منه عن بعض الجوانب الدينية خاصة ما يتعلق بأصل الروح.

ولقد كان أوريوس مسيحياً تقياً، لذلك هاجم الهرطقة، وقد وجد  
أوغسطين فيه سداً قوياً للمسيحية، لذلك أرسله إلى القدس بفلسطين حيث  
كان القديس جيروم فأنضم إليه مدافعاً عن المسيحية ضد البدع التي سادت تلك  
المرحلة. وفي عام ٤١٥ عقد بوجنا أسقف مدينة القدس مجتمعا في المدينة  
لمناقشة أمور العقيدة المسيحية، وفي هذا المجمع هاجم أوريوس الهرطقة  
دون هوادة، وكتب عدة كتب دفاعاً عن المسيحية الحق، وكان مما هاجمه  
أوريوس هرطقة بلاجيوس Pelagius صاحب المذهب المنسوب إلى اسمه وهو  
مذهب بلاجيانزم Pelagianism الذي أنتشر في هذه المرحلة.

غادر أوريوس فلسطين في عام ٤١٦ م وعاد إلى القديس أوغسطين  
في مدينة هيبو، وبعد فترة ليست طويلة عاد أوريوس إلى وطنه، وفي  
الطريق عرج على جزيرة مينورقا Minorca وسمع عن الحروب والدمار الذي  
أنزله الوندال بالمنطقة، وما لبث أن عاد أوريوس إلى القديس أوغسطين مرة  
أخرى. وفي هذه المرحلة اقترح القديس أوغسطين على أوريوس أن يكتب  
تاريخاً للعالم.

وترجع رغبة القديس أوغسطين إلى أنه باعتباره من كبار رجال الدين  
المسيحي ومن اللذين صاغوا فلسفتها أن لا يسكت على ما كتبه الوثنيون في  
العصر الوثني من أحداث تاريخية، وكان يرى أن يسجل تاريخاً للبشرية يحمل  
الفكر المسيحي ويكون له طابعاً رسمياً داخل الكنيسة خاصة في تلك المرحلة  
المرجحة من تاريخ المسيحية، فقد تعرضت روما للحصار وهاجمها أليك ملك  
القوط في عام ٤١٠ م واتهم الوثنيون المسيحية بأنها سبب هذا البلاء الذي حل  
بالبلاد.



وقدما يختص بالكتاب الرابع فقد صدره بالحديث عن الإمبراطور فالتر  
وقدم لنا مادة تاريخية جيدة حول هذا العهد، ثم انتقل إلى الإمبراطور  
ثيودوسيوس Theodosius (٣٧٩ - ٤٥٠ م) والحروب التي دارت مع العتاسر  
الجرمانية شمال نهر الدانوب، وذكر أسماء القادة العسكريين الذين ظهروا في  
هذه المرحلة مثل روفينوس Rufinus، وأربوغاست Arbogastes وسيليكوس  
Stilico، وانتهى هذا الفصل بموت الإمبراطور ثيودوسيوس وتبعه ابنه  
هونوريوس Honorius إمبراطوراً على غرب الإمبراطورية (٣٧٩ - ٤٢٣ م) قبل  
أن يتخذ الإمبراطور طريقه إلى القسطنطينية حيث توفي.

وسجل دوزيوس في الكتاب الخامس أحداث الإمبراطورية أيام  
الإمبراطور أركاديوس والإمبراطور هونوريوس وتحدث بتوسع عن أليكس ملك  
القوط الشرقيين وقدم مادة تاريخية عن علاقته بالإمبراطور والحروب التي  
دارت في تلك المرحلة وكذلك أطاع أليكس في الإمبراطورية، وكيف استدعت  
الإمبراطورية عشرة آلاف من عاصر الهون لمقاتلة أليكس.

والكتاب السادس والأخير فهو جزء قصير من الكتاب الكلي وقد استمر  
المؤلف في كتابه عن الإمبراطورية في عهد الإمبراطور هونوريوس وظهور  
شخصية القائد أتلوس Attalus، وانتهى هذا الجزء بحصار أليكس لمدينة روما  
التي وقعت أحداثه عام ٤١٠ م.

- بولس أوريوس -

كان بولس أوريوس Paulus Orosius مؤرخاً ومدافعاً عن المسيحية  
وقد ولد بين عامي ٢٨٠ - ٢٩٠ م في مدينة براجه الحالية Brage التي تقع في  
دولة البرتغال، وتاريخ وفاته غير معلوم لدينا، ولما كانت مؤلفاته تنتهي بعام  
٤١٨ م فإن وفاته تكون بعد هذا التاريخ، كما أن اسمه الأول بولس لم يعرف إلا  
في القرن الثامن الميلادي. ومن الواضح أنه بدأ حياته في الحياة الدينية، وبعد  
أن وصل إلى السن المناسب ذهب نفسه لخدمة الديانة المسيحية ثم أصبح كاهناً.

ولقد ذهب أوريوس إلى شمال أفريقيا في عام ٤١٣ أو ٤١٤ م لسبب غير  
معروف وهناك التقى بالقديس أوغسطين في مدينة هيبو Hippo ليستفسر  
منه عن بعض الجوانب الدينية خاصة ما يتعلق بأصل الروح.

ولقد كان أوريوس مسيحياً ثقيلاً، لذلك هاجم الهرطقة، وقد وجد  
أوغسطين فيه متداً قوياً للمسيحية، لذلك أرسله إلى القدس بفلسطين حيث  
كان القديس حروم فأنضم إليه مدافعاً عن المسيحية ضد البدع التي سادت تلك  
المرحلة. وفي عام ٤١٥ عقد يوحنا أسقف مدينة القدس مجمعاً في المدينة  
لمناقشة أمور العقيدة المسيحية، وفي هذا المجمع هاجم أوريوس الهرطقة  
دون هراود، وكتب عدة كتب دفاعاً عن المسيحية الحق، وكان مما هاجمه  
أوريوس هراطقة بلاجيوس Pelagius صاحب المذهب المنسوب إلى اسمه وهو  
مذهب بلاجيانزم Pelagianism الذي أنتشر في هذه المرحلة.

غادر أوريوس فلسطين في عام ٤١٦ م وعاد إلى القديس أوغسطين  
في مدينة هيبو، وبعد فترة ليست طويلة عاد أوريوس إلى وطنه، وفي  
الطريق عرج على جزيرة مينورقا Minorca وسمع عن الحروب والدمار الذي  
أنزله الوندال بالمنطقة، وما لبث أن عاد أوريوس إلى القديس أوغسطين مرة  
أخرى. وفي هذه المرحلة اقترح القديس أوغسطين على أوريوس أن يكتب  
تاريخاً للعالم.

وترجع رغبة القديس أوغسطين إلى أنه باعتباره من كبار رجال الدين  
المسيحي ومن الذين صاغوا فلسفتها أن لا يسكت على ما كتبه الوثنيون في  
العصر الوثني من أحداث تاريخية، وكان يرى أن يسجل تاريخاً للبشرية يحمل  
الفكر المسيحي ويكون له طابعاً رسمياً داخل الكنيسة خاصة في تلك المرحلة  
المرجحة من تاريخ المسيحية، فقد تعرضت روما للحصار وهاجمها أليكس ملك  
القوط في عام ٤١٠ م واتهم الوثنيون المسيحية بأنها سبب هذا البلاء الذي حل  
بالبلاد.



وأمام هذه الاتهامات عهد القديس أوغسطين إلى أوروسبيوس بالرد على هذه الاتهامات. وقد قبل الأخير ما عرضه عليه القديس أوغسطين وبدأ يستعد لهذا العمل الكبير بجمع المادة التاريخية والدينية اللازمة لذلك، وأعد أبحاثاً للدفاع عن المسيحية ضد من يخالفون التعاليم المسيحية، مستنداً فيها إلى آراء القديس أوغسطين والأناجيل، وما كتبه المؤرخ يوسيبوس القيصري، والقديس جيروم، ولبقى، وبعض المصادر الأخرى. والحقيقة أن أوروسبيوس وإن كان قد اعتمد في صадته التاريخية على بعض المؤرخين الذين سبقوه فإنه اعتمد تماماً على نظرية القديس أوغسطين الفائلة ببدأ القضاء والقدر في الأحداث التاريخية وفي تاريخ الأمم، وطبقاً لهذه النظرية فإن العالم قد حكته إمبراطورتان هما الإمبراطورية البابلية في الشرق والإمبراطورية الرومانية في الغرب، وقد ورثت الإمبراطورية الرومانية حضارة البابليين عن طريق الحضارة الهلينية والفينيقية. وعلى ذلك كان هناك أربع إمبراطوريات في العالم، وهي النظرية التي كان لها صدى كبير طوال العصور الوسطى.

وقد قسم أوروسبيوس كتابه إلى عدة أقسام، بدأ القسم الأول بموجز عن التاريخ العالمي حتى وصل إلى بناء مدينة روما، أما الثاني فيستند من تاريخ روما حتى احتاج الغاليون المدينة، وفي بلاد فارس حتى حكم قورش Cyrus (٥٢٩ ق.م)، وفي تاريخ اليونان حتى معركة كوناكسا Cunaxa في ٤٠١ ق.م. أما الثالث فيتضمن التعامل بصفة رئيسة مع الإمبراطورية المقدونية تحت حكم الاسكندر الأكبر (٣٥٦-٣٢٣ ق.م) وخلفائه، وما يعاصره من التاريخ الروماني. ولربما يختص بالفصل الرابع فيتحدث عن تاريخ روما حتى تخريب مدينة قرطاج على يد الرومان عام ١٤٦م. أما الأجزاء الثلاثة الباقية فتتحدث عن التاريخ الروماني فقط حتى عصر أوروسبيوس حيث توقف في عام ٤١٨م.

#### - القديس جيروم:

ومع الاعتراف بالديانة المسيحية ديناً في الإمبراطورية الرومانية، بدأت زيادة نفوذ الكنيسة ثم تطورت بفضل المسيحيين المخلصين من رجال الدين، ومن هنا بدأت الحاجة ماسة إلى كتابة السير والتراجم للأبطال الشهداء من المسيحيين الذين قاوموا الحكم الروماني، وكان يوسيبوس القيصري أول من تراجم رجال الكنيسة المرموقين وأعمالهم، وقد جاء بعد يوسيبوس القديس جيروم Saint Jerome (٣٤٧ - ٤٢٠م) وهو رجل ديني مسيحي ويعتبر أحد كبار رجال الدين في عصور المسيحية الأولى. ويعتبر ما كتبه جيروم أول تجميع رسمي للسير المسيحية الشهيرة، وقد سجلها في كتابه «مشاهير الرجال» الذي سجله في عام ٣٩٢م.

وكان الذي دفع جيروم إلى ذلك هو أن الكتاب الوثنيين كانوا يميلون إلى التقليل من شأن الكتاب المسيحيين وأظهروهم في صورة غير المتعلمين، فأرادوا أن يرد عليهم. وبالإضافة إلى ذلك فإنه وضع قائمة بالرموز المسيحية الذين اعتبرهم قد خدموا الكنيسة المسيحية بأعمالهم الأدبية. وقد بدأ جيروم يسجل أسماء هؤلاء ابتداءً من بطرس الرسول حتى وصل إلى تسجيل اسمه، وما لاشك فيه أنه استفاد من الكتابات السابقة عن هؤلاء المشاهير خاصة على ما كتبه يوسيبوس القيصري، ثم سار الكثير بعد جيروم على منواله. ومن الملاحظ أن هذه السيرة والتراجم قد اتصفت بطابع البساطة والایمان بالحواري والمعجزات. وما لاشك فيه أن مثل هذه الكتب قد قدمت لنا جانباً عن الفكر المسيحي لرجال الدين على مدى العصور الوسطى.

#### - مؤرخ القوط جوردانيس:

وترجع أهمية المؤرخ جوردانيس Jordanes، أو Jornandes أو Jordanis إلى أنه المؤرخ الوحيد تقريباً الذي ترك لنا مؤلفاً خاصاً بالعناصر القوطية في كتابه «أصل وأعمال القوط» The Origin and Deeds of The



Goths. والمؤرخ جوردانس كما سجل بنفسه أنه ينحدر من أصل قوطي، وأنه سجل كتابه هذا كمخلص لكتاب كاسيودوروس Cassiodorus الذي سجل فيه أعمال القوط لأن الكتاب الأخير قد فُقد، وأن جوردانس قد سجل كتابه هذا في المرحلة الأخيرة من حكم الإمبراطور جستنيان وبعد القضاء على دولة القوط في إيطاليا.

ولقد عاش المؤرخ جوردانس في منتصف القرن السادس عشر الميلادي في أراضي الإمبراطورية الرومانية الشرقية أي الإمبراطورية البيزنطية، وأنه كان ينحدر من عائلة عريقة، وكان جده يعمل في وظيفة كاتب عدل أو مونتق عند كانداك Candac ملك الألان Alani في إقليم مواسيا Moesia الذي يقع بين الدانوب وجبال البلقان أي بلغاريا حالياً. كما أن مؤرخنا جوردانس قد شغل أيضاً وظيفة مونتق لأسباب غير معروفة وقد اعتنق المسيحية في مرحلة لاحقة ثم دخل الرهبانية وتحول إلى راهب وعاش في إقليم ثراقيا Thrac أو مواسيا. وليس من المعروف أنه أصبح أسقفاً لدية كروتون Croton الواقعة في أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة الإيطالية. وقد ارتبط اسم جوردانس باسم نيجيليوس Vigilus. وليس من المعروف هل هذا هو البابا المعروف بهذا الاسم وحكم من ٥٣٨ - ٥٥٥ م أم لا، كما أن جوردانس قد عمل لدى المؤرخ بولس الشماس Paul The Deacon صاحب كتاب تاريخ المبارد وسيرد ذكره فيما بعد.

لقد ألف جوردانس كتابين، وأحد هذه الكتب هو كتاب القوط ومن الأفضل أن نقول تاريخ القوط في مواسيا، وقد أهدى هذا العمل لصديقه كاسترولوس Castalius وهذا الكتاب يبدأ من عام ٥٥١ م، وهو جزء من كتاب القوط - الذي أعده من قبل كما ذكرنا كاسيودوروس - الذي فُقد، وبذلك أصبح ما كتبه جوردانس هو الباقي مما كتب عن القوط.

والكتاب مقسم إلى ستين فصلاً صغيراً وانتهى بخاتمة، وقد بدأ المؤرخ

الكتاب بمقدمة، ثم يدخل جغرافيا عن العالم الذي يصرفه وتعرض إلى قارة أوروبا. ثم تكلم عن القوط في القرن الثالث الميلادي، ثم تكلم عن أصل عناصر الهون Huns، ثم انقسام دولة القوط، وتحدث عن دولة القوط الغربيين Visigoths، ثم عاد وتحدث عن قبائل الهون والمبارك التي خاضها زعيم الهون Attila (ت ٤٥٣ م)، وبعد ذلك قدم لنا مادة تاريخية عن القوط الشرقيين Ostrogoths، وأخيراً قدم خاتمة عن الكتاب.

وقدم المؤرخ الكثير من التفاصيل داخل فصول الكتاب، فتكلم عن الاسكندر الأكبر والبلاد التي فتحها، ثم الأراضي التي عاش فيها القوط في بداية حياتهم ثم تطرق إلى ملوكهم وغزواتهم ومعاركهم مع الإمبراطورية وموت الإمبراطور فالتر في معركة أدرنه، وتصرفات الإمبراطور ثيودوسيوس تجاه القوط.

كما تحدث عن قوط إيطاليا ومحاولة عبورهم إلى أفريقيا وموت ملك القوط أليريك ودفعه في قاع النهر، كما تحدث عن الملك القوطي فاليا Valia أو راليا وحروبه مع الوندال ثم تقدم الوندال وهجرتهم إلى شمال أفريقيا، كما تحدث عن القوط وملوكهم في أسبانيا.

ومن التفاصيل التي تحدث عنها حروب أتيليا ملك الهون وقدم وصفاً عن الحروب التي دارت بين الهون والإمبراطورية والمعارك التي دار القتال فيها رجل برجل ويد بيد ثم هزيمة الهون ورحيلهم عن أراضي الإمبراطورية ثم موت أتيليا. كما قدم لنا بعض المعلومات عن عناصر الجيبدي Gepidae والسويوني Suavi والبرجندين Burgundins وأخيراً كيف قضى الإمبراطور جستنيان على دولة القوط في إيطاليا.

والحقيقة أن المؤرخ جوردانس قدم لنا أفضل مادة تاريخية عن العناصر القوطية وتجزئتها في أوروبا الشرقية والغربية وصراعها مع الإمبراطورية الرومانية، وكذلك نهاية دولة القوط في إيطاليا على يد الإمبراطور جستنيان



ولقد كان بلزاريوس Belisarius. كما أن هذا المؤرخ قد أوضح لنا المصادر التاريخية التي استقى منها معلوماته التاريخية مثل كورنيليوس Cornelius مؤرخ عناصر الأمان Annals. والمؤرخ أوديسيوس الذي سبق ذكره، وبرسكوس Priscus الذي تحدث عن الهون وأتيللا، والمؤرخ فابيوس Fabius وحدثه عن مدينة رافنا Ravenna وأخرين. ورغم منة قراءة هذا الكتاب إلا أنه لم يسجل تاريخ الأحداث إطلاقاً مما يشغل عنا على الباحث.

- إيفاجريوس:

وهو مؤرخ مسيحي وأكمل تاريخ بوسبيوس، وقد ولد إيفاجريوس Evagrius في عام ٥٢٦م في مدينة أيفانيا في سوريا ومات بعد عام ٥٩٤م في سنة غير معروفة، وكان صديقاً للأب جريجوري بطريرك أنطاكية (٥٦٩-٥٩٤م) الذي دافع عن الإمبراطور موريس Maurice (٥٩٣-٥٩٤م)، وحضر مجمع القسطنطينية الذي عقد في عام ٥٨٨م، وقد عين الإمبراطور طيبريوس الثاني Tiberius II هذا المؤرخ وزيراً للخزانة، كما أن الإمبراطور موريس قد منحه لقب Prefect. وكان إيفاجريوس أستاذاً في علم البلاغة، وقد جمع مجموعة من التقارير والمخطابات وبعض الفصول التي كتبها البطريرك جريجوري، كما سجل أيضاً بعض الأحداث الخاصة به وكان من بين هذه المعاهدات إطرار الإمبراطور موريس وأبنائه الإمبراطور ثيودوسيوس Theodosius. وقد فقدت هذه الأعمال كلها عدا كتاب تاريخ الكنيسة الذي دونه في سنة فصول أو كتب، وكان هدفه من ذلك هو إكمال ما كتبه مؤرخو الكنيسة الأوائل مثل بوسبيوس القيصري، والذي أكمله سقراط Socrates وروزميرس، وثيودورث Theodoret.

لقد بدأ كتابه بالحديث عن مجمع إنسوس Ephesus الذي عقد في عام ٤٣١م وانتهى بحكم الإمبراطور موريس. ولهذا الكتاب أهمية كبيرة جداً خاصة ما يتعلق بالصراع الديني المذهبي الذي دار في القرن الخامس والسادس مثل النسطورية والبرتيخية والطبيعة الواحدة، وقد قدم أيضاً إيفاجريوس

تفاصيل تتعلق بالأحداث والأشخاص، ولم ينس أن يقدم معلومات تتعلق بمعارضة وقنون كنيسة آيا صوفيا في القسطنطينية، كما خص التاريخ السياسي بأهمية خاصة، وتضم الحولية الأحداث الواقعة بين عامي ٤٣١ - ٥٩٤م.

وتفاصيل الحولية التي تركها إيفاجريوس أنها تقع في ستة فصول وكل فصل مسجل به مجموعة من الموضوعات. وفيما يتعلق بالفصل الأول فقد بدأ بالحديث عن الهرطقة النسطورية التي ابتدعتها نسطور Nestor والذي تولى عرش بطريركية الإمبراطورية البيزنطية (٤٢٨ - ٤٣١م)، وما دار حولها حتى وفاته في مدينة طيبة بمصر بعد نفى استمر ستة عشرة عاماً. كما قدم في هذا الفصل هرطقة بوتيخوس Eutyches ثم تيرنته في مجمع إنسوس Ephesus ٤٣١م. كما تكلم في هذا الفصل عن رهبانية القديس سمعان العمودي Simon The Stylite (ت. ٤٤٠م)، كما تحدث عن أتيللا Attila ملك الهون (ت. ٤٥٣م) والحروب التي دارت في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (٤٥٠ - ٤٥٨م)، وأخيراً تكلم عن زوجته الإمبراطورة يودكيا Eudicia وزيارتها لمدينة القدس والمباني التي أنشأتها.

وفي الفصل الثاني بدأ بالحديث عن الإمبراطور مارقيان Marcian ٤٥٠-٤٥٧م، ومجمع خلقدونيه Chalcedon الذي عقد في عام ٤٥١م ودعا إليه الإمبراطور مارقيان، كما تناول موت الإمبراطور الغربي فالنسيان Valentinian (٤٢٥ - ٤٥٥م) وكذلك موت الإمبراطور مارقيان، كما تناول في هذا الفصل زواج الإمبراطور زينون Zeno (٤٧٤ - ٤٩١م) من الإمبراطورة أريادن Ariadne، ثم عاد وتكلم عن موت الإمبراطور ليو الأول Leo I (٤٥٧ - ٤٧٤م).

وفيما يختص بالفصل الثالث، فقد عاد المؤرخ وتكلم عن أخلاق وتصرفات الإمبراطور زينون واستعادته العرش، وموضوعات أخرى تتعلق بأسقف أنطاكية وأساقفة الإسكندرية والحياة الدينية في عهد الإمبراطور



زينون. كما تحدث عن موت الامبراطور زينون وتولية الامبراطور أناستاس  
Anastasius (491-518 م)، وغزو القبائل العربية في بلاد الشام لأراضي  
الامبراطورية في أعالي الفرات ولبنان وفلسطين في عام 500 م. كما تكلم عن  
سور مدينة القسطنطينية وهو السور الطويل الذي أقامه الامبراطور أناستاس.  
وختم المؤرخ الفصل بالحديث عن الشعب الذي دار في العاصمة البيزنطية.

أما الفصل الرابع فقد بدأه المؤرخ بتولية الامبراطور جستن Justin  
(518-527 م). كما تحدث عن أساقفة مدينة أنطاكية والزلازل الذي وقع  
بالمدينة عام 526 م. ثم تحدث عن تولية الامبراطور جستن الأول Justinian I  
527-565 م. وحروب الامبراطورية التي قادها بلزاريوس Belisarius ضد  
الوندال في شمال أفريقيا. كما تحدث عن قبائل الهيرول Heruli بقيادة زعيمها  
أوداكر Odoacer وسقوط مدينة روما، كما تكلم عن سقوط مدينة أنطاكية في  
يد الفرس عام 540 م. كما قدم لنا المؤرخ أحداثاً أخرى سياسية ودينية وختم  
الفصل بموت الامبراطور جستن. وتبين لنا أنه أخذ عن المؤرخ البيزنطي  
بروكوبيوس Procopius كما ذكر في الموضوع الثاني والعشرين من هذا  
الفصل.

كما تناول المؤرخ في الفصل الخامس العديد من الموضوعات بدأها  
بالحديث عن اعتلاء الامبراطور جستن الثاني 565-578 م عرش الامبراطورية.  
ثم استطرده في الحديث خاصة عن العلاقات مع الامبراطورية الفارسية والغزو  
الفارسي الذي تناول مدينتي أقمية ودارا، والسفارة التي أرسلتها الامبراطورية  
البيزنطية إلى الفرس وموت الامبراطور الفارسي كسرى الثاني Chastros II  
(590-628 م) وتولية الامبراطور هرمز الخامس Hormisdas V (628-629 م)  
الذي تولى مع أردشير الثالث Ardashir III. وتحدث عن الزلازل الذي  
ضرب أنطاكية عام 576 م. كما تحدث عن الامبراطور موريس Mournice (582-602 م) وأحداث أخرى دينية وسياسية.

أما الفصل السادس والأخير فقد تناول فيه موضوعات مختلفة مثل  
أعمال القائد العربي المنذر وابنه النعمان، وهجمات قبائل الأقباط على أراضي  
الامبراطورية وكذلك القبائل الجرمانية، وعن مصرع الامبراطور الفارسي هرمز  
الخامس وفرار كسرى الصغير، وعن السفارة البيزنطية إلى النرس، ثم عاد إلى  
الحديث عن النعمان، وأخيراً الحديث عن سمعان العمودي الصغير. ويلاحظ أنه  
يشير إلى المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس في ذكر بعض الأحداث التاريخية.

- القديس إيزيدور الاشبيلي:

ولد إيزيدور الاشبيلي Isidor of Seville في مدينة قرطاجنة بأسبانيا  
حوالي عام 560 م وتوفي عام 646 م. وكان والده سفير بانوس Severianus  
والدته هي ثيودورا Theodora. وكان أخوه الأكبر ليندر Leander قد شغل  
مركز أسقفية إشبيلية، بينما كان أخوه الأصغر فولجنتيوس Fulgentius  
يشغل مركز أسقفية مدينة أستجة Astigi. وكانت أخته فلورنتينا Florentina  
راهبة ويقال أنها كانت مسخرة عن أربعين ديراً للنساء بها حوالي ألف راهبة.

وقد تلقى إيزيدور تعليمه الأولي في مدرسة كاتدرائية مدينة إشبيلية.  
وفي هذه المدرسة تعلم العلوم الثلاثية Trivium وهي النحو والبلاغة والمنطق  
كما تعلم أيضاً العلوم الرباعية وهي الحساب والموسيقى والفلك والهندسة وكل  
هذه العلوم كانت تعرف باسم العلوم السبعة. كما أنه اجتهد وتعلم في وقت  
قصير اللغة اللاتينية واليونانية والعبرية. وليس من المعروف لدينا عما إذا كان  
إيزيدور قد دخل الرهبانية أم لا، ولكن من الشفق عليه أنه لم ينتم إلى أي  
طائفة دينية. وقد خلف أخاه في مركز أسقفية إشبيلية لأنه اعتبر حامياً  
للرهبانية. وفي عام 619 م أعلن أنه سيصدر قرار الحرمان ضد أي رجل دين  
يتسبب في إزعاج الأديرة.

وقد ظل إيزيدور فترة طويلة في منصب أسقفية إشبيلية خلفاً لأخيه عمل  
خلالها على إلغاء الكثير من النظم التعليمية التي سادت الامبراطورية



الرومانية. وبدأت في أسبانيا معشاة جديدة في الظهور تعتمد على الأعراف التي خلفتها العناصر التي كونت الشعب الأسباني بعد الهجرات الجرمانية.

وحسب عصر المؤلف كان القوط يسيطرون لمدة قرنين على أسبانيا، ولقد كان سلوك البرابرة واعتقاداتهم للتعليم يعوق كثيراً من تقدم الدولة الأسبانية مادياً أو روحياً. ولقد أخذ إيزيدور على عاتقه إدماج كل هذه العناصر في أمة واحدة وهي مملكة القوط، ولذلك كرس كل وقته في الاستفادة من كل المصادر الدينية والتعليمية ليقدّم لدولته صياغة تعليمية ودينية جديدة، وقد كللت كل جهوده بال نجاح. فلقد أخذ المذهب الأريوسي الذي كان له جذور عميقة في أسبانيا في الروال وكذلك الهرطقات الأخرى وأخذت الكاثوليكية والنظام يعم أرجاء المملكة القوطية وذلك بفضل إيزيدور وأخيه ليندر. وقد اعترفت بذلك المجامع الدينية التي عقدت في أسبانيا مثل مجمع طليطلة وراشيليه. وفي مجمع طليطلة الرابع الذي عقد في ديسمبر ٦٣٣م وحضره كل أساقفة أسبانيا، كان القديس إيزيدور قد تقدم به السن ولكنه حضر هذا المؤتمر ولعب دوراً كبيراً في صياغة قراراته التي أوجبت على الأساقفة عقد حلقات دراسية في كاتدرائيات المدن لمزيد من الدراسة والتعمق الديني للتعرف على فكر البرابرة الذي كانت بقاياها لازالت داخل المملكة.

لقد كان إيزيدور آخر الفلاسفة المسيحيين الذين ينتمون إلى العصر القديم، كما أنه كان آخر عظماء رجال الدين اللاتين. يضاف إلى ذلك أنه كان أعظم المعلمين في عصره وأنه أثر كثيراً على الحياة العلمية في العصور الوسطى. وأن معاصريه وأصدقاءه اعتقدوا بأن الله بعثه لإنقاذ شعب أسبانيا من ملوك البرابرة الجرمان وأنه عمل على تهذيب سلوك الشعب القوطي، كما شهد بذلك ما صدر من مجمع طليطلة الرابع الذي عقد في ٦٥٣م ووصفه بأنه درة الكائنات الكاثوليكية، وأنه أكثر الناس علماً في عصره والعصور السابقة. وقد أقر مجمع طليطلة الخامس عشر الذي عقد في ٦٨٨م هذه الصداق أيضاً.

وللقديس إيزيدور أعمال كثيرة دنيوية وأخرى تاريخية، وبهنا فـ هذا المقام الحديث عن الكتب التاريخية، وهما كتابان، الأول وهو حولية تاريخ العالم Chronicon of the World وتوقف عند عام ٦١٥م، وأما العمل الآخر فهو تاريخ القوط Historia Gothorum، وهو يحتوي على تاريخ القوط الغربيين حتى عام ٦٢٥م ومع هذا الكتاب ملحقان عن الوندال والسويبي Vandals and Suevians. ولا ينسج المجال هنا للتعديت عن الكتابين لذلك سوف نتناول الكتاب الأول وهو تاريخ العالم لأنه يرتبط بالفكر المسيحي القائم على بداية الخلق.

وهذا الكتاب مقسم إلى مراحل تاريخية تبدأ الأولى منها بالخلق وأن الله قد خلق العالم في ستة أيام وتنتهي بأيام سيدنا نوح وأولاده. أما الثانية فيبدأ من سيدنا سام حتى مولد سيدنا إبراهيم. أما الثالثة فيبدأ من سيدنا إبراهيم حتى ذكر سيدنا داود، ولها يتعلق بالرابعة فتبدأ من سيدنا داود حتى الأسر البابلي. أما الخامسة فتتعاامل مع الأسر حتى مولد السيد المسيح. والسادسة والأخيرة فتبدأ من عهد الإمبراطور أوكتافيان Octavian حتى السنة العالمية ٥٨١٤ وهي التي تعادل السنة الخامسة من حكم الإمبراطور Heraclius (٦١٠ - ٦٤١م) والسنة الرابعة من حكم الملك القوطي الغربي سيبيوت Sisebut (٦١٢ - ٦٢٠م) ويلاحظ أن المؤرخ كان يختتم كل مرحلة بتاريخ السنة العالمية.

- بيروكوبيوس القيصرى :

بروكوبيوس القيصرى Procopius of Caesarea، ويعرف بذلك الاسم لأنه ولد في مدينة قيسارية الساحل في فلسطين في السنوات الأخيرة من القرن الخامس الميلادي، وكانت وفاته بعد عام ٥٦٢م. ويعرف بروكوبيوس لدى المؤرخين بأنه مؤرخ أحداث عصر الإمبراطور البيزنطي جستنيان، كما أنه قدم لنا مادة تاريخية عظيمة عن أعمال القائد البيزنطي الكبير بلزاريوس



Belisarius قائد قوات الامبراطورية البيزنطية في عهد جستنيان ولا تعرف شيئاً عن المراحل الأولى من حياته أو تعليمه، ولكن المعروف لدينا أنه اعتمد على نفسه ليكون في مركز مرموق. وقد ذهب بروكوبيوس في شهادته إلى القسطنطينية وبدأ في الظهور وأصبح في عام ٥٢٧ م سكرتيراً خاصاً لدى بلزاريوس وهو الشاب الذي كان يعمل لدى القائد جستنيان قبل توليه عرش الامبراطورية بشهور قليلة. وقد شغل بلزاريوس صفحات كثيرة من مؤلفات بروكوبيوس.

وقد اصطحب بروكوبيوس القائد بلزاريوس في كل حملاته العسكرية وأصبح هذا المؤرخ شاهد عيان على معظم المعارك العسكرية، فتجده في عام ٥٢٧ م مع القوات البيزنطية أثناء حروبها في بلاد فارس عام ٥٢٧ م، وكذلك في عام ٥٣٢ م اصطحب القوات نفسها لاستعادة شمال أفريقيا من الوندال، وفي عام ٥٣٦ م توجه مع القوات البيزنطية إلى إيطاليا لمحاربة القوط الشرقيين، وبذلك أصبح بروكوبيوس هو المؤرخ الوحيد الذي يستطيع أن يسجل هذه الأحداث بإعتباره من أقرب المقربين إلى القائد بلزاريوس الذي أدار كل هذه العمليات العسكرية، كما أنه من موقعه هذا كان على اتصال وثيق ببلاط الإمبراطور جستنيان في القسطنطينية، وبذلك تعرف عن قرب على جميع الأحوال الإدارية وغيرها داخل الإمبراطورية.

لقد قدم لنا بروكوبيوس ثلاثة أعمال قدم من خلالها قدراً كبيراً من المعلومات عن عهد الإمبراطور جستنيان حتى عام ٥٦٠ م، ومع هذا القدر الكبير من المعلومات وما يجد بعض المؤرخين المحدثين صعوبة مع المادة التاريخية التي قدمها لنا. ويمكن القول أن أكبر أعماله هو تاريخ الحروب The History of wars التي قدمها في ثمانية كتب. ويلاحظ فيها أن المادة التاريخية غير مرتبة طبقاً لتسلسل الحوادث، وهذه الكتب منفصلة عن بعضها البعض ولكنها مرتبطة بالحروب الثلاثة الرئيسية التي خاضها بلزاريوس، وهي حروب الامبراطورية البيزنطية مع الفرس في الشرق، والوندال في شمال

أفريقيا، وأخيراً مع القوط الشرقيين في إيطاليا. وقد تعامل الكتاب الأول والثاني مع الحروب الفارسية، أما الثالث والرابع فتخصص في الحروب مع الوندال، ولهما يتعلق بالخامس والسادس والسابع فهي تدرج للصراع مع القوط الشرقيين وقد طبعت السبعة كتب الأولى مع بعضها في أول الأمر، أما الثامنة فتعد أضيفت إليها للوصول بالاحداث إلى عام ٥٥٤ م لأن الاحداث الحربية الواردة في هذه الكتب كانت تتداخل مع بعضها وتحدث في وقت واحد، ففي الوقت الذي كانت فيه الامبراطورية تدافع عن أراضيها ضد العدوان الفارسي على حدودها الشرقية كانت تحشد جيوشها في إيطاليا وإفريقيا، لأنه في واقع الأمر كانت الامبراطورية البيزنطية تحاول بكل جهدها استعادة حدودها القديمة من البرابرة الذين استولوا عليها قبل تلك المرحلة، فلقد كان لدى الامبراطور جستنيان الحساسية والطموح لاستعادة أمجاد الامبراطورية الرومانية، ولذلك فعل كل ما يستطيع لتنفيذ ذلك. لقد كان في ذلك عملاً عظيماً ولكنه كان أيضاً محفوفاً بالمخاطر، وإذا كان جستنيان قد نجح في إنجاز هذا العمل إلا أنه كان إنجازاً موقفاً.

والحقيقة أن ما سجله بروكوبيوس يتجاوز العنوان السجل على مؤلفاته فهي لا تتعلق بالحروب فقط ولكنها تتناول أحداث عصره، ففي الوقت الذي تقرأ فيه الكثير عن حروب جستنيان فإنها تقرأ الكثير عن الأحوال الداخلية بالامبراطورية مثل ثورة نيقا Nika التي وقعت أحداثها في العاصمة القسطنطينية عام ٥٣٢ م، والطاعون الذي حدث عام ٥٤٠ م.

ويأتي العمل الثاني وهو كتاب التاريخ السري Anecdota أو التاريخ السري Secret History بعد كتب الحرب، وفي هذا الكتاب أطلق بروكوبيوس العنان لنفسه وابتعد عن الاعتراف والخوف وهاجم الإمبراطور جستنيان وزوجته الامبراطورة ثيودورا Theodora دون رحمة، كما هاجم بلزاريوس وزوجته Antonina وقدم لنا أسوأ صورة لهم جميعاً سواء في حياتهم العامة أو الخاصة، وفي الوقت نفسه قدم لنا المؤرخ في هذا الكتاب بعض الحقائق، وما



لا شك فيه أن هذا الكتاب لم يظهر في حياة المؤلف أو الامبراطور جستنيان ولكنه ظهر بعد وفاة جستنيان في عام ٥٦٥م.

وجاء الكتاب الثالث عن العمارة Buildings، وهذا الكتاب ينقسم إلى ستة فصول صغيرة، واحتوى على قدر من المعلومات حول المباني العامة التي أقامها الامبراطور جستنيان في كل نواحي الامبراطورية، ومن الواضح أن الموضوعات المدونة قد اختيرت بعناية وكُتبت بأسلوب يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب لدراسة العمارة في تلك الحقبة.

وراق الحال أن ما سُجل عبر عن الحقيقة وكتب بلغة سهلة، ورغم ذلك فإنه توجد بعض البلاغة في الأسلوب ولغة إيجاز بالكتاب الكلاسيكيين، وأنه تأثر بأسلوب هيرودوت وثيوكديدس، وأنه استعار منهما بعض العبارات.

- فيكتور ألف تونونا:

كان فيكتور أسقف تونونا Victor of Tunnua، وهي المدينة التي تقع في شمال أفريقيا، مؤرخاً ومذاعماً عن عقيدته المسيحية، فقد كان من المتحمسين للفصول الثلاثة Three Chapters وهي نصوص تتعلق بالمجانب الديني وشجبهها الامبراطور جستنيان عام ٥٤٤م، وقد ساند فيكتور مذهباً دينياً يخالف المذهب الذي اعتنقه جستنيان بتأييد الفصول الثلاثة ومن أجل موقف فيكتور فقد سجن في أول الأمر في دير ماندراكيون Mandrakion ثم نفي إلى إحدى جزر البحر المتوسط ثم نفي إلى مصر.

وفي عام ٥٦٤م استدعاه بطريرك القسطنطينية أنثيميوس (٥٥٢-٥٦٥م)، وذلك في عهد الامبراطور جستنيان الأول، ومعه خمسة من الاساقفة الاقارب وطلب منهم أن يؤيدوا مرسوم الامبراطور الخاص بتأييد الفصول الثلاثة. وقد ظل الجميع على مواقفهم ولذلك سجنوا في أماكن متفرقة من الأديرة داخل القسطنطينية، وفي عام ٥٦٩م صدرت تعليمات بنقله إلى مكان آخر ويبدو أنه توفي بعد بعد قليل في مكان غير معروف.

وقد وضع فيكتور مؤلفاً أو حوله هامة جداً تبدأ منذ بداية العالم حتى عام ٥٦٦م، ولم يبق منه لقط إلا الجزء الذي يبدأ من عام ٥٤٤ حتى عام ٥٦٦م. وأهمية هذا المؤلف ترجع إلى أنه تعامل بصفة رئيسة مع يوترخا أو يوتبخوس Eutychus (توفي بعد ٤٥٤م) والخلاف الذي دار حول الفصول الثلاثة، كما أنه قدم بعض المعلومات عن المذهب الارويوس الذي ينسب إلى أريوس Arius (٢٥٦ - ٣٣٦م)، وأخيراً غزو الوندال لشمال أفريقيا، والحول التي كتبها فيكتور قد استكملت حتى عام ٥٩٠م بمعرفة يوحنا القوطي Joannes Gothus مؤسس أحد الاديرة في أسبانيا، كما توجد مؤلفات أخرى للمؤلف فيكتور.

والحقيقة أن كثرة ذكر الهرطقات في الكتب التاريخية قد دفعت أحد الباحثين المحدثين الأمريكيين وهو مورين تيلي Maureen Tilly في جامعة دايتون Dayton إلى تقديم بحث رائع حول هذه الخلاقات صدر في نوفمبر عام ١٩٩٩م، وخلاصة هذا البحث أن المسيحية إنتشرت بشكل مميز في شمال أفريقيا في القرن الثاني الميلادي، كما أنها تميزت بالانهيار في القرن الثامن الميلادي. وكانت الأسباب التي أدت إلى ذلك بعيدة عن المسيحية، ولكن الحقيقة أن إنتشار المسيحية إقتصرت على المدن الرئيسية ولم يمتد لها إلى الريف والداخل، ولكنها إنتشرت بمذاهب مختلفة، جعل اديانة إسلامية قريبة منها. ورأى البعض أن الفساد الداخلي في دولة الوندال والنظام البيزنطي بالتزامن مع غزوات البربر جعلت من شمال أفريقيا أرضية خصبة لتقدم القوات العسكرية من الشرق أي تقدم القوات الإسلامية. والحقيقة أن ما ورد في المدونات وما سجله المؤرخون يشير إلى ضعف الدفاعات العسكرية في شمال أفريقيا، ومن هذه المدونات أيضاً ما يشير إلى أن الاضطهاد الديني الذي وقع أثناء حكم الوندال وما حدث من الصراع بين أساقفة شمال أفريقيا والسلطة الدينية البيزنطية، ومن محاولات باباوات روما وتدخلها في مذهبية شمال أفريقيا، أضعفت كنيسة شمال أفريقيا وساعدت على تقدم الإسلام.



- جريجورى التورى:

من الأحداث الهامة في تاريخ الغزوات الجرمانية قيام دولة الفرنجة، لأنها الدولة الوحيدة التي استطاعت البقاء في أوروبا على حساب الامبراطورية. كما أن دولة الفرنجة التي اتخذت غالة صرطاً لها قد نجحت في مزج الحضارة الرومانية بعادات الفرنجة وتقاليدهم. وكان ذلك مرجعه إلى اعتناق الفرنجة للمسيحية على المذهب الكاثوليكي، وهو المذهب الذي اعتنقه الباباوات في روما، على العكس من العناصر الأخرى التي دانت بالمذهب الأريوسي.

وتعددت الروايات حول ظهور الفرنجة، فقد رأى البعض أن ظهور الفرنجة كان بظهور زعمائهم الأوائل، وهم جينوبود Genoboud، وماركومر Marcomer، وسونو Sunno الذين هاجموا مدينة كلوني Cologne وهزموا على يد قوات الامبراطورية. ولكنه يمكن القول أن كلوديو Clodio قد وضع اللبنة الأولى لدولة الفرنجة عندما انتصر على قوات الامبراطورية واستولى على كامبريا Cambria ثم على البلاد الواقعة على نهر السوم Somme. ومن كلوديو جاءت السلالة التي حكمت دولة الفرنجة لزمان طويل، فقد خلفه مروفتش Merovech (ت ٤٥٦م) ثم تشيلدريك Childeric (٤٥٨-٤٨١م).

وكان تشيلدريك من رؤساء الفرنجة السالين وأعان قوات الامبراطورية على صد غارات السكون والقوط الغربيين، وأدرك بوضوح ميزة الاحتفاظ بشمال غالة مفتوحاً أمام زحفه. وفي أثناء ذلك كان الفرنجة البريون ينتشرون على يمين الراين ويساره من مراكزهم في كلوني وماينز Mayence.

وعندما توفي تشيلدريك خلفه على عرش الفرنجة ابنه كلوفس Clovis (٤٨٢-٥١١م) الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة الفرنجة نظراً للدور الكبير الذي لعبه في السياسة الداخلية والخارجية في غالة، وأثر ذلك كله على أوروبا العصور الوسطى.

انقسمت دولة الفرنجة بين أولاد كلوفس الأربعة بعد وفاته طبقاً للعادات

الجرمانية، ولاشك أن ذلك كان له أثره في إضعاف دولة الفرنجة. وقد ظلت دولة الفرنجة رغم هذا التقسيم وحدة واحدة لها عواصم أربعة هي ريمز Rheims وأورليان Orlens وباريس Paris وسواسون Soissons. وفي عام ٥٥٨م عادت الوحدة مرة أخرى للدولة الفرنجة عندما توفي أولاد كلوفس عدا لوثير الأول Lothar I (ت ٥٦١م). ثم ما لبثت أن عادت دولة الفرنجة في التفكك مرة أخرى بعد وفاة لوثير بين أولاده الأربعة، فقد حكم تشارibert Charibert (ت ٥٧٦م) في باريس، وحكم سيجبرت Sigibert (ت ٥٧٥م) في ريمز، وتشلبريك Chilperic في سواسون وجونترام Guntram (ت ٥٩٣م) في أورليان.

وحوالي ذلك الوقت يبرز لنا مؤرخ لتاريخ الفرنجة، هو المؤرخ جريجورى أف تور Gregory of Tours، ليقدم لنا مؤلفاً عظيماً عن تاريخ دولة الفرنجة بعد المصدر الأول عن الفرنجة في هذه الحقبة، وبدونه كان من الجائز أن ينطس جانب كبير من تاريخ هذه الدولة التي غيرت وجه التاريخ في مطلع تاريخ أوروبا الوسطى. وفي هذه الصفحات يقوم الباحث بالقاء الضوء على المؤرخ جريجورى التورى مع تحليل لكتابه تاريخ الفرنجة.

ولد جريجورى فلورنثيوس Gregory Florentius المعروف بجريجورى أف تور أو جريجورى التورى في الثلاثين من نوفمبر عام ٥٣٩م. وكان مولوده في مدينة كليرمونت - فراند Clermont Ferrand التي تعرف في عصره باسم أرفرنوس Arvernus عاصمة مقاطعة أرفرنيا Arvernia. وينحدر جريجورى من أسرة عريقة كان لها سمعتها كأحدى الأسر الحاكمة التي شاركت في خدمة الكنيسة. فقد كان والده نبيلاً وجده كذلك، أما والدته أرمنتاريا Armentaria فهي حفيذة القديس جريجورى أسقف لانجر Langer ٥٠٧ - ٥٣٩م، والأخت الكبرى للقديس تتركوس Tetricus الذي خلف الجد في أسقفية لانجر ٥٣٩ - ٥٧٢م. كما أن أخاه بطرس Peter كان يعمل شماساً في كنيسة لانجر. والواقع



أن المنصب لأفراد عائلة جريجوري يجد العديد من رجال الدين والدنيا البارزين الذين لعبوا دوراً رئيساً في المجال الروحي والديني.

لم ينعم جريجوري بقضاء فترة صباه مع والده، فقد مات الأب عندما كان جريجوري صبياً، فاضطرت والدته للذهاب إلى برجانديا Burgundy لتتولى شئون تملكاتها هناك، وهكذا حرم جريجوري من مسقط رأسه ووالده في آن واحد. ولكن ذلك لم يستمر طويلاً، فعندما بلغ الثامنة من عمره عاد مرة أخرى إلى كليرمونت - فرانك ليعيش مع عمه القديس جالوس Gallus أسقف المدينة ٥٢٥-٥٥١ م. ولكن رعاية العم للطفل لم تدم طويلاً فقد مات العم وجريجوري لا يزال في الثانية عشر من عمره. ويبدو أن الحياة الدينية قد استهوت الصبي فاستمرت إقامته مع رئيس دير المدينة أفينوس Avitus الذي أصبح أسقفاً للمدينة في عام ٥٧٢ م خلفاً للأسقف كوتينوس Gautinus، الذي وصفه جريجوري بكرم الضيافة وحسن المعاشرة.

ومن كليرمونت قام جريجوري بعدة زيارات لعل أهمها زيارته إلى عم والدته القديس نيكيتوس Nicetus أسقف مدينة ليون Lyons ٥٥١-٥٧٣ م. الذي وصفه جريجوري بدمامة الخلق، كما تحدث عن زيارته لابن عمه القديس يوفرونيس Eufronius أسقف مدينة تور. والواضح أن الإقامة قد طابت لجريجوري في هذه المدينة ولاشك أنها كانت عزيزة عليه، فقد كان من بين الثانية عشر أسقفاً الذين تولوا رئاسة الأسقفية خمسة من أقاربه. فاقترب جريجوري من السلك الكسبي ودخل في خدمة الكنيسة.

وفي عام ٥٦٣ م أي عندما بلغ جريجوري الرابعة والعشرين من عمره منح لقب شماس في كنيسة تور. وعندما توفي يوفرونيس في عام ٥٧٣ م، كان جريجوري قد أصبح معروفاً في المدينة، بالإضافة إلى خدمة عائلته للكنيسة، فلا غرابة أن يتم انتخابه ليكون أسقفاً للمدينة، ووافق الملك الفرنجي سيجيبيرت Sigibert ٥٦١-٥٧٥ م. على هذا الانتخاب، وبذلك أصبح

جريجوري الأسقف التاسع عشر لمدينة تور. وظل في هذا المنصب حتى وفاته في السابع عشر من نوفمبر ٥٩٤ م. بعد أن خدم واحداً وعشرين عاماً، ومات من خسة وخسب عاملاً.

وكان منصب الأسقف الذي تولاه جريجوري من المنصب الهامة في حالة الميراثية بصفة خاصة. ولعل ذلك مرجعه أن حاله كانت من أول الدول التي اعتنقت المذهب الكاثوليكي الذي يدين به البابا في روما، في الوقت الذي كانت أوروبا المصدر الوسطى على غير ذلك. ومن هنا كانت مساندة البابا لقوة الفرنجة ومساندة الفرنجة للبابا. والحقيقة أن منصب الأسقف كان له مسئوليات ضخمة. وكان هؤلاء الأساقفة يستمررون في مناصبهم حتى وفاتهم، ويتمتعون باحترام الجميع وتقديرهم ولهم من السلطة والحصانة ما يكفي لحمايتهم. وإذا كانت هذه هي القاعدة فقد كان هناك بعض الاستثناءات، فقد اغتيل أسقف رومان Rouen في كاتدرائته عام ٥٨٦ م. كما تم نفي أسقف ريمز خارج البلاد لإتهامه بمحاولة قتل الملك تشيلديبرت الثاني Childebert (ت ٥٦٧ م). وليس لنا أن نتتبع حياة الأساقفة في هذه المرحلة ونكتفي بهذه الأمثلة. غير أنه يمكن القول أن الأساقفة كانوا يمثلون القيم الروحية للمذهب الكاثوليكي وكانوا سفراء لمذاهبهم في المؤتمرات الدينية والسياسية التي كان يمثلها العديد من اليهود ومن الجماعات الأريوسية.

ومع بداية تولي جريجوري أسقفية تور أدرك حاجته الملحة إلى المنطق الواضح لمناقشة هذه العناصر، هذا بالإضافة إلى القدرة على الجدل بالحجج والبراهين. وتبدو هذه الظاهرة واضحة في كتابات جريجوري، فقد تناول قصة أحد الدجالين الذين ظهرُوا في ضواحي مدينة آرل Arles، كما تناول أيضاً جداله مع أحد العناصر الأريوسية حول الروح القدس The Holy Ghost، هذا فضلاً عن مناهضة جريجوري لأحد رجال الدين اليهودي يدعى برسكوس Priscus، وبعض الذين ينكرون قهامة السيد المسيح. ولقد أفاض جريجوري في ذكر هذه الأحداث والقى عليها أضواء كثيرة مما يشير إلى قدرته على المناقشة



والسنة بالحب الكاتوليكي. فقد كان جريجوري مثلاً طيباً للأساقفة  
الفاصلين عن الكار والقطعة بما لهم من تأثير روم على الشعب.

بعد جريجوري أن مهنة الأساقفة لا تقتصر على القول دون العمل  
والألقاب مستولون عن الكنائس والأديرة التي تقع في نطاق أسقفيتهم  
وعليهم القيام بناء للزهد من الكنائس والأديرة وفنائتها من وقت إلى آخر  
لتتبع أعمالها، فضلاً عن الإشراف على المؤسسات التي تتبعها من أراخر  
زراعية وغير ذلك. ويقدم لنا جريجوري أمثلة على ذلك فقد ذكر أن إيريموس  
Aetherius أسقف ليزير Lisieux كان يذهب إلى الحقول ويحمل فأسه ويشارك  
العلايين أعمالهم. ولعل في ذكر هذه الأمثلة ما يجعل إيريموس مثلاً يحتذى به  
في حالة البرونجية التي ضمت إحدى عشر كانتونية في عصر جريجوري.

وبحكم موقع جريجوري بوصفه أسقفاً لمدينة تور كان يشرف على ثمانين  
أسقفية منها أسقفية مانتز Mans وريين Rennes وأنجرز Angers ونانت  
Nantes. وواقع الأمر أن جريجوري عندما تولى منصبه في مدينة تور كانت  
كانت أبنيتها وهي كنيسة القديس مارتن Martin (ت ٣٩٧ م) قد أصابها حريق  
في عهد سلفه، لتولى جريجوري إعادة بنائها وقد تم ذلك في عام ٥٨٠ م. وقد  
أصبحت أكثر ارتفاعاً عما كانت عليه من قبل. وألحق بها منزلاً خاصاً له، وفي  
هذا المنزل كان يتقابل مع زائريه الذين يمدون إلى المدينة، ومن هؤلاء الزائرين  
سيمون Symon أسقف أرمينا بعد نفيه من بلاده. وسيمون هذا هو الذي ذكر  
للأسقف جريجوري أحداث سقوط انطاكية التي وقعت في عام ٥٧٣ م وهي التي  
سجلها جريجوري في كتابه.

وكانت علاقة جريجوري بالحكام علاقة طيبة للغاية للفترة التي تولى  
ليها أسقفية مدينة تور والتي استمرت ما يقرب من اثنين وعشرين عاماً كانت  
مدينة تور خاضعة للملك سيجبرت Sigibert (ت ٥٧٥ م) ثم تشيلبيرك  
Childeric (ت ٥٨٤ م) ومن بعده تشيلبيرت الثاني Childbert II (ت ٥٩٥ م).

وكان جريجوري يصرح أنه "مؤمن جسد" وقد رآه جريجوري الملك تشيلبيرك في  
قصره الذي كان مقاماً في نورجت Nogent على شاطئ نهر مارن Marne  
شرق باريس في عام ٥٨١ م وشاهد بنفسه الهدايا الذهبية والفضية التي أرسلها  
الاسبراطور البيزنطي طيبيريوس الثاني Tiberias II (٥٧٨ - ٥٨٢ م). كما ذهب  
مديوناً من قبل الملك تشيلبيرت الثاني إلى الملك الفرنجي جونتروم Guntram  
(ت ٥٩٣ م)، وذلك في عام ٥٨٧ م. واتجه إلى مدينة سالون Chalon لإزالة  
الشكوك التي انتابت نفس الملك جونتروم حول معاهدة أندلوت Andelot  
الموقعة في الثامن والعشرين من نوفمبر عام ٥٨٧ م. كما أن جريجوري رآه  
اليابا جريجوري الأول (٥٩٠ - ٦٠٤ م).

وبالرغم من الرابطة القوية التي كانت تجمع جريجوري بملوك الفرنجة، فإنه  
كان يعارض بعض أعمالهم وخاصة أعمال الاعتقال التي سادت دويلات الفرنجة  
في هذه المرحلة، كما دافع عن رجال الدين الذين اتهموا بالعمل ضد الملوك.  
وعلى سبيل المثال عندما دافع عن الأسقف بريتكتاتوس Prætextatus  
أسقف روان Rouen في اجتماع باريس عندما اتهم بالعمل ضد رغبات الملك  
تشيلبيرك. كما أن جريجوري قاوم بكل شدة رغبات الملك تشيلبيرت الثاني في  
محاولاته لفرض ضرائب جديدة على سكان مدينة تور، ولم يتوقف جريجوري  
عن المعارضة حتى توقف محصلو الضرائب عن جمع الضرائب الجديدة.

وقد كتب جريجوري أربعة مؤلفات، الأول وهو كتاب تاريخ الفرنجة  
The History of Franks، والثاني يتعلق بالمعجزات Miracles، والثالث عن  
آباء الكنيسة The Fathers والرابع تفسيرات على سفر المزامير في العهد  
القديم Commentaries on the Psalms.

ولعل أكثر هذه الكتب أهمية للمؤرخ هو كتاب تاريخ الفرنجة موضوع  
الدراسة. والكتاب نشر باللغة الإنجليزية في لندن عام ١٩٧٤ وهي النسخة  
التي رجع إليها الباحث. وهذا الكتاب مكون من عشر فصول خصص المؤرخ  
تسعة منها لتسجيل أحداث دولة الفرنجة حتى عام ٥٩١ م. والمؤرخ يسجل



الاحداث بالسنوات ومؤرخ لها بنسب حكم الأباطرة وملوك الفرنجة الذين يؤرخ لهم شأنه في ذلك شأن معظم معاصريه من المؤرخين.

والفصل الأول من كتاب تاريخ الفرنجة يتكون من ثمانية وأربعين موضوعاً يبدأ مع بداية الخلق منذ آدم عليه السلام وينتهي بأحداث وفاة القديس مارتين في عام ٣٩٦ م. وفي السنة الثانية من حكم الامبراطور أركاديوس Arcadius (٣٩٥ - ٤٠٨ م) في القسطنطينية، وحكم هونوريوس Honorius (٣٩٥ - ٤٢٣ م) في روما بعد وفاة والدهما الامبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧٩ - ٣٩٥ م). كما أشار المؤلف.

ويغلب على هذا الفصل الطابع الديني، ولكن المؤرخ قدم لنا مادة تاريخية طيبة عن الامبراطور فالتر Valens (٣٦٤ - ٣٧٨ م) ومعركة أدرنه Adrianople (٣٧٨ م) التي قتل فيها الامبراطور على أيدي القوط، كما قدم لنا مادة تاريخية عن الامبراطور ثيودوسيوس الأول وعن دخوله القسطنطينية منتصراً وكيف أنه قبض على خصمه مكسيموس Maximus. وتناول المؤرخ حركة التجارة من الهند إلى مصر عن طريق مدينة القلزم.

والفصل الثاني يتكون من ثلاثة وأربعين موضوعاً، ويبدأ بالأحداث التي تلت وفاة القديس مارتين حتى موت الملك الفرنجي كلوفس. ويغلب على هذا الفصل أيضاً الطابع الديني. ورغم ذلك فقد أورد به المؤرخ مادة تاريخية عن الوندال Vandals وبداية نزوحهم إلى غالة واضطهادهم للمسيحيين الذين يدينون بالذهب الكاثوليكي، كما تحدث عن تحركاتهم وعبورهم إلى الشمال الإقليمي ونهاية دولتهم. كما تناول جانباً من الحروب التي دارت بين السكسون Saxons والفرنجة، وكيف انتصر الملك الفرنجي تشيلدريك عليهم. وتناول المؤرخ أيضاً استعداد الهون Huns لغزو غالة (٤٥١ م)، وقدمهم إلى بانونيا Pannonia وحرق مدينة متز Metz، ثم غزوه لمدينة أورليان تحت قيادة زعيمهم أتيل Attila (٤٥٤ م) وانسحابهم. فضلاً عن ذلك قدم لنا المؤرخ

اجتياح الهون لأقصم أكرطيا Agila الذي يقع على الطريق الشمالي للبحر الادرياتيكي وتقدمهم إلى إيطاليا. وأهم ما أورد المؤرخ في هذا الفصل الاحداث المتعلقة بعصر الملك كلوفس، فقد تناول المؤرخ عصر كلوفس في موضوعات متعددة في مادة تاريخية وفيرة.

ولبما يتعلق بالفصل الثالث فقد قدم لنا المؤرخ في هذا الفصل سبعة وثلاثين موضوعاً، ويبدأ هذا الفصل بتقسيم دولة الفرنجة بعد وفاة كلوفس في عام ٥١١ م بين أولاده الأربعة ثيودريك Theuderic (ت ٥٣٤ م)، تشلودومر Chlodomer (ت ٥٢٤ م)، تشيلدبرت (ت ٥٥٨ م)، ولوثير الأول (ن ٥٦١ م). وينتهي هذا الفصل بالاحداث المتعلقة بموت - حفيد كلوفس - الملك الفرنجي ثيودبرت Theudebert (ت ٥٤٨ م) ابن الملك ثيودريك.

وفي هذا الفصل يبدأ الجانب الديني يخفف تدريجياً في كتابات المؤرخ الذي يقدم جوانب تاريخية وفيرة تتعلق بملوك دولة الفرنجة. ومن معالم هذا الفصل ما أوردته المؤرخ عن القوط Goths. فقد تحدث عن القوط الغربيين Visigoths في أسبانيا، وعن عصر الملك تيودا Theuda (٥٣١ - ٥٤٨ م). كما تحدث عن القوط الشرقيين Ostrogoths وتناول الحديث عن الملك ثيودريك (٤٩٣ - ٥٢٦ م)، ووفاته والاحداث التي وقعت في إيطاليا بعد ذلك.

وفي الفصل الرابع تناول المؤرخ واحداً وخمسين موضوعاً، ويبدأ هذا الفصل بوفاة الملكة كلوتيلد Clotild - زوجة الملك كلوفس في مدينة تور (عام ٥٤٤ م) ونقل جثمانها إلى مدينة باريس. وينتهي بأحداث موت الملك الفرنجي سيجيرت عام ٥٧٥ م. ومن الموضوعات البارزة في هذا الفصل الحرب التي دارت في عام ٥٥٤ م، بين قوات الامبراطور البيزنطي جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧ - ٥٦٥ م) والقوط الغربيين في أسبانيا وانتصار قوات جستنيان على الملك القوطي أجिला Agila (٥٤٩ - ٥٥٤ م).



كما تناول المؤرخ في هذا الفصل ثورة العناصر السكونية وخروج الملك  
لوثير الأول لمحاربتهم واجتياحه ثورنجيا Thuringia ومساندة الثورنجيين  
للسكون، والمركة التي دارت بين الفرنجة والسكون في عام ٥٥٥ م وسقوط  
العديد من القتلى من كلا الجانبين وما نلى ذلك من عقد الهدنة بين الطرفين  
وعودة لوثير إلى وطنه.

وتحدث جريجوري أيضاً عن عودة الهون لغزو غالة في عام ٥٦٦ م،  
وتصدي الملك سيجبرت لهذا الغزو ولكنه لم يوفق رغم دهانه وصكره، فوقع في  
الأسر بعد ما حاصره الهون. وما تلا ذلك من أحداث انتهت بإطلاق سراح  
سيجبرت بعد ما قدم عدداً كبيراً من الهدايا لخان الهون.

وسجل المؤرخ في هذا الفصل أيضاً نزوح اللمبارد Longobards إلى  
إيطاليا تحت قيادة ملكهم البرين Alboin (٥٢٦ - ٥٧٣ م) وهي الأحداث التي  
وقعت في عام ٥٨٦ م. كما تحدث عن وفاته وقيام اللمبارد بتعيين خلفاً له هو  
الملك كلفر Chelph (ت ٥٧٤ م). وعن اللمبارد أيضاً تحدث المؤرخ عن دخولهم  
إلى غالة تحت قيادة أمو Amo وزابان Zaban ورودان Rodan في عام  
٥٧٤ م.

والفصل الخامس يحتوي على خمسين موضوعاً، ويبدأ بحكم الملك  
تشيلدبرت في عام ٥٧٥ م، وينتهي في عام ٥٨٠ م بالأحداث التي رواها  
جريجوري عن تنبأ سلابيوس Slavus أسقف مدينة ألب Alpi بما حدث للملك  
تشيلدريك. ويحتوي هذا الفصل على بعض الجوانب المتعلقة بالاساقفة  
والكنائس داخل غالة وجانباً عن الأحداث المتعلقة بملوك الفرنجة الذين يؤرخ  
لهم. ويميز هذا الفصل حديث المؤرخ عن الحرب التي دارت بين السكون  
والسوابيين Swabians بعد ما رحل الملك اللمباردي البرين إلى إيطاليا،  
والحرب التي دارت بين الفرنجة وبين إقليم بريتاني Britany وكيف تم خضوع  
هذا الإقليم للفرنجة في عام ٥٧٨ م.

كما تقدم لنا مادة تاريخية عن عهد الامبراطور طيبريوس وكيف تولى  
العرش بعد موت الامبراطور جستني الثاني Justin II (٥٦٥ - ٥٧٨ م)، هذا  
بالإضافة إلى بعض الجوانب المتعلقة بالامبراطورية البيزنطية وخاصة ما يتعلق  
بالحرب مع الامبراطورية الفارسية وعودة الجيوش البيزنطية منتصرة.

ويضيف المؤرخ في هذا الفصل جانباً جديداً هو الحديث عن الضرائب  
الجديدة التي فرضها الملك تشيلبريك، كما تحدث عن الرباء الذي اجتاحت إقليم  
غاله في أغسطس عام ٥٨٠، وكان سبباً في هلاك الكثير من المواطنين ومنهم  
ابن الملك تشيلبريك الذين لم يكن قد عمده بعد.

والفصل السادس يتكون من ستة وأربعين موضوعاً، ويبدأ بأحداث عام  
٥٨١ م الخاصة بتحالف الملك تشيلدبرت في باريس مع أخيه غير الشقيق الملك  
تشيلريك في سراسون، بعد ما نقض الأول تحالفه مع أخيه غير الشقيق أيضاً  
جوتنرام في أورليان وذلك بسبب عصيان الوالي مومولوس Mummolus.  
وينتهي هذا الفصل بأحداث عام ٥٨٤ م، ومنها اغتيال الملك تشيلدبرت في  
قصره بالضبعة الملكية التي كانت قائمة في شلز Chelles الواقعة على بعد  
اثني عشر ميلاً شرقي باريس. وقد تم اغتيال الملك أثناء عودته من رحلة  
صيد.

وقد ورد في هذا الفصل أحداث تاريخية ودينية تميزت بالطابع  
الأسطوري، ولكنه حوى مادة تاريخية طيبة خاصة عندما تحدث عن عودة  
السفارة الفرنجية في عام ٥٨١ م بعد ثلاث سنوات، وهي السفارة التي كان قد  
أرسلها الملك تشيلريك إلى الامبراطور البيزنطي طيبريوس، والصعاب التي  
لاقتها السفارة في طريق العودة بسبب اندلاع الحرب في مدينة مرسيليا  
Marseilles بين الأخوين الشقيقين تشيلريك وجوتنرام مما يشير إلى أن  
السفارة كانت قادمة عن طريق البحر. كما أشار إلى أن السفارة قد عادت بعد  
ما هجرت الأعمال التي كانت موكولة إليها، وأنها عادت محملة بالهدايا التي  
أرسلها الإمبراطور طيبريوس.



كما تحدث المؤرخ جريجورى عن عودة سفارة فرنجية فى عام ٥٨٢ م. وهى السفارة التى كان الملك تشيلبيرك قد أرسلها إلى أسبانيا بفرض زواج ابنته ريجونث Rigunth من ريكارد Recard ابن الملك القوطى لسوفيجيلد Leuvigild (٥٧٠ - ٥٨٦ م). وقدم لنا مادة تاريخية طيبة عن أحوال إسبانيا القوطية وصعوبات الامبراطور البيزنطى طيرىوس استعادتها، كما تحدث عن انتشار الديانة المسيحية على المذهب الكاثولى فى إسبانيا على حساب المذهب الأريوسى. والجهد الذى بذل فى هذا السبيل، ومع رواية المؤرخ إلى عودة هذه السفارة تحدث عن الجهاد الذى اجتاح مدينة كاربيتانيا Carpitania من ضواحي مدينة طليطلة عاصمة القوط وأثر ذلك على التواضع الاقتصادية بالمنطقة. وقد أشار إلى أنه استقى هذه المعلومات من السفارة نفسها.

وتناول فى هذا الفصل أيضاً وفاة الامبراطور طيرىوس وتحدث عن صفاته الطبية وترشيحه للإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢ - ٦٠٢ م)، وهو على فراش الموت ومواقفة الامبراطورة صوفيا Sophia - أرملة جستين الثانى - على هذا الترشيح، وزواج موريس من ابنة طيرىوس.

وكتب المؤرخ فى هذا الفصل مسيرة الملك تشيلبيرت إلى إيطاليا فى عام ٥٨٤ م وفتح اللسبارد من القوات الفرنجية واستسلامهم له، وكتب عن الهدايا التى قدمها اللسبارد لملك الفرنجية وما تبع ذلك من إعلان اللسبارد الولاء والتسليم لملك تشيلبيرت. كما تناول مشروع الملك الفرنجى عن غزو إسبانيا بعد عودته من إيطاليا. ولما علم الإمبراطور موريس بالصلح الذى تم بين الملك تشيلبيرت واللسبارد غضب لهذا التصرف لأن موريس كان قد أرسل خمسين ألف قطعة من الذهب من أهل هذا الغزو، وطالب موريس بأمواله ولكن تشيلبيرت لم يجبه إلى طلبه.

كما تحدث عن قدوم سفارة قوطية فى سبتمبر عام ٥٨٤ م إلى باريس لمقابلة الملك تشيلبيرت. وقدم لنا مادة تاريخية عن إقليم جالسيا Galicia فى

عهد حادسها أندريكا Andrica وأضيف وصل إلى العرش عندما تزوج من ابنة الملك يورك Eurio وما تلى ذلك من أحداث عندما أجبر أندريكا الملك يورك على الرهبنة وحل محله فى حكم البلاد.

والفصل السابع يعنى على سبعة وأربعين موضوعاً. والأحداث المسجلة به تبدأ بموت سلافينوس أسقف مدينة ألب فى عام ٥٨٤ م، وتنتهى بالحرب الأهلية التى وقعت فى عام ٥٨٥ م. والعديد من الموضوعات التى وردت فى هذا الفصل تتعلق بالأحوال الداخلية لدولة الفرنجية والصراع على الحكم. وقد ورد على سبيل المثال الصراع الذى دار بين سكان مدينة شارتر Charles وأورليان عقيب وفاة الملك تشيلبيرك وموقف أرملة فردجوند Fredegund من هذا الصراع، وهروبها من مدينة سواسون إلى باريس ومعها كنوزها التى هربتها عبر أسوار سواسون، وطلبها المساعدة من الملك جونتيرام فى أورليان. هذا بالإضافة إلى موقف تشيلبيرت الثانى (٥٩٥ م) بين فردجوند والجرائم التى عدها لها وطلبه من الملك جونتيرام تسليمها ورفض الأخير طلب تشيلبيرت الثانى. وبقاء فردجوند فى باريس واتخاذها من الكنيسة ملاذاً لها. ثم تناول الصراع الذى تم بين فردجوند وبين برانهيلد Brunhild - أرملة الملك سيجرت والرغبة على عرش أستراسيا - وكيف أرسلت فردجوند لمحاولة اغتيالها.

كما تناول المؤرخ فى هذا الفصل المجاعة التى عمت غالة بأكملها، وأن الناس لجأوا إلى صناعة الخبز من بذور العنب وأنهم اضطروا إلى أكل الحشائش وهلاك الكثير من الأهالى إثر هذه المجاعة. كما أن الفقراء باعوا أنفسهم كعبيد من أجل الحصول على لقمة العيش. وختم جريجورى هذا الفصل بالحرب الأهلية التى وقعت فى مدينة تور وأن سببها يرجع إلى حادثة قتل، وتناول الآثار التى ترتبت عليها، وبين لنا فى نهاية هذه الأحداث تدخل الكنيسة بين الأطراف المتصارعة وإخمادها الفتنة وقسم المتخاصمين على عدم إحداث مناعب بعد ذلك.



أما الفصل الثامن فيتضمن ستة وأربعين موضوعاً، ويبدأ برحلة الملك جونتtram من مدينة شالون Chalon إلى أورليان عبر مدينة نيفر Nevers في عام ٥٨٥م. ويتهى بأحداث موت ملك القوط الغربيين ليوفجيلد Leuvigild عام ٥٨٦م. ورغم صغر المدة الزمنية التي تناولها المؤرخ جريجورى في هذا الفصل فإنه تناول العديد من الحوادث الداخلية والخارجية للدولة الميروفنجية. ومن أهم ما سجله جريجورى في هذا الفصل الأحداث المتعلقة بالصراع البيزنطى الميروفنجى في هذه المرحلة وذلك عندما أرسل تشيلديبرت الثانى قواته إلى إيطاليا لمقاومة القوات البيزنطية التي وصلت إلى هناك لمطالبة تشيلديبرت الثانى بالأموال التي أخذها من الامبراطور البيزنطى موريس لمعارضة اللساردين في إيطاليا. وأوضح جريجورى أن سبب إرسال تشيلديبرت لقواته يرجع إلى شائعة سرت بأن الجيوند Ingund أخت تشيلديبرت الثانى قد حُملت أسيرة إلى القسطنطينية وأضاف أن الجيش الميروفنجى عاد أدراجه دون أن يحقق أى نجاح بسبب الخلاف الذي وقع بين القواد.

وأوضح في هذا الفصل أيضاً إعداد جونتtram لجيشه للتوجه إلى أسبانيا في عام ٥٨٥م وأنه أمر قواته بالاستيلاء على سبثمانيا Septimania التي كانت تحت سيطرة القوط الغربيين على أساس أن هذا الإقليم مجاور لإقليم غالة. وأوضح لنا استعداد جيش جونتtram والحرب التي لحق ببعض مدن إقليم سبثمانيا. واستكمالاً لهذه القضية أوضح لنا جريجورى قدوم سفارة من أسبانيا في العام نفسه بقصد عقد السلام مع الملك جونتtram، وأن السفارة عادت إلى أسبانيا دون أن تحقق أهدافها. وتحدث المؤرخ أيضاً عن قدوم سفارة قوطية أخرى من أسبانيا في عام ٥٨٦م. من أجل إقرار السلام بين الملك جونتtram والملك القوطى الغربى ليوفجيلد وعودة السفارة دون التوصل إلى نتائج.

كما أوضح لنا في هذا الفصل أيضاً قيام ريكارد Ricard ابن الملك ليوفجيلد بالتقدم إلى ناربون Narbonne في عام ٥٨٦م الواقعة في إقليم سبثمانيا وأنه استولى على العديد من الغنائم داخل المقاطعات الميروفنجية

وعودته إلى إسبانيا. وتحدث في هذا الموضوع عن رُسل فردجوند الذين حاولوا اغتيال الملك جونتtram والقبض عليهم وإعترافيهم بأسرار عملية الاغتيال.

وتناول المؤرخ أيضاً في هذا الفصل الأمطار التي اجتاحت البلاد في صيف هذا العام وتحدث عن التخريب الذي لحقته بالأراضي والعواصف التي صاحبت الأمطار واغراقها لبعض الزوارق وأن فصل الصيف صار كما لو كان فصل الشتاء. وختم الفصل بموت الملك القوطى الغربى ليوفجيلد بعد سبعة أيام وتولى ابنه ريكارد العرش خلفاً له، لأن ليوفجيلد كان قد حارب ابنه الأكبر هرماجيلد وقتله لاعتناقه المذهب الكاثوليكى. فقد كان القوط الغربيون يدينون بالمذهب الأيووسى في هذه المرحلة، واعتنق ريكارد الكاثوليكية في مرحلة لاحقة في عام ٥٨٧م.

والفصل التاسع يحتوى على أربعة وأربعين موضوعاً ويبدأ ببعض الأحداث التي وقعت في بقية عام ٥٨٦م. المتعلقة بقيام الملك القوطى الغربى ريكارد بإرسال مبعوثيه إلى كل من جونتtram وتشيلديبرت الثانى من أجل إقرار السلام. بعد ما تمكن ريكارد من إقرار السلام داخل دولته القوطية وتصاله مع زوجة أبيه جويسوينث Goiswinth. وختم هذا الفصل بالأحوال الجوية لعام ٥٩٠م. والفيضانات التي أحدثتها الأمطار والحرب الذي أصاب البلاد.

والأحداث التاريخية في هذا الفصل ولرده بتفاصيل كثيرة وقد اشتملت على جوانب متعددة في المجال الداخلى والخارجى. ولعل أهم ما ورد في هذا الفصل معاهدة السلام التي عقدها الملك جونتtram مع بقية حكام الفرنجة وهي المعروفة بمعاهدة أندلوت Andelot الموقعة في الثامن والعشرين من نوفمبر عام ٥٨٧م. وقد أورد المؤرخ جريجورى نص المعاهدة بتمامها.

وفي هذا الموضوع يركز جريجورى وهو كاثوليكى المذهب على تحول ريكارد ملك القوط الغربيين في إسبانيا من الأيووسية إلى الكاثوليكية بعد ما تم لقاء بين بعض رجال الدين من المذهبين واقتناع ريكارد بصحة المذهب



الكاثوليكي. وبين لنا المؤرخ قيسام الملك ريكارد بإيفاء الرسل إلى جوتشرام وتشيلديرت الثاني بهذا عقد السلام بعد ما اتبع المذهب الكاثوليكي وهو المذهب الذي كان يدين به الفرنجة. وبرز لنا جريجورى توسطه بين الملك جوتشرام وتشيلديرت الثاني لحفظ السلام داخل الدولة البيرونجية بعد ما تعكر صلح السلام بينهما في عام ٥٨٨م ولجأ المؤرخ في هذه المهمة. ولكنه كان لجأها جزئياً. فقد حدثنا المؤرخ عن توتر العلاقات بين الملكين مرة أخرى. وعاود الحديث عن الصراع بين القوط الغربيين والفرنجة وأن جوتشرام أعد جيشه للسير إلى سبقتانيا.

وانتقل المؤرخ من الحديث عن القوط الغربيين في أسبانيا إلى اللمبارد في إيطاليا وسجل لنا قدوم سفارة من الملك اللمباردي أوثاري Authari وهو الذي أطلق عليه المؤرخ اسم أبنتشار Aptachar (ت ٥٩٠م) إلى الملك تشيلديرت الثاني بغرض زواج أخت الأخير إلى الأول. وموافقة تشيلديرت على الهدأ. ثم ما كان من الحرب التي دارت بين قوات الفرنجة واللمبارد وهزيمة الفرنجة شر هزيمة في إيطاليا. وأعقب ذلك بالحديث عن الهدنة التي عقدت بين الطرفين وكيف حافظ اللمبارد على السلام.

وقدم جريجورى في هذا الفصل جوانب أخرى غير الجوانب السياسية. وسجل لنا أحداث المجاعة التي وقعت في عام ٥٨٧م. والوباء الذي اجتاح مدينة مرسيليا وأثر ذلك على البلاد. كما صرر لنا التعسف الذي مارسه جامعو الضرائب في بعض المدن بغرض جمع الضرائب الجديدة التي فرضها الملك تشيلديرت الثاني.

والفصل العاشر والأخير يتكون واحد وثلاثين موضوعاً ويبدأ بأحداث عام ٥٩٠م المتعلقة باحتلال البابا جريجورى الأول (٥٩٠ - ٦٩٤م) عرش البابوية في روما والمواظ التي ألقاها البابا في هذه المناسبة. وأنهى المؤرخ هذا الفصل بثبت لأسماء الأساقفة الذين تولوا أسقفية مدينة تور منذ عام ٢٤٩م وهم ثمانية عشر عدداً جريجورى.

واشتمل هذا الفصل على جوانب متعددة كما هي عادة المؤرخ فتكلم عن الأحداث الداخلية والدينية والخارجية. وفي المجال الداخلي والديني تناول المؤرخ قيام الملك تشيلديرت بتخفيف الضرائب المفروضة على رجال الدين في مدينة كليرمونت - فرانك. كما تناول الجدل الذي تم حول طبيعة السيد المسيح وأفرده له صفحات عديدة.

وفي المجال الخارجي قدم لنا المؤرخ مادة تاريخية عن العلاقات البيزنطية. وسجل لنا قيام الامبراطور موريس بإرسال إثني عشر رجلاً مكيلين بالحديد بعد إدانتهم بقتل مبعوثي الملك تشيلديرت إلى الامبراطور. وحول العلاقات البيزنطية البيرونجية تناول المؤرخ عودة جريبو Grippo مبعوث الملك تشيلديرت الثاني إلى الإمبراطور البيزنطي موريس. وما ذكره جريبو عن رحلته التي بدأت عام ٥٩٠م. وما كان من مجيئه إلى قرطاج Carthage، وانتظاره هناك لحصوله على إذن لمواصلة الرحلة. مما يشير إلى أن الرحلة كانت عن طريق البحر.

كما قدم لنا في المجال الخارجي مادة تاريخية طيبة عن سقوط مدينة أنطاكية عام ٥٧٣م في يد الفرس. وأخبرنا أنه استقى مادته التاريخية من الأسقف الأرمني سيمون الذي زاره في عام ٥٩١، بعد نفيه من بلاده. وسيمون هنا كان أحد الأسرى الذين سبقوا إلى فارس ثم أطلق سراحه. ومن هنا تأتي أهمية ما سجله جريجورى من سيمون باعتباره أحد شهود العيان.

بعد هذا التحليل لكتاب تاريخ الفرنجة يمكن القول إن جريجورى كان رجلاً متعدد الثقافة واستطاع أن يبرز لنا ملاحظاته عن الأحداث التي جرت في عصره بكل دقة ومهارة، وأنه كان رجلاً عادلاً واستطاع بشخصيته المتعددة الجوانب أن يقضي فترة أسقفية كرجل أمين عادل ومؤرخ قلما يجود الزمان بمثله.



فقد صور لنا المرض الذي احتاج إقليم غالة في أغسطس عام ٥٨٠ م وأنه  
قضى على ١/١ سكان غالة، وكيف هاجم الروما الأطفال. وأنه كمرجل دين  
أنهى حديثه بقوله: إن الله أعطى، إن الله أخذ.

كما أوضحت لنا الظروف السيئة التي عاشها المواطنون وما كان من فرض  
ضرائب جديدة عليهم. وأنه دافع عن أهل مدينة تور وأوضح أن العهد الذي  
قطعه أهل المدينة مع الملك تشيلبيرت الثاني يقتضى بعدم فرض ضرائب جديدة،  
وأن تستمر فقط الضرائب التي كانت مفروضة منذ عهد الملك لوثير الأول.  
وحول سوء الأحوال وعدم الاستقرار وصف التورخ الحالة بقوله: إنه ما من يوم  
يسر إلا ونسح بمقتل شخص ولا تمر علينا ساعة إلا وتحدث معركة. ولا شك أن  
جريجورى كان قريباً من رجال الحكم والادارة، وأنه عرف كيف يسجل الحوادث  
بكل دقة.

ولمجلى ذلك عندما سجل ما كان يجرى في الأديرة، فكتابات حول هذا  
الموضوع تبدو كما لو كانت مذكرات يومية، وإن ما كتبه هو خلاصة تجاربه  
وملاحظات سنوات عمره، ويتضح ذلك بصفة خاصة ما كتبه عن الأحداث التي  
جرت في دير سانت راديجوند St. Radegund في مدينة براتبه.

ويمكن القول إن جريجورى قد إهتم بهذا الجانب بوصفه أحد رجال الدين.  
ولكنه رغم كونه رجل دين فقد وصف لنا المعارك العسكرية بمنتهى الوضوح  
والتفصيل. كما أنه صور المنطقة التي حدثت فيها المعارك تصويراً جغرافياً،  
بصورة تجعل القارئ يعيش أجواء المعركة.

وكان جريجورى حريصاً عند روايته للأحداث، ولا يصدر الأحكام جزافاً  
على المادة التاريخية، فعندما روى مصرع هرمانفرد Hermanfrid ملك ثورنجيا  
Thuringia ذكر أن أحد الأشخاص دفعه من فوق الأسوار فسقط على الأرض  
ومات وأن الذي دفعه غير معروف وأن هناك بعض الناس يقولون إن الملك  
ثيودريك له ضلع في هذه المؤامرة. وعندما تحدث عن وفاة ليرفجبلد الملك

القوطى ذكر أن البعض يقول إنه اعتنق الكاثوليكية وهو على فراش الموت.  
وكما كان متحفظاً كان جريشاً في حكمه فقد شبه الملك تشيلبيرك ووفاته في  
عام ٥٨٤، بالامبراطور الرومانى نيرون Nero (٥٤ - ٦٨ م)، الذي أحرق روما،  
وهيرودس Herod (٣٩ ق.م - ٤٠ م) حاكم إقليم يهوذا الذي قتل جميع  
الصبيان في بيت لحم أيام ولادة السيد المسيح، ويرجع جريجورى هذا التشبيه  
إلى سوء مسلك تشيلبيرك وخلقه الشرير.

ورغم هذا كله فقد كان جريجورى يميل إلى الوصف الخيالى في بعض  
الأحيان، ويتضح ذلك من حديثه عن الحرب التي دارت بين جيش الملك كلوفس  
وبين جيش هيرمانفرد ملك الثورنجيين وانهزام هيرمانفرد وقواته بعد مذبحة  
رهبة عند نهر أنستروت Unstrut وأن حدث الثورنجيين تراكت في قاع النهر  
وأن جنود الفرجة كانوا يعبرون عليها كما لو كانت قنطرة.

وقد وقع التورخ جريجورى الثورى في بعض الأخطاء. ولا يتسع المجال هنا  
للحديث عنها كلها، ويكتفى الباحث في هذه السطور بذكر بعضها على سبيل  
المثال. وقد اختار الباحث خمسة أخطاء. تناثرت في ثنايا كتاب تاريخ الفرجة  
على مدى مئتين عاماً تقريباً، ويقدمها الباحث هنا حسب ترتيبها الزمني.

والخطأ الأول يتعلق بموت أمالاسونثا Amalasuntha ابنة ثيودريك ملك  
القوط الشرقيين، التي أصبحت وصية على ابنها بعد موت والدها في عام  
٥٢٦ م. فقد ذكر جريجورى أن وفاتها كانت في الحمام عندما سقطت على  
أرضيته الحجرية وماتت في الحال. والحقيقة أن موت أمالاسونثا يرجع إلى  
مؤامرة دبرها لها زوجها ثيوداهاد Theodahad حتى ينفرد بالحكم مستغلاً  
معارضة القوط لها. وبناء على أوامر ثيوداهاد تم القبض على أمالاسونثا  
ونفيت إلى جزيرة في وسط بحيرة بولسنا Bolesna الواقعة في وسط إيطاليا،  
حيث تم أعدامها بعد ذلك في عام ٥٣١ م.



والخطأ الثاني يختص بالملك المنصور الذي هو Albo n ٩٨١ د.  
 ٥٧٢ م. وقد ذكر المؤرخ أن البرين قائد المنصورين إلى إيطاليا بهدف الاستقرار  
 بها لذلك جاء مع الجيش الزوجات والأولاد وتم الاستيلاء على اللاتيم وطلبوا  
 يعيشون فيه فساداً لمدة سبع سنوات سلبوا فيها الكنائس وقتلوا الأساقفة  
 والمعروف أن البرين دخل إيطاليا في عام ٥٦٨ م ومات في عام ٥٧٢ م. وأن مدة  
 حكمه في إيطاليا كانت حوالي أربع سنوات كان المنصور فيها تحت إمرته  
 وليس سبع سنوات كما أوردها المؤرخ. وهناك تفسير آخر لما أورده جريجوري  
 وهو القول أن البرين ومن حكم بعده مارسوا سياسة التخريب لمدة سبع سنوات.  
 ولكن جريجوري وهو معاصر لهذه الأحداث وقريب منها كان يوسع أن يمددا  
 بمادة تاريخية لا ليس فيها.

والخطأ الثالث مرتبط بموقع مدينة أنطاكية التي سقطت في يد الفرس عام  
 ٥٧٣ م في عهد الامبراطور طبريوس. وقد أورده المؤرخ أن مدينة أناصيه  
 Apamea في سوريا ومدينة أنطاكية في مصر قد سقطتا في يد الفرس وتم  
 أسر العديد من الأهالي. والمعروف أن مدينة أنطاكية تقع في شمال الشام وليس  
 في مصر. وفي اعتقاد الباحث أن هذا الخطأ هو زلة قلم، فقد تحدث عن القديس  
 جوليان Julian وكنيته في أنطاكية. ولاشك أن جريجوري وهو من كبار رجال  
 الدين في عصره يعرف بالتحديد مكان مشي القديس جوليان.

والخطأ الرابع ينتمي إلى الامبراطور البيزنطي جستن الثاني وقد أورده  
 المؤرخ أنه حكم لمدة ثمانية عشر عاماً. وبعد موته تولى القيص طبريوس عرش  
 الامبراطورية. والحقيقة التي اتفق عليها المؤرخون أن الامبراطور جستن الثاني  
 حكم من ٥٦٥ - ٥٧٧ م. وهي مدة تقرب من إثني عشر عاماً وليست ثمانية  
 عشر.

والخطأ الخامس والأخير يتعلق بالشخصية التي خلفت الملك المنصور  
 أوثاري (أبشار). وقد روى المؤرخ جريجوري أن أوثاري أرسل سفارة إلى  
 الملك جوتtram بناء على رغبة الأخير. وبينما كانت السفارة في قصر الملك أني

بعض المبعوثين إلى البلاط وذكرنا خير ولقاء الملك أوثري وأن بولس Paul  
 تولى العرش من بعده. والواقع أن الذي تولى عرش المنصورين بعد أوثاري هو  
 أجيلولف Agilulf دوق تورين Turin وحكم من ٥٩٠ - ٦١٦ م.

وأود أن أقول أن ما أورده من تعريف وتحليل لكتاب تاريخ الفرنجة  
 للمؤرخ جريجوري تنويري هو نموذج لما يكون عليه التحليل. وهناك تحليل آخر  
 يقدمه الطالب لأهم مصادر رسالته. وهنا يجب أن يكون التعريف بالمؤرخ ثم  
 تحليل للمادة التاريخية المتعلقة بموضوع الرسالة وليس بالكتاب كله إلا إذا كان  
 الكتاب كله عن موضوع الرسالة. ويجب على الطالب أن يحلل ويتأكد المادة  
 الواردة في المصدر على خمس نقاط رئيسة:

- ١- أن يتكلم عن الموضوعات التي أفاض فيها المؤرخ.
- ٢- أن يذكر الأحداث التي أوجزها المؤرخ عن موضوعه.
- ٣- أن يورد الموضوعات التي القرد بها المؤرخ دون غيره من المؤرخين.
- ٤- أن يسجل الموضوعات التي لم يذكرها المؤرخ في موضوعه.
- ٥- أن يكتب عن الأحداث التي أخطأ فيها المؤرخ.

والحقيقة أن هذا التحليل والنقد لا يمكن معرفته إلا بعد كتابة الرسالة  
 حيث يكون الموقف أكثر وضوحاً على ضوء المصادر الأخرى.

- بولس الشماس:

بولس الشماس Paul The Deacon هو المؤرخ الايطالي المنصور  
 الذي ولد في عام ٧٢٠ م بمدينة فريبولي Friuli الواقعة في شمال مدينة البندقية  
 في إقليم لبارديا في عام ٧٩٩ م. وهو ينحدر من أسرة نبيلة لومباردية. وتلقى  
 تعليمه في بلاط الملك المنصور راشيس Rachis في مدينة بانجا على يد  
 النحوي فلافيانوس Flavianus. وفي عام ٧٦٣ م ذهب إلى بلاط الدوق أرخيس  
 Archis في مدينة بفتو Benevento. وبعد سقوط المملكة اللومباردية على



أهدى شارلمان في عام ٧٧٤م Charlemagne ملك الفرنجة (٧٦٨ - ٨١٤م) ثم أصبح بولس الشماس منذ عام ٧٨٢م عضواً في بلاط الامبراطور. وقد مدح بولس الشماس الامبراطور شارلمان في قصيدة أعجب بها شارلمان وأفرج عن أخى بولس الشماس الذي سجن بعد التمرد الذي حدث في مدينة فيرمبولي عام ٧٧٦م، ثم عاد بولس الشماس مرة أخرى في عام ٧٨٧م إلى دير مونت كاسينو حيث مات هناك في عام ٧٩٩م.

وكانت أول أعمال بولس الشماس عندما كان في مدينة بنفتو وكتب مصنفاً عن تاريخ الرومان Histaria Romana الذي ينتهي بالتاريخ عند عهد الامبراطور جستنيان، وله عملاً آخر هو كتاب أساقفة متز Bishops of Metz، وهذا الكتاب هو مصدر عن المعلومات المتعلقة بأجداد أسرة شارلمان خاصة أرنولف Arnulf، كما كتب بولس الشماس بعض التأملات الدينية، وأهمية النظام البندكتي. أما أعظم ما سجله هو كتاب تاريخ اللمبارد History of Lombards. ويغطي هذا الكتاب أحداث النصف الثاني من القرن السادس والقرن السابع والجزء الأول من القرن الثامن. ويعتبر هذا الكتاب من أقدم الكتب التاريخية عن أمة جرمانية وهي اللمبارد كتبها مؤرخ لمباردي يرجع إلى أصول جرمانية.

إن الفاء الضرورية على كتاب تاريخ اللمبارد يوضح لنا مدى أهمية هذا المصدر التاريخي، ويظهر لنا مدى عالمية هذا الكتاب في عصر مؤلفه، ويمكن القول أن ما سار عليه بولس الشماس قد سار عليه من قبل بعض المؤرخين المرموقين في تاريخ العصور الوسطى مثل كتاب جريجوري التوروني «تاريخ الفرنجة»، وتاريخ بيد، «تاريخ الكنيسة والشعب الإنجليزي»، فقد كتب عن تحركات العناصر اللمباردية والغزوات العربية والأفار، والامبراطورية البيزنطية والفرنجة وشئون الباباوية والاساقفة والأدرة وعن المعجرات عدا الفصل الأخير الذي اختلف. ولعل ذلك يرجع إلى أن بولس الشماس كان في المرحلة الأخيرة من حياته وبذلك لم يتمكن من تنقيح ما كتبه في هذا الجانب، ورغم هذا كله

فإن ما كتب المؤرخ يعتبر من المصادر التاريخية والأدبية لتاريخ أوروبا المبكر المعتمد بأحداث الهجرات الجرمانية في الفترة الواقعة بين القرن السادس والسابع الميلاديين.

لقد سجل بولس الشماس هذا الكتاب في نهاية حياته وأنه شاهد معظم ما سجله في هذا الكتاب عن ما دار في غرب أوروبا، لقد تكلم عن المجتمع اللمباردي وثقافته في عهد ملوكه في بلاط بالها وبنفتو، وعن بداية ما يسمى بالمحاضرة الكارولنجية تحت حكم شارلمان والحياة الدينية والأدبية التي ظهرت في بلاد الغال، وبريطانيا وإيطاليا في القرن الثامن، كما كتب أيضاً عن شئون الإمبراطورية البيزنطية وشئونها الدبلوماسية والسياسية المعقدة التي جعلتها عاجزة عن الاحتفاظ بالأراضي الإيطالية، وانهيار المملكة اللمباردية والأحوال التي سادت أوروبا عشية تنويع شارلمان إمبراطوراً.

والحقيقة أن بولس الشماس قد شاهد هذه الأحداث ولمسها عن قرب، ولقد عمل هذا المؤرخ لعدة عقود ليطلع على كتب المؤرخين الذين سبقوه، وقد أعطاه ذلك خبرة ممتازة عن الثقافة التي سادت إيطاليا وبلاد الغال التي سادت قبل عصره، لقد عاصر شارلمان وجهوده العلمية وإحياء اللغة اللاتينية وعلومها النحوية في العالم المسيحي، ولكنه أحترم أيضاً التقاليد اللمباردية القائمة على المذهب الأريوسي.

لقد نجح بولس الشماس في أن يكتب باقتدار التاريخ القومى للشعب اللمباردي في خضم الأحداث البيزنطية والفرنجية المعقدة به، وأنه ركز على المحاضرة المدنية والروحية للشعب اللمباردي.

وينقسم كتاب تاريخ اللمبارد إلى ستة فصول أو كتب صغيرة، وفي الفصل الأول يبدأ المؤرخ بالحديث عن أصل العناصر الباردية وهجرتها في أوروبا الشرقية حتى القرن السادس الميلادي. وفي الفصل الثاني تكلم المؤرخ عن دخول العناصر اللمباردية إلى إيطاليا تحت قيادة ملكهم البرين Alboin



٥٦٨١ - ٥٧٢ م) وطرح هؤلاء المهاجرين في إمارة مملكة لهم تحت قيادة ملكهم  
دخلت كليفو Clepho (٥٧٢ - ٥٧٣ م). ونحدث في الفصل الثالث عن  
استقلال الدولة المباركية والصعوبات التي لاقتها حتى استقرت الدولة. ثم  
مملكة المصادر في عهد الملك أوثاري Authari (٥٨٤ - ٥٩٠ م) وأجيبولف  
Agiluf (٥٩٠ - ٦١٥ م). أما الفصل الرابع والخامس والسادس، فقد أكمل  
تاريخ المباركة في القرنين السابع والثامن.

## الفصل الثالث المصادر الأوربية

- ١- المصادر الكارولنجية والألمانية
- ٢- المصادر الإنجليزية
- ٣- المصادر الفرنسية



## ١ - المصادر الكارولنجية والألمانية

- وثائق كارولنجية

- إينهارد
  - فيثارد
  - تيجان أف تريف
  - هنكمار
  - نوتكر المتلشم
  - ويدكند أف كورفي
  - ليوتبراند أف كريمونا
  - تانجار
  - هرمان القعيد
  - لامبرت أف هرسفلد
  - برتلود أف ريخناو
  - إكهارد أف أورا
  - أوتو أف فرايزنج
  - هرمان أف التاخ
- قرارات امبراطورية



## - وثائق كارولنجية :

في العصر الكارولنجي يوجد مجموعة كبيرة من الوثائق يستعذر وضعها في هذا الكتاب لكبر حجمها، ولذلك سوف أقدم بعضها على هذه الصفحات حتى يستطيع الباحث أن يلم بها ويبحث عن البعض الآخر، ومن ذلك بعض وثائق العصر الكارولنجي التي تتعلق بشئون الحكم والإدارة التي نشرها H. R. Loymand Tohnpercival تحت اسم The Reigen of Charloe Mage: Documents on Carolingian Government and Administration في عام ١٩٧٥ في لندن.

وفي هذه المجموعة بعض المعلومات عن بعض المؤرخين وبعض ما سجلوه مثل إيتهارد ونوتكر المتعلم وتشارد وسوف لا أتعرض لها، ومن الموضوعات التي وردت في هذه المجموعة ما كتبه ثيجان Thegan الذي كتب عن حياة لويس الثاني في أواخر عام ٨٢٠م، والمؤرخ الجيولوجي المعروف باسم Astronomus لولعه بعلم الفلك، وقد كتب عن حياة الإمبراطور لويس الثاني أيضاً. وتوجد أيضاً بعض الحوليات مثل The Royal Annals ومخطوط فيينا The Vienna Manuscript. ومن هذه المجموعة أيضاً شرائع تتعلق بالقانون ونظم الحكم والمجتمع الكارولنجي في عهد الإمبراطور شارلمان، ومنها مجموعة الشرائع الدينية المنسوبة إلى هرتال Harstal في عام ٧٧٩م، ومانتو Mantua في عام ٧٨١م، وبادربورن Paderborn في عام ٧٨٥م، ووثائق تتعلق بالسكسون في عام ٧٩٧م، والمجمع الديني الذي عقد في مدينة فرانكفورت Frankfort عام ٧٩٤م، ودراسة شارلمان للأدب في نهاية القرن الثامن الميلادي، وبعض الوثائق الخاصة بالنظام المدني الذي وضع في أواخر القرن الثامن الميلادي أيضاً، وهذه الوثائق تعكس أحوال الولايات المتحدة وقد وضعت في سبعين بنداً، وبعض الوثائق العامة المتعلقة بنظام المبعوثين الملكيين التي وضعت في ربيع عام ٨٠٢م. وقد وضعت في أربعين بنداً، ومجموعة الوثائق الخاصة للمبعوثين المدنيين التي وضعت أيضاً في عام ٨٠٢م.

وقد تضمنت تسعة عشر بنداً ومجموعة وثائق مدينة أكس لا شابل Aix la Chapelle الموقعة بين عامي ٨٠٢ - ٨٠٣م وبها اثني عشر بنداً.

والى جانب هذه الوثائق والقرارات توجد مجموعة من الخطابات صادرة من العالم ألكوين Alcuin والإمبراطور شارلمان وفي مجموعتها تصل إلى سبعة عشر خطاباً. وأخيراً هناك بعض الموائيق، وهي تتعلق بالكفاني والأديرة وقد صدرت هذه الموائيق في الفترة من ٧٦٩ - ٨٠٧م. وبما لا شك فيه أن مثل هذه الوثائق والخطابات وهي مصادر من الطراز الأول سوف تساعد الباحث كثيراً على الكتابة عن عصر الدولة الكارولنجية.

## - إينهارد :

ولد المؤرخ الكارولنجي إينهارد Einhard أو Eginhard في عام ٧٧٠م في ضاحية بالقرب من نهر المين Main في الجزء الشرقي من الإمبراطورية الكارولنجية ومات في مارس من عام ٨٤٠م في مدينة سليجنستاد Seligenstade. وقد تلقى تعليمه الأولي في دير فولدا Fulda أشهر أديرة أوروبا في تلك المرحلة. وقد لاحظ هوجولف Hougulf رئيس الدير نبرغ إينهارد فأرسله إلى بلاط شارلمان حيث أكمل تعليمه في مدرسة القصر، وكان سعيد الحظ حيث تعلم على أيدي العلامة ألكوين الأنجلبيزي الأصل الذي استدعاه شارلمان لإنشاء مدرسة القصر.

وقد لاحظ هوجولف موهبة إينهارد في الحساب والعسارة. وقد قرب شارلمان إينهارد إليه وأصبح من أهم رجاله المخلصين. وقد عهد شارلمان للمؤرخ إينهارد بالإشراف على المباني الهامة، ومن ذلك تشييد كاتدرائية مدينة آخن العاصمة الكارولنجية وكذلك كاتدرائية مدينة إنجلهايم Ingelheim ولذلك أصبح يطلق على إينهارد في البلاط الكارولنجي أسم بصليل Beseleel وهو اليهودي الذي بنى خيمة الاجتماع ولوازمها والتابوت وغطاءه.



ونظراً لما قطع به إبنهارد من حكمة وصيرة، أرسله شارلمان في عدة مهام  
سفيراً ودبلوماسياً، ومن ذلك أنه أرسل في عام ٨٠٢ ليفارض السكسون من  
أجل تبادل الأسرى أصحاب الرتب العالية وفي عام ٨٠٦ أرسل إلى البابا ليو  
الثالث (٧٩٥ - ٨١٦م) في روما ليحصل على بركة الباب وموافقته  
على تقسيم الامبراطورية بين أولاد شارلمان.

وقد ظل إبنهارد في هذه المكانة بعد وفاة شارلمان عام ٨١٤م، حيث ظل  
مخلصاً للملك لويس الثقي وحظي بالثقة نفسها. وعندما نشب الصراع بين  
الأنباء من أجل الملك في حوالى عام ٨٤٠م حاول إبنهارد التدخل لإنهاء النزاع  
ولكن الملكة جوديث Judith زوجه لويس كانت تعمل على تضخيم المشكلة،  
لذلك انسحب إبنهارد إلى مدينة مولنهايم Mulinheim الواقعة عند نهر الراين،  
وكان في عام ٨٣١م وعام ٨٣٤م أسس دير سيجستاد على النظام البندكتي  
وبعد وفاة زوجته إيمما Emma أخت برنهار Bernhar أسقف ورمز Warmس لجأ  
إلى الدير حيث قضى بقية حياته، ومن المعروف أن النقش المسجل (توفى  
٨٦٥م) وهو على ضريحه قد كتبه رابانوس الأسمر Rabanus Maurus،  
العالم المعروف وأحد رؤساء دير فولدا، وتلميذ الكرين وأحد زملاء إبنهارد في  
الدراسة. ويعتبر أهم ما كتبه إبنهارد هو كتاب حياة شارلمان العظيم Vita  
Carali Magni، ويرى البعض أن هذا الكتاب يعتبر أفضل سيرة ذاتية في  
تاريخ العصور الوسطى. والكتاب في حد ذاته صغير ولكنه ينقسم إلى ستة  
أقسام. يبدأ القسم الأول بالحديث عن بدايات الدولة الكارولنجية وبخاصة الملك  
شليمريك الثالث Childeric III الذي عزله البابا في عام ٧٥١م، وبداية تلك  
الكارولنجيين السلطة في عام ٧٥٤م وسيطرة نظام القصور على الحكم،  
وانتهى هذا الجزء بموت كارولمان Carloman في عام ٧٧١م.

أما القسم الثاني فقد جاء بعنوان «حروب شارلمان وسياساته الخارجية»،  
وفي هذا الجزء تناول المؤلف حروب شارلمان في أكرشين Aquitaine وضد  
السابارد في إيطاليا والسكسون الوثنيين الذين يقطنون في الشرق من فريزيا

وإلى الشمال من بارفاري الألمانية، وضد الأقباط، والدانين والمسلمين في  
أسيانيا، وختم هذا القسم ببعض الجرائب المعاصرة التي شهدتها شارلمان.

والقسم الثالث يتناول حياة شارلمان الخاصة بداية من أسرته وأخواته  
وزوجاته وأولاده، وأن شارلمان كان يتمتع بجسم قوى طويل القامة، وأنه قضى  
معظم وقته على جواده إما للصيد أو للحرب وأنه كان يرتدى الزى الفرنجي،  
وأنه كان متحضرًا في مأكله ومشربه وأنه اهتم بالتعليم والفنون السبعة، ويمكن  
الاحترام لمن علمه وأنه اهتم بالمسيحية والمسيحيين والفكر منهم حتى في  
الشرق الإسلامي على حد قول المؤرخ، وأعطى عناية خاصة بالباباوية في روما.

وجاء في القسم الرابع ما يتعلق بالأيام الأخيرة للإمبراطور شارلمان ثم  
وفاته، أما الخامس والأخير فقد تناول وصايا الإمبراطور ومن ذلك كيفية  
النصرف في جميع ممتلكاته الشخصية والكنيسة والتي سيدفن فيها.  
- نيشارد:

نيشارد Nithard مؤرخ فرنجي وهو ابن إيجلبيرت Angelbert وبرتيا  
Bertha ابنة شارلمان من زوجته الثانية هلديجارد Hildigard الأميرة  
السوابية، ويقال أن نيشارد ولد في عام ٧٩٥م وتوفى في عام ٨٤٣ أو ٨٤٤م،  
ولا يعرف الكثير عن حياته السابقة وما تبقى من معلومات متناثرة يتضح أنه  
رجل علماني تلقى جانباً من التعليم في الوقت الذي كان فيه التعليم قاصراً  
على رجال الدين، ولكن مدارس القصر التي أنشأها شارلمان هيأت التعليم  
للنبلاء وبعض المسئولين في الدولة. ويعتبر نيشارد من أقدم المؤرخين الذين  
ظهروا في أواخر العصر الكارولنجي، ولعل ذلك يرجع إلى أنه من غير رجال  
الدين المؤرخين الذين كان لهم نمطاً معيناً في كتابة التاريخ.

وعلى أية حال فعندما نشب الصراع بين أولاد لويس الثقي Louis The  
Pious (٨١٤ - ٨٤٠م) وهم لوثير Lothair الذي حكم إيطاليا - ٨٤٠ -  
٨٥٥م، ولويس الألماني Louis The German الذي حكم ألمانيا - ٨٤٠ -



وفي عام ٨٤٠ دعا الملك شارل الأصغر هنكامار للدخول في خدمته بصفة  
وامة، ومن هذا التاريخ أصبح شخصية عامة في البلاط الملكي ومستشاراً في  
جميع شئون المملكة، وفي عام ٨٤٥ أصبح رئيس أساقفة مدينة ريمز.

ومن هنا ولدت أربعين عاماً قبل هنكامار في وسط الأحداث سواء  
السياسية أو الدينية في غرب الإمبراطورية الكارولنجية، وكان له دوراً فاعلاً  
في معظم الأحداث. وقد عاصر هنكامار العديد من ملوك الدولة الكارولنجية  
في فرنسا، وعديد من الباباوات كما حضر العديد من المجامع الدينية، وكانت له  
مواقفه الخاصة من مسألة القضاء، والقدر ومن التقليد العلماني، وله مراسلات  
عامة جداً حول هذه القضايا. كما أنه كتب حولية تاريخية من الفترة من ٨٦١  
حتى ٨٦٢م تضمنت أحداث العصر الداخلي والخارجي.

- نوثر المتلعم:

ويقف نوثر المتلعم Notker The Stammerer إلى جانب المؤرخ  
إبنهارد في الكتابة عن شارلمان وإن كان بدرجة أقل، وقد ولد نوثر حوالي عام  
٨٤٠م في مدينة جونسويل Jonswil بإقليم سانت جول (سويسرا حالياً) ومات  
في عام ٩١٢م، وهو سليل أسرة عريقة وتلقى تعليمه في مدرسة الدير بالإقليم  
الذي ولد به، ثم أصبح راهباً بندكتياً في الدير نفسه ثم مديراً لمكتبة الدير في  
عام ٨٩٠، وعين بعدها مديراً لنزل الضيافة من عام ٨٩٢ - ٨٩٤م، كما أنه  
كان مدرساً نشطاً بالإضافة إلى أنه كان شاعراً ومؤلفاً وأكمل حولية إرخانبرت  
Erchanbert في عام ٨٦١م وسجل ورتب سجل شهداء المقاطعة ونظم شعراً  
عن القديس جول Gail، ولذلك عرف بإسم راهب القديس جول. وأهم أعمال  
نوثر هو كتاب حياة شارلمان Gesta Carolinagni وكان له الفضل في إطالة  
المقدمة التي تسبق للناس.

ونظم كتاب نوثر إلى قسمين الأول يتناول رحمة شارلمان وعنايته  
بالمكتبة، والثاني عن حروب شارلمان وأعماله البطولية. ولهما يتعلق بالقسم

الأول لأنه يتضمن أربعة وثلاثين موضوعاً ومن أهم ما ورد في هذه الموضوعات  
قدوم الصائم الإنجليز الكيرين إلى بلاط شارلمان وتلاميذ الكيرين في مدرسة  
القصر وتوزيع شارلمان للأراضي، وتصيته للأساقفة وحسن معاملتهم وتوزيع  
شارلمان لأميراطوراً، وحروب شارلمان ضد الهون أي الأفر، وصلاح البطار، وثناء  
كاتدرائية مدينة آخن Aachen العاصمة.

أما الجانب الثاني من الكتاب فقد استكمل الحديث عن حروب شارلمان  
ضد الأفر وشجرت جنوده ومكافاتهم، وارسال شارلمان مبعوثاً من قبله إلى  
الإمبراطورية البيزنطية وسفارة متبادلة إلى شارلمان ووصول سفارة من بفسله  
إلى شارلمان وتبادل الهدايا، ويضاف إلى ذلك حروب شارلمان ضد السكسون  
والنورمان في جنوب فرنسا واللبارد والسلمين في أسبانيا وموضوعات أخرى  
متفرقة عن شارلمان وزوجاته وأسرته وعاداته وعذاته، أما الجزء الأخير من هذا  
الجانب فهو يتعلق بالملك لويس النقي. ويؤخذ على كتاب نوثر أنه كتب عن  
حياة شارلمان بعد سبعين عاماً من وفاته وأنه لم يقدم سيرة ذاتية للإمبراطور،  
كما أنه ليس مزخماً حقيقياً، وأن أسلوبه أقل من أسلوب إبنهارد، ورغم هذا  
فإن نوثر قد أضاف بعض المعلومات عن المرحلة التي كتب عنها.

- ويدكند ألف كورفي:

عاش المؤرخ الألماني ويدكند ألف كورفي Widukind of Corey في  
القرن العاشر الميلادي، ويرتبط اسمه باسم دير كورفي البندكتي الذي عاش  
فيه، ولذلك كان راهباً بندكتياً. ويرجع هذا المؤرخ إلى أصل سكسوني، وفي  
عام ٩٦٧م بدأ في كتابة تاريخ السكسون، وقد كرس كتابه هذا للإمبراطور  
الألماني هنري الأول أو الصبياد Henry I (٩١٩ - ٩٣٦م) وخلفائه حتى  
الإمبراطور أوتو الأول Otto I (٩٦٣ - ٩٧٣م)، كما كرس جانباً محدوداً من  
كتابيه للأم ماتيلدا أو رئيسة دير كويدلنبرج Mathilda, Abbess of  
Quedlinburg.



ولم يحاكمي ويدكذ المؤرخين السابقين في كتابة حولياتهم، ولم يبدأ مثلهم في الكتابة بداية من الامبراطورية الرومانية، ولكنه بدأ من تاريخ أمته وهي العسكرية وأساطيرهم ومعاركهم العسكرية مع الفرنجة وكنيسة أعتاقهم الديانة المسيحية. وقد مجد ويدكذ أعمال هنري الأول وانتصاراته العسكرية رغم قيام بعض الفلاحين في عصره، والحال ذاته بالنسبة للامبراطور أوتو الأول حتى تم السيطرة على الموقف وحكم كل الممالك الألمانية.

#### - ليوتبراند آف كريمونا:

ليوتبراند آف كريمونا Liutprand of Cremona أو ليوتبراند أسقف كريمونا ويرسم أيضاً Luidprand، وهو الأسقف والمؤرخ الذي ولد في بدايات القرن العاشر وكانت وفاته بعد عام ٩٧٠م، وهو ينتمي إلى عائلة لومباردية عريقة في شمال إيطاليا. وفي نهاية حياته ذهب إلى الملك هيو ألف أرسل Hugo of Arles في مدينة بالها، وقد أعجب الملك بصوت ليوتبراند فالحقه بدمر القصر، ثم أصبح كاتباً، ثم منح لقب شماس في كنيسة مدينة بالها.

وكان ليوتبراند في تلك المرحلة على علاقة طيبة مع برلجر الثاني ألف إلمري Brenger II of Ivrea وصديقه ويلا Willa وقد عتبه برلجر مستشاراً له، وفي عام ٩٤٩م أرسله سفيراً من قبله إلى الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع بروفوجينيتوس Constantine VII Prophyrogenitus ٩١٢ - ٩٥٩م مثلما أرسل والده وحماه في سفارات سابقة إلى القسطنطينية، وقد لقي ليوتبراند في إقامة صداقات في العاصمة البيزنطية، فقد كان ليوتبراند الشخصية المناسبة لمثل هذه السفارة، وقد وجد ليوتبراند في ذلك فرصة طيبة وتعلم اللغة اليونانية، ولربط بالتاريخ البيزنطي ونظام الامبراطورية وشهد بذلك ما سجله عن الامبراطورية، وبذلك على أنه ظل في القسطنطينية لفترة طويلة، وبعد عودة ليوتبراند بفترة قصيرة اختلف مع برلجر فالتجه إلى بلاط الملك الألماني أوتو الأول Otto I (٩٦٢ - ٩٧٣م) وقد رحب به الملك وأدخله في خدمته واعتبره الرجل المناسب الذي يحمل وجهة نظره السياسية إلى

إيطاليا وفي عام ٩٥٦م حضر ريموند Reimund أسقف مدينة شيرة Elvira بأسبانيا إلى البلاط الألماني وتقابل مع ليوتبراند وقد طلب ريموند من ليوتبراند أن يكتب تاريخ المرحلة التي عاشها، ومن الواضح أنه استجاب لطلبه وبدأ يسجل الأحداث في مدينة فرانكفورت Frankfurt، ولكن اشتغاله العامة كانت تقطع الكتابة من وقت لآخر، ولكنه ظل راضياً حتى عام ٩٦٢م، وعندما ضم الملك الألماني أوتو الأول مقاطعة لمارديا إلى حكمه عين ليوتبراند أسقفاً على مدينة كريمونا تقديراً له على خدماته. وعندما أصبح أوتو الأول امبراطوراً في فبراير عام ٩٦٢م أرسل ليوتبراند سفيراً من قبله إلى البابا يوحنا الثاني عشر John XII (٩٥٥ - ٩٦٤م) عندما نشب الصراع بين البابا والامبراطور، كما أرسل ليوتبراند في سفارة أخرى مع بعض الاساقفة إلى روما في السادس من نوفمبر عام ٩٦٢م لإعلان البابا بخلعه من كرسي الباباوية بقرار من الامبراطور، وقد كتب ليوتبراند هذه الأحداث من وجهة نظره وهي تتعلق بالفترة من ٩٦ - ٩٦٤م رسائل الامبراطور في موقفه ضد البابا وحمل على شعب روما بكل قسوة.

وبعد وفاة البابا غير الشرعي ليو الثامن Leo VIII في عام ٩٦٥ توجه ليوتبراند إلى روما مرة أخرى مع أوتجار Otgar أسقف مدينة أسبيرز Spire مبعوثان من قبل الامبراطور ليشعamlوا مع الموقف واختيار بابا آخر حيث تم اختيار البابا يوحنا الثالث عشر John XIII (٩٦٥ - ٩٧٢)، كما ذهب ليوتبراند في سفارة أخرى إلى القسطنطينية بناء على أوامر الامبراطور في صيف عام ٩٦٨م ليخطب ثيوفانو Theophano ابنة الامبراطور البيزنطي لاهن الامبراطور الألماني المدعو أوتو أيضاً والمعروف باسم أوتو الثاني (٩٧٣ - ٩٨٤م).

وفي عام ٩٦٩م حمل ليوتبراند خطاباً من الامبراطور الألماني إلى مجمع كنسي في مدينة ميلان Milan، وإلى مجمع كنسي بمدينة روما، ولم يظهر ليوتبراند كثيراً بعد الخامس عشر من أبريل ٩٧٠م عندما كان في مدينة



كرمونا. وهناك بعض الوثائق التي تشير إلى أنه أرسل في سفارة إلى القسطنطينية في عام ٩٧١م من أجل الزواج الإمبراطوري الذي تم بين الإمبراطور أوتو الثاني والأميرة البيزنطية ثيرفانو الذي ذكره ليوتبراند أنه تم في هذه الرحلة...

لقد كتب ليوتبراند ثلاثة أعمال تاريخية في المناسبات التي سبق أن أشرنا إليها وشارك فيها، والأول يتعلق بتاريخ أوروبا وبدأ من عام ٨٨٧ حتى عام ٩٥٠م، وهو يتعامل بصفة رئيسية مع التاريخ الإيطالي، والعمل الثاني يرتبط بتاريخ عائلة أوتو، والثالث يسجل أحداث السفارة التي قابل فيها الإمبراطور البيزنطي نيقفور الثاني فوكاس Nicephorus II Phocas (٩٦٣ - ٩٦٩م)، وهي السفارة التي جرت في عام ٩٦٨م.

وتعتبر كتابات ليوتبراند على درجة كبيرة من الأهمية لأحداث القرن العاشر الميلادي، لقد جال في أنحاء أوروبا وتعامل مع البهارات عندما كان الصراع بين الإمبراطورية والبهارية على أشده، وتعامل مع الإمبراطورية البيزنطية منافسة الإمبراطورية الغربية مثله في ألمانيا. ومن الملاحظ أنه أحسن إلى أعدائته ومناصريه وكتب عنهم بصورة طيبة بينما كان العكس لأعدائه مثل برلمجر.

- ثانجار:

ولد المؤرخ ثانجار Thangar في حوالي منتصف القرن العاشر، ومات تقريباً في مدينة هيلدشم Hildesheim بعد عام ١٠٢٢م. وترجع بدايات هذا المؤرخ عندما عين رئيساً للمدرسة الكاتدرائية في مدينة هيلدشم، ثم تولى منصب أسقف كنيسة هذه المدينة، وفي الوقت نفسه كان أميناً للمكتبة وكان هذا المنصب هام للغاية.

وكان ثانجار رجلاً متميزاً كباحث ورجل دولة، وتعلم على يديه العديد من الاساقفة في العديد من المدن الألمانية بالإضافة إلى الإمبراطور الألماني هنري

الثاني، وكان لهذا المؤرخ تأثيراً كبيراً على برنوارد أف هيلدشم Brenward وعلى الاستغنية التي تولى أمرها.

لقد ذهب مع برنوارد إلى روما في عام ١٠٠٠م، كما أنه أرسل في عدة سفارات إلى البلاط الإمبراطوري لمناقشة بعض الأمور الهامة، كما كان له قدر كبير لدى الإمبراطور أوتو الثالث، وبعد وفاة برنوارد في عام ١٠٢٢م كتب ثانجار عنه جانباً كبيراً عن حياته ونشاطه، وسجل له سيرة ذاتية جمع مادتها من مصادر متعددة. لقد سجل ثانجار العشر فصول الأولى من حوليته بين عامي ١٠٠٨ - ١٠١٣م، لقد كان شاهد عيان لكثير من الأحداث، كما أنه لعب دوراً فيها. لقد قال في حوليته لقد كان برنوارد يثق به كثيراً كما يثق الطفل في والده. وتعتبر سيرة حياة برنوارد Vita Bernwardi من أهم السير الذاتية التي كتبت في العصور الوسطى، كما أنها تسجل أحداث فترة هامة في تاريخ ألمانيا في العصور الوسطى. لقد كان مؤرخاً صادقاً فيما كتبه، ويضع من الحولية أن مؤرخنا كان مناصراً للأسقف برنوارد.

- هرمان القعيد:

هرمان القعيد أو هرمان أف ريخناو Herman of Reichenau وهو كاتب الحوليات وعالم في الحساب وشاعر، ولد في إقليم سوابيا الألمانية في الثامن عشر فبراير عام ١٠١٣م، ومات في جزيرة ريخناو التي تقع في بحيرة كونستانس Constance في الحادي عشر من سبتمبر عام ١٠٥٤م. وهو ابن الكونت فولفراد الثاني Volverad II، وقد ولد قعيداً ولذا لازمته هذه الصفة، أصبحت تضاف إلى اسمه، وكان لا يتحرك إلا بمساعدة الآخرين، وكان عليه أيضاً أن يبذل جهداً كبيراً في القراءة والكتابة، ولكنه كان حاد الذكاء. وعندما بلغ السابعة من عمره أرسله والدها للتعليم في دير برنو Berne الذي يقع في جزيرة ريخناو وظل في هذا الدير والتزم بقوانينه بداية من عام ١٠٤٣م واستمر حتى وفاته.



لقد مهدى بإرادته القوية كل ما صادفه من عيوب، وقد نبغ في العديد من العلوم منها علم اللاهوت وعلم الحساب والفلك والموسيقى واللغة اللاتينية واليونانية والعربية، وسرعان ما تجمع الطلاب حوله من جميع النواحي، ولم يكن ذلك هو السبب في إشغال الطلاب حوله بل أنه كان أيضاً شخصاً محبوباً ملتزماً بالفضيلة. وأهم أعماله حولته التي تبدأ منذ ميلاد السيد المسيح حتى ولادة المؤرخ، وهي حولية بالية حتى الآن جمع ماداتها التاريخية من مصادر سابقة عليه بالإضافة إلى معلوماته بأحوال عصره، وقد اعتمد بصفة رئيسية على حولية سوليبا التي فقدت، وبالإضافة إلى ذلك لقد كتب في علم الحساب والفلك، وله أشعار في شكل رسائل وجهها إلى الرهبان، كما أنه كان متعدد المواهب وعالج أموراً كثيرة حتى الترانيم الدينية.

#### - لامبرت ألف هرسفيلد:

لامبرت ألف هرسفيلد Lambert of Hersfeld مؤرخ الماني ولد في فرانكونيا Franconia أو ثورنجيا Thuringia في عام ١٠٢٤م، تقريباً وكانت وفاته بعد عام ١٠٧٧م. وانتظم في الديرية البندكتية منذ الخامس عشر من مارس عام ١٠٥٨ في دير هرسفيلد. وقد رسم قسماً في نهاية العام نفسه، ثم ما لبث أن بدأ رحلة الحج إلى الأراضي المقدسة دون إذن مسبق من رئيس الدير، ثم عاد في السابع عشر من سبتمبر عام ١٠٥٩م وطلب العفو عما فعل من مينهر Meginher الذي كان على فراش الموت. ولم يغادر الدير بعد ذلك إلا في عام ١٠٧١م بناء على تعليمات رودهارد Rudhard رئيس الدير، متوجهاً إلى الديرية البندكتية لدراسة عملية إصلاح النظم البندكتية.

يعرف لامبرت كمؤرخ عالمي ومؤلف لكتابه حوليات لامبرت Annales Lamberti، وهو حولية تبدأ منذ بداية الخليفة حتى عام ١٠٧٧م والمعروف عن هذه الحولية أنها لم تطف الكثير على الحوليات السابقة حتى عام ١٠٣٩م.

ومن عام ١٠٤٠ حتى عام ١٠٦٢ هناك كثير من المعلومات التاريخية وبعض الإضافات التي تعتمد على ملاحظاته الشخصية كمؤرخ وشاهد عيان. ومن الفترة ١٠٦٨ حتى عام ١٠٧٧م وصلت الحولية إلى قمة إتقانها مستمداً إلهامه من أسلوب سالوست Sallust.

والحقيقة إن النزاهة والثقة تتوافران في المؤرخ لامبرت، وهو أمر لم يناقش حتى منتصف القرن التاسع عشر. وفي عام ١٨٥٤م تعرض لنقد المؤرخ الألماني رانكه Ranke، وقد سار بعض المؤرخين على هذا النهج، ولكن البعض وجدوا أن لامبرت قد غير في الحقائق التاريخية، وحاول البعض رد إعتباره ولكنهم لم يوفقوا كثيراً. ثم جاء بعدهم دلبروخ Delbruech وهولدر إيجر Holder-Egger ووجدوا أن لامبرت قد قدم حكماً مسبقاً ضد الامبراطور الألماني هنري الرابع Henry IV (١٠٥٦-١١٠٥م) وأبد حقوق الباباوية ضد الإمبراطورية بتأييد من دير هيرسفيلد لأن الإمبراطور أصدر مرسوماً يجمع عشر دخول الأديرة في ثورنجيا، ولذلك بنى لامبرت موقفه التاريخي على عدا شخص مع الإمبراطور. رغم هذا فإنه ما كتبه لامبرت يتسم بالموضوعية.

وقد وضع لامبرت بعض الحوليات الأخرى منها حياة لولي Vita Lulli وهي تخص لولي رئيس أساقفة ميتر الذي أسس دير هرسفيلد في عام ٧٦٨م، وقد كُتب هذا المؤلف بين عامي ١٠٦٣-١٠٧٣م، وهذا الكتاب ليس له قيمة تاريخية كبيرة مثل حوليته السابقة وهناك مؤلفات أخرى ولكنها فقدت.

#### - برتلود ألف ريخناو:

هو برتلود ألف ريخناو Berthold of Reichenau ولا يعرف تاريخ ميلاده ومات في عام ١٠٨٨م تقريباً، وكان راهباً بندكتياً والمؤرخ المشهور لدير ريخناو، لقد كان مريداً وصديقاً للمؤرخ هرمان القعيد، وعندما شعر هرمان بخطر أجله سلم جميع ما لديه من أوراق إلى برتلود وعهد إليه بمراجعة ما كتبه ونسخه. ولقد تأثر الأخير بموت هرمان، وبذل جهداً كبيراً في مراجعة حوليته



واستكمالها حتى عام ١٠٨٠ م. وفي المرحلة الأخيرة عاصر البابا جريجوري السابع Gregory VII (١٠٧٣ - ١٠٨٥ م) وما عاصرها من أحداث الصراع بين الباباوية والامبراطورية. ويرى البعض أن برتلوه هو الذي أكمل الحولية. بينما يرى آخرون أنه أتمها حتى عام ١٠٦٦ م أو ١٠٦٧ م. كما أن هناك آراء أخرى حول هذه القضية. وعلى أية حال ومهما كان من أكملها فالمهم عندنا أنه توجد حوله لها أهمية كبرى في تاريخ ألمانيا في العصور الوسطى.

#### - إكهارد أف أورا:

ولد المؤرخ إكهارد أف أورا Ekkehard of Aura حوالي عام ١٠٥٠ ومات بعد عام ١١٢٥ م. وكان راهباً بندقياً. ولم يعرف عنه الكثير. وما يعرف عنه أنه ذهب للجمع للأراضي المقدسة في عام ١١٠١ م. وفي عام ١١٠٦ م شارك في مزفر جوسلاتا Guaslatra. ثم بدأ ظهوره في دير سانت ميشيل في مدينة بامبرج. وفي عام ١١٠٨ م أو ١١١٢ م أصبح رئيساً للدير أورا في إقليم بافاريا.

وتعتبر حولية إكهارد المصدر الرئيسى للتاريخ الألماني في الفترة من ١٠٨٠ - ١١٢٥ م. وتنقسم هذه الحولية في صورتها النهائية إلى خمسة أجزاء. ويتضمن القسم الأول تاريخ الفترة منذ بداية الخليفة حتى بناء مدينة روما. والثاني حتى ميلاد السيد المسيح، والثالث حتى شارلمان، أما الرابع فيصل إلى بداية حكم الامبراطور الألماني هنري الخامس، والفصل الخامس والأخير فإنه يتضمن حكم الامبراطور نفسه. ويلاحظ أنه لا توجد حولية عامة في تاريخ العصور الوسطى تشمل هذه الفترة التاريخية في تاريخ ألمانيا. ومن المتفق عليه أن هذا العمل ليس عمل فرد واحد، ولكن إكهارد كتب معظم ما ورد في هذه الحولية. وتعتبر الإضافة الهامة في هذه الحولية هو ما سجل عن عهد الامبراطور هنري الخامس. والحولية بصفة عامة مستكملة بمهارة، وتشير إلى حسن التنظيم والترتيب للعادة التاريخية، وتشير الدراسات إلى أن من أكملوا هذه الحولية كونراد أف ليشنار Conrad of Lichtenau، ألبرت أف ستاد Albert of Stade.

وما قدمه لنا المؤرخ إكهارد عن الحملة الصليبية الأولى والحروب الصليبية في بدايتها فيه تقديم وتأخير للحوادث فيعد أن تكلم عن سقوط مدينة بيت المقدس في يد الصليبيين عباد وتكلم عن الأقسام الأوربية التي شاركت في الحملة الأولى وذكر أهل اكويشين وثورماندى والمجسترا وأسكتلندا وإبرلندا، وبريطانيا وجاليسيا وجاكسوني وفرتسا وفلانوروز واللورين. كما أنه تكلم عن الشعب الألماني وذكر أنه أول من تقدم لصفوف الصليبيين بكل حماسة وتكلم عن أهل سكسونيا وثورنجيا وبافاريا والألمانيين وأن هؤلاء لم يبالوا بالخطر بما فيهم جموع من الرجال والنساء والأطفال.

كما تكلم عن بعض القادة الألمان مثل فولكمار Folmar الذي تقدم عبر بوهيميا، وجوتشكوك Gottscholk ووصفه بالمسيحي الضال، وإميكو Emico كونت الأراضي المحيطة بالراين. ويلاحظ أنه يكتب بطابع ديني، كما أنه متعصب لبني وطنه من الألمان. أما فيما ذكره عن شارلمان فهو كثير ويحتاج إلى دراسة متعمقة، فقد تكلم عن سقوط مدينة بافيا، وحروب شارلمان مع السكسون وغزوات شارلمان ضد اللمبارد، ثم تكلم عن العرش الامبراطوري بداية من عام ٧٨٥ - ٨٠٠ م وتحدث عن الامبراطورية البيزنطية وتنصيب الامبراطور شارلمان عام ٨٠٠ في ليلة عيد الميلاد ثم تكلم عن سلالة شارلمان. كما أنه تكلم عن سفارة أرسلها هارون الرشيد إلى الامبراطور شارلمان كما تكلم عن نشاط شارلمان والمجازاته في الجانب الإداري مثل المبعوثين الامبراطوريين للتفتيش على أعمال المقاطعات الكارولنجية، ومدرسة القصر والعالم ألكرين والمؤرخ إيتهارد، ويبدو أنه نقل كثيراً عن الأخير.

#### - أوتو أف فرايزنج:

يعتبر أوتو أف فرايزنج Otto of Freising من أعظم المؤرخين الألمان في العصور الوسطى، وقد ولد أوتوبين عامي ١١١١ - ١١١٥ م، ووالده هو ليوبولد الثالث Leopold III حاكم النمسا، ووالدته هي أجنس Agens ابنة



الامبراطور الألماني هنري الرابع، وأجنس هذه كانت زوجة سابقة لـ فريدريك الأول  
دوق سوابيا Swabia، كما أنه الأخ غير الشقيق للامبراطور كونراد الثالث  
Conrad III (1138-1152 م). وكان لأوتو أخاً شقيقاً يدعى هنري دوق  
النسا وتزوج من الأميرة البيزنطية ثيودورا، وبذلك يتضح مدى صلة المورخ  
أوتو بالأسرة الألمانية الحاكمة لفترة طويلة من الزمن، وكذلك إرتباطه بالبيت  
الحاكم في الامبراطورية البيزنطية وبالتالي مدى صلته بصناع القرار داخل  
أوروبا. بالإضافة إلى مشاركته في الحملة الصليبية الثانية. وواقع الحال أن أوتو  
يعتبر مؤرخاً قديراً لقربه من الأحداث ومشاركته فيها، كما أنه كان فيلسوفاً  
مرموقاً.

وأهم مؤلفات أوتو كتاب «المدينتان» The Two Cities، وكتاب أعمال  
الامبراطور فريدريك بابرورسا The Deeds of Frederick Barbarosa.  
وقد ابتدأ أوتو كتابه هنا منذ بداية الخليفة واستمر حتى عام 1146 م. ويعتبر  
ما سجله أوتو في هذا الكتاب أول كتاب فلسفي له أهمية كبرى في تاريخ  
العصور الوسطى. وفي هذا الكتاب اتبع أوتو منهج المؤرخ أوردسبوس في كتابة  
التاريخ بينما أخذ المنهج الفلسفي من منهج القديس أوغسطين صاحب كتاب  
مدينة الله، وذلك بإبراز التناقض بين مدينة الله ومدينة الشيطان وهو المقصود  
بمقولات الكتاب «المدينتان».

وينقسم كتاب المدينتين إلى ثمانية فصول، وقد بدأ الفصل الأول منذ  
بداية آدم حتى الدولة البابلية، وأما الثاني فقد بدأ من سقوط الدولة البابلية  
وصولاً إلى الإمبراطورية الرومانية حتى عام 476 ق.م. وتتناول الفصل الثالث  
الأحداث التي تلت عهد بولبيوس قيصر Julius Caesar حتى بداية حكم  
الإمبراطور قسطنطين الكبير في عام 306 م. وفي الفصل الرابع تناول المورخ  
الأحداث منذ تولية الامبراطور قسطنطين حتى سقوط روما في 476 م. وفي  
الفصول السابقة كان يقدم أوتو ملخصاً لما كتبه أوردسبوس ثم أضاف من  
بوسبيروس القيصري وروفيينوس ومن المورخ القوطي جوردانوس وإشارت إلى

الانجيل. وقد استغرق بالتفصيل الخامس فقد بدأ بأحداث عصر الامبراطور  
البيزنطي زينون وفريدريك ملك القوط الشرقيين حتى إنقسام دولة الفرنجة في  
عام 843 م. ثم - معاهدة فردان معتمداً على بعض المصادر مثل حورية  
فروتولف Frutolf (853-967 م). وأما الفصل السادس فقد بدأ بعد عام  
843 م واستمر حتى الفتح النورماني لانجلترا في عام 1066 م. وبعض الأحداث  
اللاحقة في أوروبا مثل خضوع الإمبراطور هنري الرابع إلى البابا جريجوري  
السابع بعد أحداث كانوسا Canossa عام 1077 م. واستمر الفصل حتى عام  
1088 م. وعن الفصل السابع بدأ أوتو الكتابة منذ وفاة البابا جريجوري السابع  
في عام 1085 واستمر في كتابة الأحداث حتى عام 1146 م. وقد سجل أوتو  
في هذا الفصل بعض الأحداث المتعلقة بالحروب الصليبية وموقف بيزنطة منها  
وأحداث سقوط الرها عام 1144 م، كما أنه أول من سجل الاسطورة الخاصة  
بالكاهن يوحنا Priest John التي كان لها دوراً كبيراً في فكر العصور  
الوسطى والتعامل مع المفلول. أما الفصل الثامن والأخير فهو يختص بجانب  
لاهوتي يرتكز على يوم القيامة والحساب.

والكتاب الثاني للمورخ أوتو أف فرايزنج وهو كتاب أعمال الامبراطور  
فريدريك بابراروسا، وهذا ينقسم إلى أربعة أجزاء، قام أوتو بكتابة الجزئين  
الأولين من الكتاب، وفي الكتاب الأول سجل أوتو الأحداث المتعلقة بعهد  
هنري الرابع وكونراد الثالث أي من عام 1075 م حتى 1152 م وهذا الفصل  
يمثل ما كتبه أوتو عن فترة الفصل السابع من كتاب «المدينتان» تقريباً،  
ولكن المادة التاريخية التي قدمت في كتاب أعمال الامبراطور فريدريك أوفر  
بكثير من المسجلة في كتاب المدينتين.

أما الجزء الثاني الذي سجله أوتو فيبدأ منذ تولية الامبراطور فريدريك  
بابراروسا حتى منتصف سبتمبر عام 1158 م، وقد دون فيه أوتو حوالي ستة  
وخمسين موضوعاً ورغم أن أوتو شارك في الحملة الصليبية الثانية إلا أنه لم  
يسجلها وذكر أنها كانت حملة فاشلة لا تستحق الذكر.



وقد أكمل أعمال أوتو خلفه راهوين Rahewin، وقد بدأ من حيث توقف أوتو عام ١١٥٨م واستمر في سرده الأحداث حتى عام ١١٦٠ مع بعض الاشارات إلى السنوات من ١١٦١ - ١١٦٩م. والمهم هنا أن هذه الحولية تتعامل مع ثمان سنوات فقط على الأكثر من حكم الامبراطور فريدرىك بارباروسا.

وراقع الحال فإن المادة التاريخية التى قدمها أوتو أف فرايزنج لها قيمة تاريخية عظيمة وذات دلالة هامة خاصة الجزء الذى عاصره وسجل أحداثه، كما أنه اعتمد فى بقية ما كتبه على مصادر موثوق بها، وأنه أهتم بشرح أحداث عصره فى ضوء الاحداث السابقة. ويلاحظ أن أوتو كان مسانداً للامبراطورية وتوسعها فى إيطاليا، ولكنه بحكم كونه أحد رجال الدين فإنه كان مضطراً لمساندة الباباوية فى صراعها ضد الإمبراطورية.

#### هرمان أف القاخ:

هرمان أف القاخ Herman of Altach مؤرخ المانى ولد فى عام ١٢٠٠م أو ١٢٠١م وتوفى فى الحادى والثلاثين من شهر يوليو عام ١٢٧٥م، وقد تلقى تعليمه الأولى فى دير البندكتيين فى مدينة ألتاخ حيث كرس حياته وأصبح حارساً للكنيسة. وقد مكثه عمله هذا من الاطلاع على الوثائق المحفوظة فى الدير. وأثناء رئاسة ديتمار Diltmar للدير (١٢٣٢ - ١٢٤٢م) أرسل فى عدة مهمات هامة تتعلق بالدير، أولها عندما أرسل لمقابلة الامبراطور الالمانى فى فيرونا Verona بإيطاليا ثم مرة أخرى إلى البلاط الامبراطورى فى عام ١٢٢٩، ثم مرة ثالثة فى عام ١٢٤٠م. وفى السابع والعشرين من أكتوبر عام ١٢٤٢ أصبح رئيساً للدير. وخلال عمله رئيساً لهذا الدير الذى دام أكثر من إحدى وثلاثين عاماً فإنه عمل على النهضة بهذا الدير وإقرار النظام لانتعشت الاحوال المالية للدير. وفى عام ١٢٧٢م أعلنت صحته وعانى من الشبخوخة.

لقد ألف هرمان القليل من الكتب التاريخية، وتعتبر حوليات هرمان

Annales Hermanni أفضل أعماله التى سجل فيها الأحداث التاريخية من ١١٣٧ - حتى ١٢٧٣م، والتفحص لهذه الأعمال يلاحظ أنه اعتمد على الحوليات السابقة فى الفترة من بدايتها حتى عام ١١٤٦م. وبعد ذلك حتى نهاية أعماله فإنه اعتمد على نفسه ودون الأحداث بمعرفته. ويعتبر كتاب هرمان من أهم المصادر التاريخية فى عصره خاصة ما يتعلق بأقاليم بافاريا Bavaria، وبرهيميا Bohemia، والنمسا Austria. ومن أهم أعماله الأخرى كتاب يتعلق بتأسيس دير القاخ وكتاب مختصر عن أدواق منطقة بوجين Bogen.

#### - قرارات إمبراطورية:

ومن هذه القرارات القرار أو المنشور الذى أصدره الامبراطور فريدرىك الثانى بإنشاء جامعة نابلى فى عام ١٢٤٤م. ومن المهم قبل الدخول فى تفاصيل هذا القرار أن نعرف الظروف والملاسات التى أدت إلى ظهور هذه الجامعة إن السبب يرجع إلى الصراع بين الباباوية والامبراطورية، لقد أنشأ فريدرىك بارباروسا جامعة بولونيا Bologna فى عام ١١٥٨م. وكانت جامعة يديرها الطلاب ولم تكن جامعة دولة، ومع الظروف وقعت هذه الجامعة تحت نفوذ الباباوية ومجلس مدينة بولونيا، لذلك رأى الامبراطور فريدرىك الثانى إقامة جامعة أخرى تكون جامعة دولة تنافس جامعة بولونيا، لذلك كان عليه أن يقدم امتيازات كثيرة لطلاب الجامعة الجديدة حتى يشجع على الدراسة بها. أما فيما يتعلق بالمنشور الذى أصدره الامبراطور فى ٢٥ يونيو فى مدينة سيراكوزة لإنشاء أول جامعة دولة فى أوروبا، فقد وجه فريدرىك الثانى المنشور إلى رؤساء الاساقفة والاساقفة والقسس والكونشات والبارونات ورجال القضاء والسلطة التنفيذية فى مملكة صقلية وجنوب إيطاليا وجاء فيه «نحن نريد أن يكون العلم للجميع عن طريق التعليم والبحث وسوف يعود ذلك بالنفع العام خاصة أن تنظيم العدالة والقوانين مفيد للجميع، ولذلك قررنا أن تكون مدينة نابلى الجميلة مركزاً لفروع كل العلوم، وبذلك سوف يجد كل من يتشوقون إلى



## ٢ - المصادر الإنجليزية

- القديس جلداس
- بيده
- ننيوس
- وليم أف مالسبورى
- الحوليات الأنجلوسكسونية
- وليم أف نيويره
- روجر أف هوفدن
- جوسلين أف بريكلوند
- روجر أف وندوفر
- متى الباريسى
- متى أف وستمنستر
- توماس والسنجهام

التعليم مكاناً فيها دون مشقة حتى لا يذهب الطلاب إلى البلاد الأجنبية... وسوف نسمح للطلاب أن يعيشوا في مدينة يتوفر فيها كل شئ حيث المبانى الراسعة، وسكن الوصول إليها براً وبحراً، وبها كافة ما هو مطلوب للحياة وسوف نوفر لهم كل ما هو نافع في ظروف طبية، وسوف نوفر للطلاب أعضاء هيئة التدريس ونقدم الجوائز للمستأجرين منهم وسوف يكونوا تحت رعاية آياتهم، وسوف نعلمهم من أعمال كثيرة ونوفر عليهم مشقة السفر والترحال إلى جامعات أخرى، وسوف نتولى رعايتهم ونحسبهم من الاخطار - ومن بين أعضاء التدريس روفر دو أف بنفتر Roffredo of Benevento وهو القاضى الفاضل وأستاذ الحقوق المدنية. كما ورد في المنشور أن على حكام المقاطعات أن يعلنوا ذلك للجميع وسوف يتحمل كل المسترلبة، والا يسمح لأى طالب مغادرة الملكة بحجة الدراسة، وعلى جميع طلاب الملكة المغتربين أن يعودوا إلى الملكة قبل عيد القديس ميشيل (٢٩ سبتمبر ١٢٤٤م).

ومن الامتيازات التى قدمها الامبراطور للخريجين أنهم سوف يعينون للتدريس فى الكليات، ويؤكد لجميع الطلاب حرية القدوم والعودة دون خطر، وسوف تزجر لهم المنازل بأسعار معقولة، وسوف تقدم لهم القروض حسب حاجتهم مع سهولة الحصول على الكتب بشرط ألا يغادر هؤلاء الطلاب المدينة إلا بعد سداد ما عليهم، وسوف يتيسر لجميع الطلاب الحصول على المواد الغذائية بكل سهولة، وتباع لهم بالاسعار التى تباع بها للمواطنين.

ومن الواضح أن مثل هذا المنشور لا يفهم ما جاء به إلا بدراسة الظروف التى أدت إلى صدوره، مع ملاحظة أن جامعة نابلى كانت أول جامعة دولة تظهر فى أوروبا، ولذلك كانت الامتيازات المشار إليها.

وجاء فى نهاية المنشور أن الامبراطور يعد بإحترام ما جاء بالمنشور حتى يتشرف بها الطلاب الذين يهتمون إليها، وتشرف بهم الجامعة.



## - القديس جلداس :-

ولد سانت جلداس St. Gildas في عام ٥١٦ تقريباً، ويعرف باسم سانت جلداس الحكيم، ويسمى أيضاً بادونيكوس Badonicus، ويرجع ذلك أن هذا المؤرخ قد أخبرنا أنه ولد في العام الذي انتصر فيه البريطانيون على السكون في المعركة الشهيرة وهي «تل بادون» التي وقعت أحداثها في عام ٥١٦ م، وكانت وفاته في عام ٥٧٠ في جزيرة هوت Houat في بريطانيا.

ويمكن التعرف أكثر على هذا المؤرخ من بعض الكتابات التي وجدت في دير رويس Rhuy في القرن الحادي عشر الميلادي، ومن كارادوك Caraduc وهو من أهل ويلز عاش في القرن الثاني عشر، ومن هذه الوثائق وجد أنه كان يوجد إثنان يحملان نفس الاسم، ولكن وجدت القاب أخرى إلى جانب اسم جلداس مثل البانيكوس Albanicus، وبادونيكوس أو هيبيرنيكوس Hibernicus، أو المؤرخ، وقد دار جدل حول هذه القضية إلى أن حسمها بعض المؤرخين وذكر أنه لا يوجد غير واحد فقط يحمل اسم القديس جلداس.

ومن هذه الدراسة اتضح أن جلداس ولد في اسكتلندا ويحتل أنه ولد في دمبرتون Dumbarton التي تقع على ضفاف نهر كليد Clyde بالقرب من مدينة جلاسجو من عائلة بريطانية نبيلة، وكان والده يدعى كو Cou أو نو Nou وكان أخوه يدعى هيول Huel أو كيول Cuil. وقد تلقى جلداس تعليمه في ويلز تحت رعاية القديس إلتوت St. Ilut وكان رفيقاً للقديس سيمون والقديس بطرس أف ليون Leon. وقد دخل الرهبانية ثم ذهب إلى أيرلندا حيث أصبح اسقفاً. ويقال أنه عاش لبعض الوقت في مدينة أراماغ Aramagh الواقعة في شمال أيرلندا ثم عبر إلى الجنوب وإلى الشمال البريطاني، وعند عودته إلى أيرلندا بناء على دعوة الملك أينماير Ainmire (٥٦٦ - ٥٦٩ م) لجمع في إدخال العديد إلى الديانة المسيحية، ومنى العديد من الأديرة والكنائس، ويرى أيضاً أنه شد الرحال إلى روما ليحج إليها، وبعد عودته فضل الحياة



المنزلة وأنسحب إلى جزيرة هوت حيث عاش متعبداً ومتقشفاً دارساً. وقد عرف البعض مكانه. وقد طلب منه البريطانيون أن يشهد لهم ديراً في «روى» حيث الكثير من الناس. وهنا كتب رسائل دينية شهيرة إلى الملك البريطانيين. وقد ظل في هذا المكان حتى وفاته ثم نقل رفاقه في القرن العاشر إلى مدينة فانس Vannes التي تقع في مقاطعة بريتاني في فرنسا، ثم إلى كاتدرائية المدينة في القرن الثامن عشر الميلادي ويحتفل بعيد ميلاده في التاسع والعشرين من يناير وعيد آخر في الحادي عشر من مايو وهو عيد نقل رفاقه. وأهم ما كتبه جلداس هو كتاب خراب بريطانيا The Ruin of Britan أي خراب بريطانيا، وقد قسم المؤرخون هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

#### ١- مقدمة.

٢- مختصر عن تاريخ بريطانيا منذ الغزو الروماني حتى عصر المؤلف.

٣- رسائل إيجيلية صارمة موجهة إلى خمس ملوك حكموا إنجلترا بداية من قسطنطين حتى ميلجوين Macilgwn (ت ٥٤٧م) وفي هذه الرسائل رسائل دعوية لرجال الدين الكسالي والمرشدين.

وفي واقع الأمر فإن ما كتبه جلداس يدل على أن هذا المؤرخ كان رجلاً مثقفاً طاهراً وأنه كان على معرفة واسعة بالجغرافيا عن الجزر البريطانية، وحكم الرومان للجزيرة ودخولها في الديانة المسيحية، وأن أول شهداء المسيحيين في هذه الجزيرة هو القديس البانز St. Albans، وجانباً من الحروب الإنجليزية الإسكتلندية وعناصر البكت، وقد ذكر المؤرخ أن إنجلترا كان لها ملوكاً ولكنهم طغاة. وكان لها قضاة لكنهم كانوا غير عادلين، كما أنه أشار إلى بعض أساقفة الشرق مثل أساقفة أنطاكية. والحقيقة أن السمة العامة للحولية هي سمة دينية الطابع أكثر منها سمة تاريخية.

- بيدد -

ويعرف بيدد Bede أيضاً باسم بيدد الموقر، وليلسوف الكنيسة في عصره وبعد عصره. ولقد ولد هذا المؤرخ الإنجليزي في عام ٦٧٢ أو ٦٧٣م وكانت وفاته في عام ٧٣٥م ويعتبر أفضل ما كتبه بيدد هو تاريخ الكنيسة والشعب الإنجليزي A History of the English Church and People. أما عن حياة المؤرخ بيدد فقد سجل بنفسه جانباً كبيراً مما نعرفه. فقد ذكر أنه عندما بلغ السابعة من عمره دخل تحت رعاية أحد الأديرة البندكية ولكنه انتقل إلى دير القديس بولس عندما أسس في مدينة جarrow Jarow في عام ٦٨٢م وأصبح تحت رعاية الراهب جولفريد Geolfrid، وأنه ظل راهباً في هذا الدير حتى نهاية حياته. ويذكر أيضاً أنه بدأ كتابة مؤلفه الكبير هذا في عام ٧٣١ عندما تقدم به العمر.

ويقول بيدد أنه قضى عمره كله في التعلم أو التعليم أو الكتابة، وعندما بلغ الثامنة عشر من عمره أصبح شماساً، وفي الثلاثين أصبح قسيساً، ويقول أنه أمضى حوالي خمسين عاماً منذ أن أصبح قسيساً حتى وقت كتابة مؤلفه. وأنه كان يضع بعض الملاحظات على الكتاب المقدس وقد تم ذلك بمفرده أو مع زملائه.

أما لقب الموقر فإنه قد أضيف إلى اسمه بعد جيلين من وفاته، وأن هذا اللقب قد استخدمه بعض مشاهير العصور الوسطى حتى مجمع آخن Aachen الذي عقد في عام ٨٣٥م الذي أضفى عليه هذا اللقب وهو الموقر بصفة رسمية. لقد كان للمؤرخ بيدد تأثيراً كبيراً على الشعب الإنجليزي والدارسين من خارج إنجلترا، وقد ظل هذا الحال حتى غزوات الدانميين على إنجلترا، والدمار الذي لحق بها خاصة الأديرة الشمالية وذلك بعد قرن من وفاة بيدد، والحقيقة أن بيدد كان يعتبر أعظم المثقفين في عصره.

ويقع كتاب تاريخ الكنيسة والشعب الإنجليزي في خمسة كتب صغيرة أو



خمس فصول كبيرة ويختص الأول بعدد من الموضوعات التي وردت بها الحديث عن الغزو الروماني لبريطانيا في عهد الإمبراطور يوليوس قيصر Julius Caesar (١٠٠ - ٤٤ ق.م) ثم خلفائه من بعده مثل دقلديانوس وأركادبوس، ثم تكلم عن غزو العناصر الإنجليزية لبريطانيا، ثم قدم جانباً كبيراً عن البابا جريجوري الأول وجهوده في نشر الديانة المسيحية في بريطانيا وأنهى هذا بالحديث عن ملك نورثمبريا إثلغريد Ethelfrid توفي في (٦٢٥م).

وأما الفصل الثاني فيقع في عشرين موضوعاً بدأ بالحديث عن البابا جريجوري الأول، ثم تكلم عن ملوك إنجلترا وجهود الباباوات ورجال الدين الإنجليزي في نشر الدين المسيحي في إنجلترا، وأنهى هذا الجانب بموت الملك إدوين Edwin في عام ٦٤٢م.

ونبأ يختص بالفصل الثالث فهو يحتوي على ثلاثين موضوعاً، بدأ بحكم الملك ازوالد Oswald (٦١٦ - ٦٤٢م)، وكيف اعتنقت عناصر البكت الديانة المسيحية، وإرسال ويجهارد Wighard إلى روما ليكرس رئيساً لاساقفة إنجلترا، وعن الطاعون الذي اجتاح منطقة السكون الشرقية.

وأما الفصل الرابع ففيه اثنان وثلاثون موضوعاً منه أن ثيودور أصبح رئيساً لاساقفة إنجلترا وبعض الجوانب الدينية الأخرى فيها بعض الخوارق، وكيف تحول أهل السكون الجنوبيين إلى الديانة المسيحية، وكيف لعب رئيس الاساقفة دوراً في إرساء السلام بين ملوك إنجلترا المتصارعين، وبعض المعلومات عن ملوك إنجلترا.

وسجل في الفصل الخامس أربعة وعشرين موضوعاً فيها الحديث عن رجال الدين الإنجليز والنشور بالديانة المسيحية في إنجلترا وخارجها، كما تناول بعض الأحداث الخاصة بالملوك مثل الملك أرفا Offa ملك منطقة السكون

الشرقية، وتناول أيضاً جانباً عن الأدب، وأنهى هذا الفصل أو بمعنى آخر كتابه بالوضع الراهن في أيامه عن الأمة الإنجليزية وبقية بريطانيا. والحقيقة أن المؤرخ بيده كان يذكر أسماء بعض من ينقل عنهم مادته التاريخية مثل أركولف Arculus عندما تحدث عن بلاد الشام وبيت المقدس كما تكلم بيده في كتابه عن الهرطقة مثل الأريوسية واليوتيكسية، وبعض حكام أوروبا مثل ألابريك وأنيلا، كما أنه ضمن كتابه ذكر الخوارق التي سمع عنها.

- نينوس -

كان نينوس Nennius أحد رجال الدين ومات في عام ٨٢٥م وينسب إلى ويلز في إقليم الحدود الجنوبية الشرقية، وقد عمل في مقاطعة جويند Gwyned، وعلى ما يبدو أنه عمل في بلاط الملك مرفين فريش Merfyn Frych، وتشير المصادر أنه أجاد عدة لغات، ولعل هذا ما دفع الملك إلى الاستعانة به، فقد كان يجيد اللغة اللاتينية، كما كان يتقن اللغة الإنجليزية القديمة وربما الأيرلندية القديمة أيضاً، ويمكن أن نتصور أنه كان مبعوثاً ملكياً في عدة مهام خارج البلاد.

وربما يكون نينوس أول مؤرخ ويلزي يحاول أن يكتب تاريخياً عن العناصر الويلزية، وذلك بالبحث عن المصادر التي يمكن أن يطلع عليها. ولقد وجد في ذلك صعوبة بالغة، ولعل ذلك ما دفعه إلى الوقوع في بعض الأخطاء مثل أسماء بعض المدن ووضع بعضها مكان الآخر، وكذلك فيما يتعلق بأسماء العائلات التي تعرض لها.

ويعرف كتاب نينوس باسم تاريخ بريطانيا Historia Brittonum، وترجع أهمية هذا المؤلف إلى أنه أعظم المؤلفات أهمية عن تاريخ نورثجبرن Fortigen، وهذا ليس اسماً ولكنه لقب يعنى الملك الأعلى High King الذي حكم من ٤٤٠ - ٤٤٥م تقريباً، ورغم ما يقال عن هذه الحولية فإن ما قدمه المؤرخ عن التاريخ البريطاني القديم بما فيه من أساطير وفولكلور فإنه أقدم ما



وصل إلينا من حوليات، كما أن ما كتبه المزور يعتبر مترابطاً منطقياً وشاهداً على تقدم الأدب الريليزي والكتابات التاريخية، وهذا يعتبر قبضة أدبية وتاريخية.

والمصادر التي رجع إليها المزور نيبوس عن المراحل السابقة لعصره، متعددة، وقد أوردت معظمها من قبل في هذا الكتاب، ومن هذه المصادر يوسبيوس، كتابات القديس جيروم، وإلدور الانجيلي، والمزور الانجليزي بيده. ولذلك يعتبر ما كتبه المزور نيبوس عمل تجميعي من المصادر السابقة مع بعض الإضافات، وعلى ذلك لابد من مراجعة المصادر التي أخذ منها المزور لمعالجة الاختلاف أن وجد.

وفيما يتعلق بالمعلومات الواردة في حولية نيبوس في القرن السابع الميلادي لا يمكن الأخذ بها دون حذر، فهناك بعض الخلل الذي يجب معالجته تاريخياً. أما فيما يتعلق بالمعلومات الواردة في الحولية عن القرن الثامن والتاسع فإن ما ورد في الحولية عن هذه المرحلة يعتبر ذات أهمية كبيرة وهي مماثلة للمصادر الأخرى في تلك المرحلة.

وقد بدأت الحولية من بداية العالم منذ سيدنا آدم حتى فيضان سيدنا نوح وذكر أنها تسعمائة عام وأثنان وأربعون، ومن سيدنا إبراهيم إلى سيدنا موسى تسعمائة عام ومن سيدنا موسى حتى سيدنا سليمان وبداية بناء هيكل سليمان أربعمائة وثمانية وأربعون، ومن سيدنا سليمان حتى إعادة بناء الهيكل الذي كان في حكم الملك الفارسي داريوس الأول Darius I (521 - 485 م) تسعمائة وأحدى عشر عاماً.

ثم عاد وقسم التاريخ منذ سيدنا آدم حتى ميلاد السيد المسيح إلى ست مراحل: الأولى من سيدنا آدم إلى سيدنا نوح، والثانية تبدأ من سيدنا نوح حتى سيدنا إبراهيم، والثالثة من سيدنا إبراهيم حتى سيدنا داود، والرابعة من سيدنا داود حتى سيدنا دانيال، والخامسة تمتد حتى سيدنا يحيى أو يوحنا المعمدان، والأخيرة عن عصر السيد المسيح.

وقد بدأ بالحديث عن أباطرة الرومان منذ عهد يوليوس قيصر حتى حدثنا عن الجزر البريطانية وذكر أنها واسعة وأن المنازل تبنى من الحجر والحجارة وأن الشعب البريطاني يتكون من أجناس مختلفة، وهم الاسكتلنديون، والبكت، والسكون، والعناصر البريطانية القديمة ثم تكلم عن هجرات عناصر البكت إلى الجزر البريطانية، ثم هجرات العناصر الاسكتلندية من أمانيا، ثم الغزوات السكونية من أوروبا إلى الجزر البريطانية وحائب من الحروب بين هذه العناصر وأهل البلاد في وقت زيارة القديس جرمانوس Germanus (378 - 448 م) في عامي 429 - 430 م، ثم تكلم عن الملك آرثر، والقديس باتريك Patrick (385 - 461 م) الذي أسره السكون ثم دخول إيرلندا في الديانة المسيحية حوالي عام 532 م.

وما يهمنا في تلك، المعلومات القيمة التي قدمها عن أصل الأمة البريطانية، وأنها كانت تتكون من عناصر متعددة معظمها مهاجرة من بلاد أوروبا، وأننى إذا أضفت إلى ذلك هجرات العناصر الجرمانية إلى أوروبا وما تلا ذلك من هجرات في العالم كله حتى الهجرات إلى القارتين الأمريكيتين في العصور الحديثة، فبأننى أزعم حقاً أنه لا يوجد شعب في أوروبا وربما في آسيا وأفريقيا يدعى أنه صاحب أرض منذ بداية الخليقة إلا بعد دراسات عميقة ومتأنية.

- ولیم آف مالمسبورى:

ولد ولیم آف مالمسبورى في عام 1090 ومات في عام 1143 م وقد تعلم في مدينة مالمسبورى التي تبعد حوالي ثمانين ميلاً غرب لندن ثم أصبح راهباً في ذات المدينة. وكان ولیم منذ شبابه ميالاً لكتابة التاريخ وقد أكمل ولیم عملين تاريخيين في عام 1125 م، الأول هو Cesta Regum تاريخ الملوك ويقصد به تاريخ ملوك إنجلترا، والثاني هو Cesta Pontificum تاريخ رجال الدين، والمقصود به تاريخ الكهنة. وبعد هذه المرحلة قضى ولیم عشرة سنوات



في جمع مادة تاريخية، وهي الآن مخطوطة في مكتبة البودليان Bodleian وهي المكتبة الرئيسية في جامعة أكسفورد. ثم كتب تاريخ مدينة جلاستونبري Clastonbury وقسمها، وهي المدينة التي تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة مالمسبري بمائة وخمسة وثلاثون ميلاً.

لقد ذكر ولیم أنه أصبح رئيساً لدبر مالمسبري أكثر من مرة، ولكنه كان يفضل العمل في مكتبة الدبر وفي عام ١١٤٠م قام بمراجعة كتاب أعمال ملوك إنجلترا، وكتاب تاريخ الكنيسة، ثم بدأ في كتابة عمل جديد هو التاريخ الجديد Hlistoria Novello وهو قبل للكتاب السابق، وهو يتناول الفترة من ١١٢٥ - ١١٤٢م، ولكن هذا المؤلف لم يكن مرتباً، وكأنه مسودة للعمل.

وقد مدح المختصون أعمال ولیم أف مالمسبري وذكر أنه قدم عملاً رائعاً عن الأحداث المتعلقة بعهد الملك ستيفن، وأنه المؤرخ الأنجلويزي الذي يلى المؤرخ بيده في قدراته، وأن الفترة التي تلت وفاة بيده وهي مائتان وثلاث وعشرون عاماً، قد سجلها المؤرخ ولیم بكل عناية أكثر من الحوليات الانجلوسكسونية. كما أن ما كتبه من الملوك النورمان الأوائل أستندت إلى معلوماته الشخصية أو استقاها من شهود العيان، وهي مادة تاريخية هامة جداً في تاريخ إنجلترا. ويلاحظ أنه اعتمد على المؤرخ بيده مثله في ذلك مثل كل المؤرخين الإنجلويز الذي أتوا بعده.

وكتاب تاريخ ملوك إنجلترا أو الحولية تقع في خمسة كتب وكل كتاب ينقسم إلى عدة فصول، وهناك إضافة إلى الحولية عرفت باسم The Modern History وهو الجزء الأخير من الكتاب، وهو ينقسم إلى ثلاثة أجزاء. وفيما يتعلق بالكتاب الأول فهو ينقسم إلى ستة فصول، ويبدأ الفصل الأول بعام ٤٤٩م حيث يتكلم المؤرخ عن وصول الأنجلويز والسكسون إلى بريطانيا وينتهي الفصل السادس بالحديث عن ملوك إسكس من الفترة من ٥٢٠ - ٨٢٣م أما الكتاب الثاني يتضمن ثلاثة عشر فصلاً، يتضمن الفصل الأول الأحداث من

عام ٨٠٠ - ٨٢٩م وهي فترة حكم الملك إيجبرت Egbert ملك مرسب Mercia. وانتهى الكتاب بالفصل الثالث عشر الذي يتحدث عن حكم الملك إدوارد (١٠٤٢ - ١٠٦٦م)، والكتاب الثالث يبدأ بالفتح النورماندي ويهتد ولیم الفاتح واستمر هذا الفصل حتى عام ١٠٦٦م. وفيما يخص بالكتاب الرابع فهو يتكون من جزئين أو فصلين مطولين، يبدأ الأول بعهد الملك ولیم الثاني ١٠٨٧ - ١١٠٠م، وأما الجزء الثاني فقد ذكر فيه المؤلف جانباً كبيراً من أحداث الحملة الصليبية الأولى منذ عام ١٠٩٥ وحتى عام ١١٠٥م، وذكر تفاصيل طيبة عن الموضوع بداية من البابا أوربان الثاني وخط سير الحملة وحصار مدينة نيقية وأنطاكية والقدس والملوك الصليبيين وأمراء الإمارات الصليبية. وفيما يتعلق بالكتاب الخامس فقد تناول فيه المؤرخ عهد ولیم الأول منذ توليته في عام ١١٠٠م حتى عام ١١١٩م وليس في هذا الكتاب فصول، بل ذكر الأحداث مرة واحدة خاصة علاقات إنجلترا مع أوربا والباباوية.

والجزء الأخير من الحولية الذي سماه المؤرخ التاريخ الحديث ويقصد به عصر المؤلف فبدأ من عام ١١٢٦م - حتى ١١٤٢م وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول أو الكتاب الأول فبدأ من أحداث عام ١١٢٦م حتى الجزء الأول من عام ١١٣٩م، ويبدأ الثاني في عام ١١٣٩م حتى ١١٤٠م، أما الأخير فبدأ من ١١٤١م - حتى نهاية الكتاب في عام ١١٤٢م. وبالكتاب مادة تاريخية هامة جداً خاصة بأحوال إنجلترا وعلاقاتها بأوربا والباباوية والحروب الصليبية وهذا أمر غير متوفر في الكتب السابقة واللاحقة مثل الحوليات الأنجلوسكسونية.

#### - الحوليات الانجلوسكسونية:

يتناخر الأنجلويز بمصادرهم التاريخية في الماضي والحاضر، وهذا لم يتوفر لأى أمة أوربية أخرى، ومن ذلك الحوليات الانجلوسكسونية وسجلات الإحصاءات التي وضعها الملك الأنجلويزي ولیم الفاتح William I (١٠٦٦ -



٨٧٠ م). ولا تزيد سجلات الإحصاء عن تقديم خدمات إحصائية، ولكنها تحتوي على معلومات موثوق بها خاصة بكل الممتلكات وكل شئ داخل المملكة الإنجليزية في هذه الفترة الهامة، ولعل أهمية هذه السجلات ترجع إلى فكرة الإحصاء. ووجود إحصائيات في العصور الوسطى يكاد يكون أمراً نادراً الحدوث في أي دولة في العصور الوسطى، ومن حكمة البرلمان الإنجليزي أنه قام بطبع هذه السجلات الإحصائية ضمن السجلات العامة لأهميتها البالغة.

والعمل الآخر هو الحوليات الإنجليزية التي أمر الملك ألفريد Alfred (٨٧١ - ٩١٠ م) أن يهيئ لم تحظى بالأهمية التي حظيت بها السجلات الإحصائية فلم يتم طبعها كاملة بعد جمع كل المخطوطات الخاصة بها.

ولحسن الحظ فقد تم جمع جميع المخطوطات المتعلقة بهذه الحوليات وتم طبعها لأول مرة في لندن عام ١٦٤٤ م، ثم في عام ١٦٩٢ م في أكسفورد ثم تكرر طبعها أربع مرات بالصيغة السابقة، وقد تم العثور على جزء من هذه الحوليات لا يتعدى ما سجل فيها عن ثلاثمائة وأربع وسبعون صفحة. وبدأ السزال ماذا تحتوي هذه الحوليات ومن الذي سجلها.

أن هذه الحوليات تحتوي على كتابات شهود عيان موثوق بهم من المؤرخين الذين عاشوا الأحداث التي وقعت في البر أو البحر منذ وصولهم إلى الأراضي الإنجليزية حتى عام ١١٥٤ م وهي كتابات تتعلق بالتراخي المعمارية، والزراعية، أو العملة أو انتصارات عسكرية سواء على الأرض أو البحر أو القوانين، أو قوانين تتعلق بالحريات أو الأحوال الدينية أو الأشعار لم تطبع من قبل. وتعتبر هذه الحوليات من الظواهر التي لم تنكرر، وكان الأمر يتطلب فحص المادة التاريخية الواردة في هذه الحوليات حتى أعتلاء هنري الثاني عرش إنجلترا في عام ١١٥٤ م.

ومن المؤرخين المعروفين الذين عاشوا في الحقبة المسجلة في الحوليات الإنجليزية كسكونية من ١ - ١١٥٤ م، لجند المؤرخ جيلداس Gildas الذي غطى

جانباً من القرن السادس الميلادي وسبق الحديث عنه، ومن سجلوا ما أثر الملك آرثر وفرسان المائدة المستديرة، والمؤرخ بال Bale ومن أتوا بعده مثل يوسف أف أريماتى Joseph of Arimathea وأرفيراجوس Arviragus، وبيوندوكا Bonduca حتى الإمبراطور قسطنطين العظيم.

وإذا بدأنا بالمؤرخ جيلداس نجد أنه لم يقدم لنا تاريخاً مصنفاً منتظماً لتاريخ الجزيرة البريطانية، فقد ترك لنا معلومات عن حياة وسلوك الإنجليز بها خلط كثير. سواء أكانوا من البريتون أو الكسون أو البكت أو الاسكتلنديين، ولكنه ترك لنا بعض المعلومات أخذ منها المؤرخ بيده Bede، وسجلت أيضاً في الحوليات الإنجليزية كسكونية.

والمؤرخ الثاني هو نينوس Nennius الذي غطى جانباً من القرن السابع، ولكن ما سجله به كثير من الخطأ، ولعل ما سجل هذه الأحداث هو كاتب بسيط يدعى صمويل Samuel أو بيولاتوس Beulanus أو كلاهما معاً، والأخير قد عاش في القرن التاسع.

ونأتي بعد ذلك إلى بيده الذي استحق عن جدارة لقب المؤرخ، ولكن بيده ترقف في عام ٧٢٤، ولا يوجد بعد المؤرخ بيده حتى نهاية الحولية سري المؤرخ وليم أف مالسيوري William of Malmsbury الذي دخلت بعض كتاباته في نصوص الحوليات الإنجليزية كسكونية. ثم يليه الاسقف آسر Asser كاتب سيرة الملك ألفريد، وهناك بعض المؤرخين الذين ليس لهم أهمية كبيرة في هذا الموضع.

وكما سبق أن ورد أن الحوليات الإنجليزية كسكونية تبدأ من عام ١ - ١١٥٤ م وأنها كتبت بمعرفة مجموعة من المؤرخين، والذي يطلع على هذه الحوليات يجد أن الحولية كتبت دون فصول أو كتيبات وإنما مكتوبة بطريقة متصلة مرتبة حسب السنوات بمقدمة في بضعة أسطر ثم تبدأ في العام الأولي الميلادي بميلاد السيد المسيح في عهد الإمبراطور أوكتافيان Octavianus الذي



حكم مدة ستة وخمسين سنة وأن ميلاد السيد المسيح كان في العالم الثاني والأربعين من حكمه. ويلاحظ أيضاً أن الحولية تذكر السنة وما تم فيها من أحداث وأنه في بداية الحولية كانت المعلومات مختصرة للغاية لا تتعدى سطر أو بضعة أسطر، وأن ما ورد يكاد يكون ممازجاً لأحداث مع التركيب على أسماء البهارات أو الأساقفة أو الحكام باستثناء بعض الأحداث الأخرى.

وبدأت الحولية في ذكر بعض التفاصيل بذكر الملك الفريد في عام ٨٥٣. عندما أرسله والده اثيلولف Ethelwulf (٨٣٩ - ٨٧١م) ملك وسكس إلى الباب ليو الرابع Leo IV (٨٤٧ - ٨٥٥م) في روما، وأُسبر الحال حتى وفاة الملك الفريد في عام ٩٠١م كما ذكرت الحولية. ثم استمرت الحولية في ذكر الأحداث باختصار عدا بعض الصفحات. وبدأت الحولية مرة أخرى في ذكر بعض التفاصيل منذ عام ٩٩٤م عندما بدأ الغزو النورماندي في عام ١٠٦٦ بقيادة وليم الفاتح وفاته، وحكم سلطته من بعده وهم وليم الثاني (١٠٨٧ - ١١٠٠م). وهنري الأول Henry I (١١٠٠ - ١١٣٥م) ثم ما كان من عصر القوضى وتولى ستيفن Stephen ثم استمرت حتى مات ستيفن في عام ١١٥٤ وتولى هنري الثاني (١١٥٤ - ١١٨٩م) عرش إنجلترا.

- وليم أف نيوبره:

ولد وليم أف نيوبره William of Neaburgh في عام ١١٣٥م أو ١١٣٦م وكانت وفاته في نهاية عام ١١٩٧م أو بعد ذلك، وقد عرف وليم نفسه بأنه وليم كاهن نيوبره، وعاش على الرهبانية الأوجسطينية. ويبدو أنه دخل هذا الدبر بعد تأسيسه بوقت قصير، ومن الواضح أنه قد ظل في هذا الدبر بقية حياته.

وتبدأ حولية وليم بعام ١٠٦٦م وهو بداية الغزو النورماندي لإنجلترا على يد وليم الفاتح، وانتهت في عام ١١٩٧م، وتنقسم الحولية إلى خمسة كتب رئيسية، تناولت أعمال الملك الانجليزى ستيفن (١١٣٥ - ١١٥٤م) وأعمال

الملك هنري الثاني Henry II (١١٥٤ - ١١٨٩م) أما الكتاب الأخير فأتى للملك ريتشارد قلب الأسد Richard I (١١٨٩ - ١١٩٩م)، ولكن الجزء لم يكتمل لأن الحولية انتهت في سبتمبر عام ١١٩٧م.

والكتاب الأول من الحولية ينقسم إلى إثنتين وثلاثين فصلاً تتضمن بعض المعلومات عن الملوك النورمانديين أو النورمان الأوائل مثل وليم الفاتح وروميس Rufus (١٠٨٧ - ١١٠١م) ونهاية من حملة لتأريض القديسة مع الحملة الصليبية الأولى، والملك هنري الأول Henry I وهو أخت الثالث من سلالة الملوك النورمان، وأسباب الحملة الصليبية الثانية، بقيادة الملك لويس السابع مع Ethelwulf ملك فرنسا (١١٣٧ - ١١٨٠م) والملك الألماني كونراد الثالث Conrad III (١١٣٩ - ١١٥٢م)، واستيلاء الصليبيين على مدينة عسقلان، واتحاد التي عقدت بين الأمير الانجليزى هنري أو الملك هنري الثاني (١١٥٤ - ١١٨٩م) فيما بعد، وانظر ستيفن (١١٣٥ - ١١٥٤)، وطلاق الملك لويس التاسع من زوجته البياتور Eleanor وغير ذلك من الموضوعات المتعلقة بإنجلترا والكنيسة ورجال الدين.

أما الكتاب الثاني فقد تناول ثمانية وثلاثين فصلاً، منها بداية إعتلاء هنري الثاني عرش إنجلترا واستعادة الأراضي الملكية، وحصار الامبراطور فريدريك بارياروسا لمدة ستة ميلان، والصراع الذي قام بين الملك هنري الثاني وتوماس بكت Thomas Becket رئيس أساقفة كانتربري، كما تناول حملات الملك الصليبي عموري Amalric على مصر، ومصرع توماس بكت في عام ١١٧٠م، وموضوعات أخرى تتعلق بالكنيسة ورجال الدين والصراع مع اسكتلندا، وجانباً من العلاقات مع فرنسا.

وربما يتعلق بالكتاب الثالث فقد تضمن ثمانية وعشرين فصلاً، بدأت بالحديث عن مؤتمر لندن الذي عقد في عام ١١٧٥م، وموت لويس السابع ملك فرنسا، وبعض الأحداث التي وقعت في القسطنطينية، وظهور صلاح الدين



الأيوبي وبعض جوائب الصراخ الإسلامي الصليبي في بلاد الشام ومصر  
حطين، وكيف دافع المركز كوتراة عن مدينة صور، واستعداد القوات الإنجليزية  
للمرحلة الثالثة، وكذلك القوات الألمانية، والقتال عند مدينة عكا وأخيراً موت  
وليم الثاني ملك صقلية ١١٨٤م.

أما الكتاب الرابع فيبدأ بتتبع الملك ريتشارد قلب الأسد، وبعض  
الأخبار عن اليهود، والقوات الألمانية المشتركة في الحملة الصليبية ووصول  
الملك ريتشارد إلى صقلية فائداً للقوات الإنجليزية المشتركة في الحملة الثالثة.  
والأحداث المتعلقة باستيلاء الملك ريتشارد على قبرص، واجتياح مدينة عكا،  
ورحيل الملك فيليب أوغسطس من بلاد الشام، والهدنة التي تمت بين صلاح  
الدين وريتشارد المعروفة بصلح الرملة، وأسر الملك الإنجليزي ريتشارد أثناء  
عودته من بلاد الشام، ثم فك أسره وعودته إلى إنجلترا. وهذا الكتاب أكبر  
بعض الشئ من الكتب السابقة به اثان وأربعون فصلاً.

وليس يتعلق بالكتاب الخامس فهو يتضمن أربعة وثلاثين فصلاً، ويبدأ  
بالحديث عن بعض أعمال الملك ريتشارد بعد تنويعه وقبل أن يغادر البلاد إلى  
الأراضي المقدسة، وبعض الأحداث المتعلقة بملكة صقلية وعن هيوبرت  
Hubert رئيس أساقفة كانتربوري، وحديثاً عن الإسلام وسيدنا محمد صلى  
الله عليه وسلم، والقوات الإسلامية التي فتحت الأندلس، وعن خطاب ورد  
من شيخ المجهل زعيم الطائفة الاسماعيلية في بلاد الشام ومصر الماركيز  
كونراد، والحملة الصليبية الألمانية التي أرسلها الإمبراطور هنري السادس في  
عام ١١٩٧م، والهدنة التي وقعت بين إنجلترا وفرنسا، وبعض الأحداث الأخرى  
المتعلقة بالشئون الداخلية في إنجلترا وخارجها.

وواقع الحال أن ما ورد في الحولية من ناحية المادة التاريخية يتناسب مع  
الحوليات الإنجليزية السابقة، ولكن الحولية تعتبر مختصرة إذا ما قورنت  
بالحوليات التي تلتها أو عاصرت أو ما مثل الكتب التي تكلمت عن الحملة

الصليبية الثالثة، وما ورد في مصادر خاصة بالحملة الثالثة، وكما يؤخذ على  
الحولية عن ورود الأحداث طبقاً للأحداث التاريخية، فهناك تقديم وتأخير  
للأحداث، كما أن المؤرخ لم يقدم لنا التواريخ التي وقعت فيها الأحداث إلا  
قليلاً.

### - روجر أف هوفدن:

روجر أف هوفدن Roger of Hoveden أو Howden، وقد تحدث عن  
نفسه بأنه أحد مواطني مدينة يورك York، والواقع أنه من قرية «هوفدن»  
الواقعة إلى الشرق من يوركشير Yorkshire التابعة لاسقفية «درهام»  
Darham، وهي المنطقة التي عاش فيها المؤرخ.

ويرى البعض أنه عمل استاذاً لعلم اللاهوت بجامعة أكسفورد Oxford،  
وأنه عمل كاتباً للملك هنري الثاني، وأن الملك أرسله مبعوثاً في بعض المهام،  
وأنه عمل قاضياً متجولاً في شمال إنجلترا، ويتضح أنه كان موضع ثقة الملك  
وأنه تعامل مع الخطابات والمراسيم الملكية، وكذلك القرارات البابوية التي تظهر  
بوضوح داخل حوليته المعروفة باسم Annals of Roger of Hoveden. وقد  
تلقى روجر تعليمات راقياً، فأصبح غزير المعرفة، ويتجلى ذلك من المعلومات  
التي وردت في الحولية، كما أنه قرأ الأشعار اللاتينية القديمة مثله في ذلك  
مثل معظم رجال الدين البارزين، كما أنه ظل حاضر البديهة وعقل متقد لم  
يتأثر بسنة التقدم، كما أنه تعامل مع الأساطير وبعض الخرافات التي سادت  
عصره. وكثيراً ما أشار إلى المسلمين أو العرب واليهود واليهودية والوثنيين.

ولم تكن حولية روجر حولية لتاريخ إنجلترا، ولكنها تاريخاً عالمياً، فقد  
كتب عن سكتلندا وفرنسا وألمانيا والنرويج، والدانمرك وأسبانيا والبرتغال  
وابطاليا والإمبراطورية البيزنطية، وآسيا الصغرى أي سلاجقة الروم وبلاد  
الشام، وفي بعض الأحيان كان يقدم بعض المعلومات الجغرافية التي تشمل غرب  
وجنوب أوروبا.



## - جوسلين أف بريكلوند:

هو جوسلين أف بريكلوند Jocelin of Brakelond وكتابه هو حورية  
دير القديس إدموند Chronicle of The Abbey of st. Edmund's  
(١١٧٣ - ١٢٠٢ م). وكان أحد رهبان هذا الدير، والمعروف أنه دخل الدير في  
عام ١١٧٣ م. وبذلك يعتقد أن يكون تاريخ ميلاده بعد عام ١١٥٦ م. كما  
أن تاريخ وفاته غير معروف أيضاً، ولكنه يمكن القول أنه كان بعد عام  
١٢١٢ م. ويرجع أنه من مواطني بيوري سانت إدموند Bury st. Edmund.  
وأن لقبه وهو بريكلوند يشير إلى اسم أحد شوارع هذه المدينة، وهو ما كان  
شائعاً في أفضاء كنيّة إلى اسم الرهبان. ولا نعرف عنه الكثير سوى أنه  
كان رجلاً متمسكاً بدينه، وأنه كان صادقاً في قوله، مجدداً في عمله، وكان  
رجلاً صورياً سالماً محباً، يأنس الوجه، كما أنه كان رجلاً مثقفاً متعمقاً  
في الكتاب المقدس، كما أنه كان شاهد عيان للأحداث وشاؤك فيها وأنه  
ذكر في حويلته أنه كتب ما رآه وما سمعه. ولم يكن جوسلين راهباً عادياً،  
بل إنه لعب دوراً كبيراً داخل الدير وأنه شغل منصب سكرتير رئيس الدير  
ومديراً لمنزل الضيافة، وأن ذلك جعله متصلاً اتصالاً وثيقاً لمدة ست سنوات  
بالأحداث.

وأول طبعة للحولية كانت عام ١٨٤٣ م ومرة أخرى عام ١٨٤٩ م مع ترجمة  
إنجليزية. والحولية لا تزخر بالأحداث العامة داخل إنجلترا، ولكنها تزخر  
للأحداث الخاصة بالدير مع الإشارة إلى الملك الإنجليزي في بعض الأحيان. وقد  
بدأت الحولية وهي تزخر بالسنين بالحديث عن رئاسة هيو Hugh لكتيكة  
القديس إدموند، وعن خلو المنصب لبعض الوقت بعد وفاة هيو عام ١١٨٠ م،  
وكيف تم اختبار ثلاثة عشر راهباً وذهبهم إلى الملك هنري الثاني لاختبار  
أحدهم رئيساً للدير وكيف تم اختبار سامسون Samson رئيساً للدير في عام  
١١٨٢ م وكيف كان رئيس الدير يطوف البلاد، وكيف كانت رغبة سامسون في  
حمل الصليب والذهاب مع الملك ريتشارد برفقة قوات الحملة الصليبية الثالثة.

وتنقسم الحولية إلى عمليتين كبيرتين. يبدأ العمل الأول من عام ٧٣٢ م وهو  
التاريخ الذي مات فيه المؤرخ الإنجليزي بيده Bede حتى عام ١١٥٤، وهو  
العام الذي تولى فيه هنري الثاني حكم إنجلترا، وهذا العمل قد ورد مختصراً  
ويشغل حوالي ربع الحولية، أما العمل الثاني فيبدأ من عام ١١٥٥ م حتى عام  
١٢٠١ م وهذا العمل يتناول عهد الملك هنري الثاني وريتشارد قلب الأسد،  
وثلاثة أعوام فقط من حكم الملك يوحنا (١١٩٩ - ١٢١٦ م).

رواق الحال أن العمل الأول قد أخذ من كتابات السابقين، أما العمل  
الثاني فهو من ملاحظاته الشخصية، وشاهد عيان لبعض الأحداث، كما أشار  
هو إلى ذلك. ولذلك اعتبرت هذه الحولية من أهم الأعمال التاريخية، حتى أن  
الملك الإنجليزي إدوارد الأول Edward I (١٢٧٢ - ١٣٠٧ م) أمر بوضع نسخ  
من هذه الحولية في مكاتب إنجلترا.

ومن المزايا التي تقدمها الحولية أنها تتعامل مع الخطابات الصادرة من  
البابا إلى بعض الملوك أو إلى كبار رجال الدين، فتجده يأتي بنص الخطابات  
والرد عليها دون أن يتدخل أو يبرز، وهنا يعتمد الباحث على وثائق وليس  
على ما كتبه المؤرخ. والحقيقة أن ما سجله ووجع أف هوفدن بهذه الصور يعتبر  
مدرسة ممتازة في كتابة التاريخ، ثم نرى من أتى بعده من المؤرخين الإنجليز  
يتبعون الطريقة نفسها، وهذه ميزة الكتاب الإنجليزي منذ هذه المرحلة في تاريخ  
العصور الوسطى.

والحولية مؤرخة على طريقة السنين، وأحياناً يشير المؤرخ إلى اليوم عن  
طريق ذكر الأعياد المسيحية، وأحياناً أخرى يشير ويقول وفي اليوم التالي ثم  
وفي اليوم الذي يليه وهكذا... ويستطيع القارئ أن يحس أنه أمام يوميات  
تسجل أولاً بأول، مما يعطي مصداقية كبيرة للمادة التاريخية التي وردت في  
الحولية التي وصلت إلى ألف واحد وعشرين صفحة في جزئين بعد طبعها في  
لندن عام ١٨٥٣ م.



ورحلة رئيس الدير إلى روما لمقابلة البابا، وكيف كان رئيس الدير يشجع الفرسان للانضمام إلى القوات الصليبية برفقه الملك ريتشارد. وإذا كانت الحولية تذكر للدير، وتسجل أحداثه أول بأول وحائلاً كبير من التفاصيل حتى أنها تذكر لمدة تسعة وعشرين عاماً في ثمانين صفحة من الحجم الكبير (كواوتو)، فقد تضمنت إلى جانب التاريخ للدير، الصراعات الداخلية في الدير وتدخل الملك لاختيار رئيساً للدير ورعاية رئيس الدير للمنطقة التي يعيش فيها وتلقّد أحوالها وكيف لعب هذا الدير جانباً كبيراً في الدعوة والتبشير والتجنيد لانضمام الفرسان إلى قوات الحملة الصليبية الثالثة.

#### - روجر أف وندوفر:

هو روجر أف وندوفر Roger of Wondover صاحب كتاب زبدة التاريخ أو زهور التاريخ Flower of History. وكان هذا الكتاب ينسب سابقاً إلى المؤرخ الإنجليزي متى البارسي Matthew Paris.

وروجر أف وندوفر هو راهب بندكتي لا يُعرف تاريخ مولده، ولكن وفاته كانت في عام ١٢٣٦ أو ١٢٣٧. وهو أحد المؤرخين العظام الذين عاشوا في دير القديس البان Albons Abbey، ويسدو من اسمه أنه أحد مواطني مدينة وندوفر التي تقع في هوشنجهامشير Buckinghamshire، ومن الواضح أنه كان راهباً متميزاً بين زملائه لذلك عُيّن مقدماً لصومعة بلقوار Belvoir الملحقة بالدير، ولكنه عزل من هذا المنصب وعاد مرة أخرى إلى دير القديس البان، حيث كتب حوليته. وتعد الحولية منذ بداية الخليفة حتى عام ١٢٣٥م، وتنقسم الحولية إلى ثلاث أقسام:

ويضم القسم الأول الأحداث التي وقعت قبل عام ١١٤٧م وحتى وصول العناصر الإنجليزية. والمادة التاريخية الخاصة بهذه المرحلة مجمعة من المصادر الرومانية واليونانية ومن حولية المؤرخ جوفري أرف مونمارث. ومن الواضح أن روجر كان أميناً في نقله من هذه المصادر، ولم يضيف إليها.

أما القسم الثاني الذي يمتد من ١١٤٧ حتى ١٢٠٠م، فهو مأخوذ من حوليات الأديرة، ولهذا القسم أهمية خاصة لا لأنه مأخوذ من مصادر أصلية، أو أن الذين كتبه كانوا معاصرين للأحداث التي أرخوا لها، ولكن لأن المؤرخ جمع بعض المادة التاريخية من مصادر تاريخية فقد بعضها، ومن المصادر التي رجع إليها المؤرخ روجر، سيجبرت أف جمبلورز Sigebert of Gemblours، وهرمانوس القصير، وماريانوس سكوتى Marienus Scoruy ومن بعض المؤرخين البيزنطيين مثل ثيوفانس Theophanes وسدريئوس Cedrenus، ومن مؤرخين إنجلترا مثل المؤرخ بيده، ووليم أف مالدسوري ومن المؤرخ فلورنس أف وورستر Florence of Worcester. ومن هنري أف هانتسجودون Henry of Huntingdon، وهؤلاء جميعاً قد أسهموا في المادة التاريخية حولية زهور التاريخ.

أما فيما يتعلق بالمادة التاريخية التي دونها بنفسه بصفتها معاصراً لأحداثها، وهي تعادل حوالي خمسين عاماً، فهي الفترة السابقة لعام ١٢٣٥م: وفي هذه المرحلة ارتفع إلى مستوى المؤرخين العظام. وهناك ما يلفت النظر في حولية روجر أف وندوفر ويجب ذكره في هذا المكان، لقد كان معروفاً أن يقوم بعض الرهبان داخل الدير بنسخ الحوليات التي تصل إليهم، كما كان لكل دير الحوليات الخاصة به، وكان هناك بعض الرهبان المتخصصين لتسجيل الأحداث الخاصة بالدير، وأنه إذا ما تم نسخ حولية ما ليستخدمها رهبان الدير أو لإرسالها إلى أي مكان آخر فانه كان من الواضح أن تكون الحولية قد وصلت إلى الزمن الذي عاشه المؤرخ، وبعد إتمام عملية النسخ تطرح جانباً. وأن الكاتب الجديد أو المؤرخ الجديد كان لا يتعجل في نسخ أو اختصار هذه الحولية. وفي بعض الأحوال كانت تختفي بعض الأصول التاريخية، وقد حدث ذلك مع حولية روجر أف وندوفر فقد أختفت حوليته بعد أن نقل منها المؤرخ متى البارسي Matthew Paris، وهو المؤرخ الذي عاش في الدير نفسه الذي عاش فيه المؤرخ روجر أف وندوفر وهو دير القديس البان، ولذلك نسبت أعمال



روجر أف وتدوفر إلى متى الباريسى لفثرة من الزمن حتى تم تصحيح هذا  
الوضع.

لقد نشرت حولية روجر أف وتدوفر فى جزئين بمدينة لندن عام ١٨٤٩م  
بعد ترجمتها من اللاتينية إلى الإنجليزية بأمانة ج. أ. جيلز J.A.Giles وبعض  
الجزء الأول الأحداث من ٤٤٧ - ١١٦٩م، أما الجزء الثانى فيبدأ من عام  
١١٧٠ حتى عام ١٢٣٥م. ومجمل الحولية يقع فى ألف ومائة وتسع وسبعين  
صفحة. والحولية مؤرخة على طريقة السنين، وفى كل سنة توجد عناوين لكل  
موضوع. ونلاحظ أيضاً أن هناك بعض الخطابات الموجودة داخل الحولية مرسله  
من بعض المسئولين إلى مسئولين آخرين أو من بعض الرهبان إلى أديرتهم  
وبعضها يمكن تسجيل التاريخ الخاص به. من واقع ما سجل فى الخطابات مثل  
On the Monday before the Nativity - فى عام ١٢٢٢م وبالرجوع إلى  
قواميس الأعياد المسيحية تبين أن هذا اليوم هو الثامن من أغسطس عام  
١٢٢٢م.

كما يلاحظ أن بعض الصفحات بها تعليق على النص، ويذكر أن المؤرخ  
متى الباريسى قد أضاف إلى هذه المعلومات معلومات أخرى وردت فى حواشى  
الحولية. كما يلاحظ أيضاً أن المؤرخ كان يسجل الأحداث فى حينها، فقد يذكر  
بعض الأحداث ويبدأ يذكر أنه فى شهر فبراير من العام نفسه، أو فى التاسع من  
يوليو، أو يقول فى موضع آخر وفى اليوم التالى، وكل هذه أمور تساعد الباحث  
كثيراً فى تحديد تواريخ الأحداث.

- متى الباريسى:

ولد متى الباريسى Matthew Paris حوالى عام ١٢٠٠م ويرى البعض  
أنه توفى فى عام ١٢٥٩ أو عام ١٢٧٣م، وهو راهب بندكتى ومؤرخ إنجليزى،  
وتعرف حوليته باسم درة الحوليات. ورغم أنه إنجليزى مشهور فإن إضافة كلمة  
باريس إلى إسمه تدعو إلى التساؤل، ويرى البعض أن ذلك يرجع إلى أنه تلقى

تعليمه فى شبابه المبكر بمدينة باريس أو أنه ولد بها، أو لإتقانه اللغة  
الفرنسية. ومن كتاباته تعرف أنه أصبح راهباً فى دير القديس ألبان فى عام  
١٢١٧م، وهو الدير الذى قضى فيه بقية حياته، ويشين أيضاً أنه زار مدينة  
لندن التى تقع إلى الجنوب من الدير بحوالى عشرين كيلومتراً، وقد تكررت هذه  
الزيارة وزار فيها البلاط الملكى. كما أنه زار النرويج فى عام ١٢٤٩م حاملاً  
رسالة من الملك لويس التاسع ملك فرنسا إلى الملك النرويجى هاكون الرابع  
Haakon IV (١٢١٧ - ١٢٦٣م) وكانت هذه الرسالة تتعلق بدعوة ملك  
النرويج للانضمام إلى الحملة الصليبية السابعة التى قادها لارس التاسع لفترو  
مصر. ويشين من كتاب متى الباريسى أنه أصبح صديقاً لملك النرويج، وقد  
أفرد متى الباريسى حوالى صفحتين ونصف لهذه الزيارة وذكره لدير القديس  
بنت هولم st. Benet Holm فى النرويج حيث بقى حوالى عام. كما كان متى  
الباريسى صديقاً حميماً للملك الإنجليزى هنرى الثالث ولأخيه ريتشارد إيرل  
كورنوال Richard Earl of Cornwall، وكان لذلك كله أثره الكبير على  
معرفة المؤرخ بالأحداث وتفصيلها، وسيظل هذا المؤرخ متفرداً بين مؤرخى  
العصور الوسطى، يضاف إلى ذلك أنه مصوراً ورسماً للخرائط وهذا ما دونه  
بنفسه على هامش كتاباته.

ويمكن تقسيم أعمال متى الباريسى إلى ثلاثة أقسام:

يعرف القسم الأول بإسم التاريخ الكبير Historia Major أو Chronica  
Majora. ويعتمد منذ ميلاد السيد المسيح حتى عام ١٢٧٣م على حد قول  
جيلز Giles. مترجم الكتاب المنشور تحت اسم English History من  
(١٢٣٥ - ١٢٧٣) وطبع فى لندن عام ١٨٥٢. وفى هذا الكتاب يعتمد المؤرخ  
على ما كتبه المؤرخ روجر أف وتدوفر حتى عام ١٢٣٥م وقد أشار متى  
الباريسى إلى ذلك مع إضافات عديدة من عنده.



والعمل الثاني يتعلق بتلخيص يدعيها أرفا ملكي مرسيا، وأعمال ثلاثة وعشرين من رؤساء دير القديس البان وبعض الأعمال الأخرى.

والعمل الثالث الذي قدمه المؤرخ يعرف باسم التاريخ الصغير Historia Minor وهو يضم الأحداث من ١٠٦٧ حتى ١٢٥٣ م. وهذا العمل الأخير لازال محفوظاً على ما قبل، أما الأول والثاني فقد تم طبعهما في عام ١٦٤٠ ثم أعيد طبعهما مرة أخرى في عام ١٦٨٤ م. وأن الطبعة التي أشرت إليها في بدايات الحديث عن متى الباريسي وهي ترجمة جيلس، فقد اعتمد على طبعة ١٦٤٠ م. وسيظل تاريخ وفاة متى الباريسي موضع سؤال حتى تنجلي الحقيقة.

ويمكن القول أن متى الباريسي كان مؤرخاً قومياً دافع عن العهد الأعظم الذي وقعه الملك الإنجليزي يوحنا في الخامس عشر من يونيو عام ١٢١٥ م. وفيه تقلصت سلطات الملك الإنجليزي ومنح بعضها للنبل. وبصفة عامة فقد كان متى الباريسي ضد تركيز السلطة في يد الملوك أو الباباوات، وهو يعارض أيضاً تدخل الملوك أو النبلاء في شئون الكنيسة خاصة ما يتعلق بانتخاب الأساقفة، كما يعرف عنه أنه كان كارهاً للأجانب. ويرى متى الباريسي أن الملك هنري الثاني علم أن مؤرخاً يكتب عن تاريخ الدولة، وأنه يريد أن يجعله مطابقاً للواقع بقدر الإمكان، وفي عام ١٢٥٧ م زار الملك دير القديس البان حيث يعيش المؤرخ ويكتب حوليته، وقد دامت الزيارة لمدة أسبوع. وقد ألقى الملك الحولية إلى جانبه ليلاً ونهاراً كما أنه كان يراقب المؤرخ رقابة شديدة وهو يسجل الأحداث وعما إذا كان المؤرخ يسجل أحداثاً سياسية لا يرضى عنها الملك وهنا أدرك مؤرخنا أن هناك خطراً يحيط به. وإن دلت هذه الرواية على شيء فإنها تدل على أن متى الباريسي لم يكن مؤرخاً للبلاط الملكي.

- ماثيو أف وستمنستر:

هو متى أو ماثيو أف وستمنستر Matthew of Westminster، وقد ظل مجهولاً باعتباره مؤلف كتاب زهور التاريخ أو زينة التاريخ Flores Historiarum، Flowers of History، ولم يتم اكتشاف الحقيقة إلا في عام ١٨٢٦ م عندما كتب عنه بالجرفاف Palgrave الذي قال أن: ماثيو كان شيئاً غير موجود، ولكن هذه المعلومة قد أكدها آخرون بعده، وأن إسم ماثيو من إسم ماثيو الباريسي، عندما تعامل في نسخ كتاب الأخير، وأن إسم وستمنستر مأخوذ من إسم الدير الذي كتب فيه حوليته.

كان هذا المؤرخ راهباً يدكشياً ظهر إسمه في المطبوعات الأولى من القرن الرابع عشر الميلادي، وتاريخ ميلاده غير معلوم لدينا، لقد كتب حوليته منذ بداية الخليقة حتى نهاية حكم الملك الإنجليزي إدوارد الأول Edward I ١٢٧٢-١٣٠٧ م. ولقد سجل المؤرخ في بداية حوليته أنه يريد أن يكتب تاريخ العالم كله، ولكن يلاحظ أنه بعد حكم نهاية السبع ممالك الإنجليزية وتعرف باسم Heptarchy وبداية حكم الفريد العظيم، فإنه قليلاً ما يشير إلى دولة أخرى غير إنجلترا.

لقد بدأ عمله بخروج آدم من الجنة، ثم بدأ بتقديم موجزاً عن روما مع إشارة بسيطة إلى اليونانيين، ثم قدم أعمالاً لا تصدق ثم بدأ بعد ذلك بتقديم أعمالاً لها قيمتها التاريخية، فقد كان شديد الملاحظة ويروي الأحداث في سهولة وبساطة، وعندما كان يكتب عن الأحداث التي عاصرتها فإنه كان شديد العناية بها ويقدم لنا الحقائق؛ ومن ذلك فإن ما قدمه عن الملك الإنجليزي يوحنا وخليفته وابنه هنري الثالث جاء، مضبوطاً وكتب بإخلاص.

ويقال - وأنا أميل إلى ذلك - أنه سار على نهج سلفه المؤرخ متى الباريسي وروجر أف رندوفر حتى انتهى من حوليته، وفيما يتعلق بالمرحلة السابقة لنهاية حوليته وهي حوالى اثنين وسبعين عاماً فإنه اعتمد على مصادره الخاصة. والمهم هنا أن ماثيو أف وستمنستر يعتبر من أعظم المؤرخين في عصره الذي عالج أحداثه، وله سمعة طيبة عند المؤرخين المحدثين.



والحولية تقع في جزئين ترجمها يونج Yonge وصدرت في لندن عام ١٨٥٣م وله طبعات أخرى، ولكنني أشير إلى طبعة ١٨٥٣م. والكتاب كله مؤرخ على طريقة السرات، ويقع الجزء الأول في خمسمائة وست وستين صفحة تبدأ من عام ٤٠٠ قبل الميلاد حتى عام ١٠٦٦م أي بداية الغزو النورمانى لانجلترا، وهو يحتوي على مقدمة المؤلف نفسه وأحدى وعشرين فصلاً بين اختصار واسهاب، وكلما تقدمنا في الجزء، نلاحظ إسهاباً في ذكر الأحداث. أما الجزء الثاني فيبدأ حيث انتهى الأول (١٠٦٦م) حتى عام ١٢٠٧م. ويضم سبعة وعشرين فصلاً.

ورغم أن مؤرخنا عاصر إنهباء الإمارات الصليبية في بلاد الشام إلا أنه لم يقدم لنا في أحداث عام ١٢٩٠ إلا بعض سطور عن مدينة طرابلس، وبعض سطور أخرى عن قيام سلطان بابلجون بقصد مصر بالاستيلاء على عكا. وفي الجزء الأخير من الكتاب تناول المؤرخ الصراع والحروب والعلاقات مع رجال الدين والباباوية وفرنسا وجنوب إيطاليا وويلز واسكتلندا والفلاتنوز، وجانباً عن البرلمان النورمجي الذي عقده الملك الانجليزى إدوارد الأول.

#### - توماس والسنجهام :

توماس والسنجهام Thomas Walsingham هو مؤرخ انجليزى وراهب بنداكنى وقاريف ميلاده ليس معروفاً لدينا، ولكن وفاته كانت في عام ١٤٢٢م. ويرى الكثير أنه من مواطنى مدينة والسنجهام الواقعة في الشرق من إنجلترا، وقد تلقى تعليمه في دير القديس البان ثم أصبح راهباً ثم ناسخاً به، ولا يعرف عنه الكثير غير أنه مؤرخ وأنه أصبح في عام ١٣٩٤م رئيس دير وايموندهام Wymondham حتى عام ١٤٠٩م ثم عاد إلى دير القديس البان - وينسب إلى توماس مجموعة من الحوليات هي:

١- الحولية الكبيرة Chronica Majora وقد فقدت هذه الحولية ولكن ما كتبت في الحوليات الانجليزية يشير إلى هذه الحولية.

٢- الحولية الانجليزية Chronica Angliac وهي تناول المدة الزمنية من ١٣٢٨ حتى عام ١٣٨٨م. وقد ورد في هذه الحولية معلومات عن أحداث وتصرفات تخص يوحنا أف جونت John of Gaunt والد الملك الانجليزى هنرى الرابع (١٣٩٩ - ١٤١٣م) ولكنها تحتوي على بعض الأخطاء.

٣- أعمال آباء دير القديس البان، وقد تم تجسيم هذا المؤلف الخاص بالدير من عام ١٣٩٠ حتى ١٣٩٤. ويلاحظ أن الجزء الأول من هذا الكتاب مأخوذ من كتاب متى الباريسى.

٤- حولية القديس البان، وقد كتب هذا الكتاب حوالي عام ١٣٩٣م والمخطوط الأصيل لهذا المؤلف موجود بالمتحف البريطانى، وتؤرخ هذه الحولية لفترة من ١٢٧٢ حتى ١٣٩٣م. وتستمد هذه الحولية بعض معلوماتها من كتاب متى أف وستمنستر وآخرين، ولكن هذا الكتاب يتفق مع الحولية الانجليزية في الأحداث حتى عام ١٣٦٩م. ويلاحظ أنه بعد هذا التاريخ فإنه يختلف إلى حد كبير عما سبق خاصة فيما يتعلق بالهجوم على يوحنا جونت، ويرجع ذلك أنه بعد تولية الملك هنرى الرابع فإن الرهبان قد خبأوا الحوليات التي تتعامل على والد الملك وخافوا من ملاحقة الملك لهم.

٥- الحولية الانجليزية وتسمى أيضاً الحولية المختصرة، وهي تناول الفترة من ١٢٧٢ حتى عام ١٤٢٢م

ويمكن القول أن مؤرخنا هذا كان جماعياً للمادة التاريخية ممن سبقوه أكثر من كونه مؤرخاً، وما قيل في حق هذا المؤرخ فإنه يعتبر مؤرخاً للملك الانجليزى ريتشارد الثانى وهنرى الرابع وهنرى الخامس أى الفترة من ١٣٧٧ - ١٤٢٢م وما تعرفه عن يوحنا ويكلف John Wycliffe (١٣٢٠ - ١٣٨٤). وما تعرفه عن البرلمان النورمجي الذي عقد في عهد الملك الانجليزى إدوارد الأول (١٣٢٧ - ١٣٧٧م) وبالتحديد في عام ١٣٧٦م في مدينة لندن، وقد اجتمع فيه الأساقفة والبارونات والعامّة، وفيه العديد من المناقشات اعتماداً على ما صدر في العهد الأعظم عام ١٢١٥م وما منحه الملك من سلطات للعامّة لإدارة الشئون الانجليزية.



### ٣- المصادر الفرنسية

- فرودورد أو فلودور
- حولة كوتتات أنجو
- سوجر أف سانت دتيس
- أرنالد اسقف ليمان



### - فرودورد أو فلودورد :-

هو المؤرخ الفرنسى Frodoard أو Flodoard. ولد فى مدينة إبيرناى Epernay عام ٨٩٤م ونوفى فى عام ٩٦٦م. وقد تلقى تعليمه فى مدينة ريمز Reims وأصبح رجل دين فى كاتدرائية المدينة ثم تولى أمانة أرشيف الأسقفية. ولقد زار البهاوية فى روما خلال فترة تولى البابا ليو السابع Leo VII سنة البهاوية (٩٣٦ - ٩٣٩م) ونال عظفاً كبيراً من البابا.

لقد كتب فرودورد فيما بعد شعراً باللاتينية سداسى التفعيلة يمدح به أعمال السيد المسيح والقديسين الأوائل الذين عاشوا فى فلسطين وأنطاكية، ثم أضاف فى رواية شعرية تاريخ البهارات، وأن هذه الكتابات تقترب من الأساطير أكثر من الأعمال التاريخية ثم أهدى هذا الكتاب إلى روتبرت Rotbert رئيس أساقفة مدينة ترير Trier التى تقع على نهر الموزل. وعندما طرد آرنبولد Arnold رئيس أساقفة ريمز من منصبه خلال الصراع مع الرجل القوي هربرت Heribert كونت فرماندبوس Fermandois ظل فرودورد على ولائه لرئيس الأساقفة. وبعد أن استعاد رئيس الأساقفة منصبه أصبح مؤرخاً من ثقافته ومستشاريه. وفى عام ٩٥٢م اعتزل فى أحد الأديرة لعله دبر بأسول Basol وأصبح رئيساً لهذا الدير وظل فى هذا المنصب حتى بلغ السبعين من عمره.

وبناء على طلب من رئيس الأساقفة روتبرت تعهد فرودورد بكتابة تاريخ كنيسة ريمز Historia Remensis Ecclesiae. وقد استعان فى كتابه هذا بأرشفيف الأسقفية بالإضافة إلى ما كتبه الأسقف هنكار صاحب الأعمال القيمة والمتكاملة والموثوق بها. وللمؤرخ عمل عظيم آخر هو الحوليات Annales الذى يؤرخ للفترة من ٩١٩ - ٩٦٦م. وقد قدم العمل الأخير فى لغة سهلة. وتعتبر هذه الحوليات من أهم حوليات تاريخ فرنسا واللورين وشرق فرانكونيا وقد شغل هذا العمل كل وقته حتى وفاته. وقد أضيفت إلى هذه الحوليات بعض المادة التاريخية وغطت الأحداث الخاصة بالفترة من ٩٧٦ -



٩٧٨م. وقد طبع كتاب تاريخ كنيسة ريمز لأول مرة عام ١٦١١م في باريس، أما أعمال مؤرخنا الكاملة فقد إهتمت بها أكاديمية ريمز وطبعتها مع ترجمة فرنسية في المدينة ذاتها في عام ١٨٥٤، وهناك طبعة أخرى في Latin Patrology في الجزء الخامس والثمانين وتقع في حوالي ثمانمائة وستة وستين صفحة.

#### - حولية كونتات أنجو:

إن حولية كونتات أنجو Chronicle of the Counts of Anjou على ما يبدو هي حصر للأحداث التاريخية التي وقعت بين عامي ١١٠٠ - ١١٤٠م. قام بها أحد رهبان مدينة أنجو، وهي من المقاطعات الفرنسية الغربية التي يخترقها نهر اللوار Loire الذي يصب في خليج بيسكاي Biscay بالقرب من مدينة سانت مانت Mantes، وهي تؤرخ للأحداث التاريخية الخاصة بقيام كونتات أنجو حتى قبيل منتصف القرن الحادي عشر، والجزء الأخير من هذه الحولية ينتهي بموت فولك نرا أف أنجو Fulk Nerra of Anjou عام ١١٤٠م. وفي بداية الحولية تحدث كاتبها عن الملك الكارولنجي لويس الأصغر Louis the Bald (٨٤٠ - ٨٧٧م)، وظهر ترينولوس Ternillus مؤسس آل أنجو وتقربه إلى الملك كمحارب يدافع ضد الغزوات النورمانية على الدولة وكيف منحه الملك حكم مدينة أورليان ثم أصبح الممثل الملكي في مدينة تور. كما قدمت الحولية جانباً من الأمير فولك الأحمر Fulk the Red (٨٧٠ - ٩٣٨م)، وعلاقته مع هيو Huge دوق برجاندبا الذي أصبح وصياً على لويس الثاني (٨٧٧ - ٨٧٩م) ابن لويس الأصغر، وكيف خلف فولك الطيب أباه في المقاطعة وما دار من أحداث خلال عهده. ثم تحدثت الحولية عن ابنه جوفري جريمانتل Georfer Grey mantle وأخوته، واستدعته لهلاط الملك، وغزوات الفايكنج على فرنسا. كما كتبت الحولية عن موريس Mourice والمزمرات التي كانت تحاك ضد مقاطعة أنجو، وكذلك على فولك نرا وكيف دافع عن بلاده ضد الأعداء، وأن فولك هذا ذهب إلى روما للحج ثم إلى بيت المقدس وإلى

القدس فلسطينية حتى تقابل مع روبرت دوق نورماندي أثناء اشتراكه في الحملة الصليبية الأولى، وكان فولك يحمل خطاباً باباوياً سلمه للإمبراطور الكسبروس كومنين توجه بعدها فولك ومعه روبرت عبر آسيا الصغرى إلى انطاكية ثم إلى بيت المقدس.

وتحدثت الحولية عن عودة فولك إلى بلاده، وسجلت دوره في الدفاع عن أراضيه ضد أود كونت شامباني Odo Count Champayne وبعض الأحداث الأخرى التي وقعت في عام ١٠٣٧م. ثم تحدثت عن السلام الذي ساد بلاده حتى وفاته عام ١٠٤٠م. ولهذه الحولية أهمية خاصة حيث أنها تؤرخ لعائلة فولك التي حكمت إقليم أنجو، والمعروف أن هذا الإقليم هو إقليم فرنسي ولكنه انضم إلى إنجلترا بالمصاهرة عندما تزوج جوفري كونت أنجو من الأميرة ماتيلدا Matilda ابنة هنري الأول ملك إنجلترا (١١٠٠ - ١١٣٥م) وحفيدة وليام الفاتح. وعندما توفي جوفري آلت الدوقية إلى زوجته ماتيلدا وابنها هنري المعروف باسم هنري الثاني ملك إنجلترا (١١٥٤ - ١١٨٩م).

#### - سوجو أف سانت دنيس:

ولد سوجر أف سانت دنيس Suger of st. Denis بالقرب من دير القديس دنيس حوالي عام ١٠٨١م، ومات في عام ١١٥١م. ويعرف بأنه كان رئيس دير سانت دنيس ورجل دولة ومؤرخ. وما نعرفه عن بدايات حياته أنه في عام ١٠٩١م كان يدرس في دير سانت دنيس وأصبح زميل دراسة للملك لويس السادس (١١٠٨ - ١١٣٧م) ويعرف أيضاً باسم لويس السمين The Fate. ثم التحق بمدرسة دير آخر لعله دير القديس سانت بنوا Benoit بالقرب من أوليان Orléans ثم أصبح سكرتير لآدم رئيس دير سانت دنيس في عام ١١٠٦م، ثم عين رئيساً لدير برنفال Berneval في مقاطعة نورماندي حوالي عام ١١٠٧م ثم في دير توروي Toury عام ١١٠٩م. كما أرسله الملك لويس في مهمات داخل فرنسا في عام ١١١٨م، ثم سفيراً إلى البابا كالستوس الثاني



Callistus II (١١١٩ - ١١٢٤ م) في (١١٢١ - ١١٢٢ م). وأثناء إقامته في روما انتخب رئيساً لدير سانت دنيس. كما حضر مجلس الاتيران الكنسي الأول في ١١٢٢ م، وربما حمل لقب كاردينال. وكان سوجر يقضي معظم وقته في بلاط الملك لويس السادس حتى عام ١١٢٧ م وأصبح مستشاراً للملك وخليفته لويس السابع، وأصبح وصياً على الملكة الفرنسية أثناء غياب لويس السابع (١١٤٧ - ١١٤٩ م) في حملته الصليبية المعروفة بالثانية. وكان سوجر يعارض خروج الملك لويس لقيادة القوات الفرنسية في الحملة الثانية خوفاً من غرق بعض النبلاء داخل الملكة. وقاد سوجر الملكة أثناء غياب الملك لويس السابع بكل كفاءة، وبعد عودة الملك منح سوجر لقب والد الأمة الفرنسية.

ولما كانت الحملة الصليبية الثانية قد فشلت تماماً فإن سوجر قد أعد قوات صليبية أخرى لقيادتها إلى بلاد الشام لتعويض الفشل، ولكنه مات في عام ١١٥١ م عندما أصبح على وشك الرحيل، لقد لعب سوجر دوراً كبيراً في تقوية الملكية المركزية الفرنسية، ولجج في جوانب أخرى في الدولة وعمل على ازدهار الزراعة والتجارة وتنظيم أمور القضاء، كما أكمل الدير الجديد في كنيسة سانت دنيس. أما فيما يتعلق بأعماله كمؤرخ فقد كتب كتاباً عن لويس السادس وبعض أعمال لويس السابع، بالإضافة إلى بعض الوثائق والخطابات الرسمية ويعتبر ما كتبه سوجر عن الملك لويس السادس هو العمل المتكامل عن الملك، ويقع ما كتبه سوجر في هذا الصدد في أربعة وثلاثون فصلاً. وقد بدأ الفصل الأول بالحديث عن فترة شباب الملك وشجاعته وكيف أنه صد هجوم الانجليزى وليام روفس William Rufus أو وليام الثاني (١٠٨٧ - ١١٠٠ م) عندما هاجم الأراضي الفرنسية، والوقوف في وجه بعض النبلاء عندما هاجموا منطقة سانت دنيس وبعض القلاع في أماكن متفرقة من البلاد. كما تكلم عن يوهنند الصليبي أمير أنطاكية، وزيارة البابا باسكال الثاني Paschal II (١٠٩٩ - ١١١٨ م) للتفاوض مع الملك لويس السادس. وكتب المؤرخ سوجر عن موت الملك الفرنسي فيليب الأول (١٠٦٠ - ١١٠٨ م) وتوليده ابنه لويس

السابع عرش فرنسا. كما ذكر اللقاء الذي تم بين الملك الفرنسي والملك الانجليزى هنرى الأول ١١٠٠ - ١١٣٥ م. كما كتب كثيراً عن الصراع بين الملك لويس السادس والنبلاء وأقر ذلك صفحات كثيرة. كما تكلم عن البابا غير الشرعى يوردينوس Burdinus خلال فترة البابا جلاسبروس الثاني Gelasius II (١١١٨ - ١١١٩ م)، وعن المؤتمر الكنسي عقد في مدينة ريمز Remis الذي عقد في عام ١١١٩ م. وكيف قاوم الملك لويس السادس هجمات الإمبراطور هنرى الثالث (١١٠٥ - ١١٢٥ م) للأراضي الفرنسية، وكيف استضاف الملك لويس السادس البابا إنوسنت الثاني (١١٣٠ - ١١٤٣ م) عندما لجأ إليه هارباً من روما. وفي أواخر الكتاب تكلم عن شجاعة الملك ومقاومته للمرض الذي أصابه بالسنة، وأخيراً محاته بعد أن حكم ثلاثين عاماً وعمر يناهز الستين عاماً من عمره.

ويغلب على الحولية مساندة المؤرخ للملك في حروبه ضد الإقطاع وفي مقاومة الغزو الانجليزى والألماني، ولا يعتبر ذلك عيباً في تلك الأونة، في الوقت الذي كان يعمل الملك الفرنسي على تقوية السلطة المركزية ضد الإقطاع. وعلى مقاومته أيضاً لسيطرة إنجلترا على جانب كبير من الأراضي الفرنسية.

- أرنالد أسقف ليمان :

تقع أعمال أرنالد أسقف ليمان The Deeds of Bishop Arnald of Lemans ضمن مجموعة تعرف باسم أعمال الأساقفة الذين عاشوا في مدينة ليمان Acts of Bishops living in the City of Lemans، وهي مجموعة أعمال تبدأ منذ إنشاء أسقفية المدينة في عهد الاسقف جوليان حتى بدايات القرن الثالث عشر الميلادي، وقد أضيف الجزء الأول في عام ١٠٥٠ م والثاني في عام ١٠٩٠ م والثالث ١١٢٠ وهكذا، وقد كتبت أعمال أرنالد بعد عام ١١٩٠ م بعد وقوع أحداثها، ومؤلفها غير معروف لدينا ولكنه دون شك هو أحد رجال الدين في كاتدرائية مدينة ليمان.



## الفصل الرابع المصادر الصليبية

- مقدمة
- خطابات عن الحملة الصليبية الأولى
  - فوشيه أف شارتر
  - المؤرخ المجهول
  - ريموند دأجليز
  - رودلف أف كاين
  - أنا كومنيينا
  - جيويرت أف نوجنت
  - باندريك أف دول
  - البرت أف أكس
  - وليم الصوري
- خطابات الحملة الثانية
  - حوله فرزيورج
  - أودو أف ديل
  - خطاب إيمري أف ليموج وغيره
  - ذيل وليم الصوري
  - إرنول
  - هرقل
  - روتلان

لقد كان أرنالد أسقفاً لمدينة ليسان في الفترة من ١٠٦٥ - ١٠٨١ م وخلال هذه الفترة دار صراع طويل بين نورماندي وانجو وقد انفجر هذا الصراع بعد عام ١٠٦١ م عندما توفي هيرت الثاني Herbert II دون وريث، وقد أدى ذلك إلى طمع وليم دون نورماندي (وليم الفاتح فيما بعد) في عام ١٠٦٣ م حيث دخلت القوات النورماندية إلى ليسان وظلت طول خمسة وثلاثين عاماً. ثم بدأت أطماع فولك الرابع كونت انجو (١٠٦٨ - ١١٠٦ م). وقد عاصر أرنالد جانباً من هذا الصراع، وموقف قومون المدينة منه.

وقد ورد بالحولية كيف تم اختصار أرنالد في اسفجة المدينة ومساندة البابا إسكندر الثالث (١٠٦١ - ١٠٧٣ م) له، وكيف تم بناء قوس كبير في سرداب الكاتدرائية حيث يرقد جثمان جوليان المقدس، وكيف فتح وليم دون نورماندي انجلترا ومقتل هارولد، وكيف ثار أهل مدينة مين Maine مع نبلا المدينة ضد حكم وليم الفاتح، واستدعاء الماركيز أزو Azzo من إيطاليا لحكم المدينة وعودته إلى إيطاليا تاركاً زوجته وابنه تحت رعاية جوفري أف ماين Mayenne الذي تولى أمر المدينة. وفي النهاية استلمت المدينة للملك الإنجليزي وليم الفاتح بعد ما تعرض أرنالد لكثير من المتاعب.



بدأ الاهتمام بتاريخ ومصادر الحروب الصليبية يظهر في فرنسا في بدايات القرن السابع عشر الميلادي، وقد تولى هذا الأمر جماعة القديس مور St. Maur للرهبان البندكتيين، فقد قام برنجرز Bongars بإعداد مجموعة من المصادر الصليبية تعرف باسم لاتين الشرق، وقد صدرت هذه المجموعة كالتالي:

Bongers, Gesta Dei per Frances, Hanover 1611, fol.

ثم قام بعده برترو Bertherau في القرن الثامن عشر بإعداد مجموعة من المصادر الشرقية ولكن الثورة الفرنسية منعت نشرها. وفي القرن التاسع عشر قام معهد المخطوطات في فرنسا بتبني فكرة الطائفة البندكتية، وفي عام ١٨٤١م صدرت أول مجموعة عن مؤرخي الحروب الصليبية وهي منشورة على النحو التالي:

Recueil des Historiens des Cruisdes. Publ. Académie des inscriptions et Belles letters. Paris 1841 - 1906.

1- Lois, 2 vols. Paris 1841- 3, including The Assises of Jerusalem (R.H.C. Lois)

2- Documents Arméniens, 2 vols. 1869 - 1906. (R.H.C. Arm.)

3- Historiens Occidentaux, 5 vols. 1844- 95 (R.H.C. Occ.)

4- Historiens Grecs, 2 vols. 1875- 81. (R.H.C.G.)

5- Historiens Orientaux, 5 vols. 1872- 1906. (R.H.C.Or.)

ومع بدايات القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام مرة أخرى بالحروب الصليبية نصدرت عدة مجلدات مثل:

1- Michaud, J.F., Historie des Croisades, 5 vol. paris, 1817-22.

2- Wilken, F., Geschichte der Kreuzzüge, 7 vols, Leipzig, 1807-32.

3- Mils, History of The Crusades, 2 vols., London, 1820.

• أمبرواز

• ريتشارد أف ديفيز

• جوفري أف فينزوف

• ريجورد

• خطاب عن الحملة الألمانية

• روبرت كلاري

• جوفري دي فيلهاردين

• خطاب من البابا انوسنت الثالث

• مصدر عن حملتي الصليبان

• أوليفر أف بادنبورن

• جاك دي فترى

• خطاب بطرس أن موتاجو

• فيليب أف الهني

• تاريخ بطارية القدس وغيره

• قرارات مجلس اللاتيران

• مآثر القبارصة

• مجموعة رسائل من الحملة السادسة

• خطاب وليم شانوتيف

• جوانفيل

• خطابات عن الحملة السابعة

• قرارات مجمع ليون الثاني ١٢٧١م

• ليودولف أف سوكيم



ويلاحظ أن هذه المجموعات نقلت فرنسا وألمانيا والمجترات ولكن فرنسا ظهرت مرة أخرى بصورة أكبر لتتبع رعاية الحروب الصليبية ومزيجها وأثارها، فبين عامي ١٨٣٩ و١٨٤٢ أقام الملك الفرنسي لويس فيليب The Halls of Louis Philippe في قصر فرساي قاعات بكافة أنواع الأسلحة التي استعملت في الحروب المقدسة أي الحروب الصليبية. ثم قام الكونت ريان Riand بتأسيس جمعية الشرق اللاتيني في عام ١٨٧٤م، ومحفوظات الشرق اللاتيني التي طبعت في عام ١٨٨١م (Archives de L'Orient Latin) في جزئين في مدينة باريس، ومنذ عام ١٨٩٣م صدرت دورية لها أهميتها هي (Revue de L'Orient Latin).

وبالإضافة إلى ذلك فقد ظهرت في كل بلاد أوروبا مجموعات من الوثائق التاريخية مثل:

- ١- Monumenta Germaniae.
- ٢- Société de L'Histoire de France.
- ٣- Rerum Britannicarum.
- ٤- Fontes Rerum Austriacarum.

ومن الكتب التي تناولت لجميع الوثائق الخاصة بالحروب الصليبية نجد منها:

- ١- Röhrich, R., Geschichte des Königreichs Jerusalem. Innsbruck, 1868.
- ٢- Delaville - Leroulx's, Cartulaire Général des Hospitaliers de S. Jean de Jerusalem, 4 vols., Paris, 1894- 1904.

وتعتبر مراسلات الباباوات من أهم المصادر لتاريخ الحروب الصليبية ومن أهم ما صدر عنها مجموعة أعمال الباباوات التي صدرت في القرن التاسع عشر.

١- Migen, J.P. Patrologia Latina 221 Vols. Paris 1844- 55. (M.P.L.)

٢- Patrologia Graeco- Latina, 161 Vols. in 166. Paris, 1857- 66. (M.P.G.)

بالإضافة إلى مجموعات أخرى لعل أهمها الأرشيفات الإيطالية في البندقية وجنوة ونابلي لما لها من أهمية خاصة في تاريخ الحروب الصليبية.

وفي القرن العشرين أهتمت الدول الأوروبية بدراسة تاريخ الحروب الصليبية فظهرت أنصام كثيرة في جامعات أوروبا تخصصت في تاريخ الحروب الصليبية، كما ظهرت العديد من الجمعيات التي ضمت المثات من المتخصصين على مستوى العالم في أوروبا وأمريكا وأصدرت العديد من الدوريات التي تناولت دراسات متنوعة من تاريخ الحروب الصليبية السياسية والحضارية. كما ظهرت مجموعات في النصف الثاني من القرن العشرين لعل أهمها:

١- Grousset, R. Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem, 3 Vols. Paris, 1934- 6.

٢- Runciman, S., A History of The Crusade, 3 Vols. Cambridge, 1951- 4.

٣- Setton (ed.), A History of The Crusades, 6 Vols. Madison and Others, 1964, 85.

٤- سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية - مطبعة الأنجلو المصرية - ٢ جزء - القاهرة ١٩٦٣.



وإذا كان مؤرخو العصور الوسطى قد اهتموا بتاريخ بلادهم أكثر من بلاد  
غيرهم، لأنهم لا يذكرون تاريخ الآخرين إلا إذا كان هناك علاقات عسكرية أو  
تجارية أو كنسية، فإن الحروب الصليبية قد جمعت قدراً كبيراً من المؤرخين  
تتاولوا أحداثها، فتعددت الكتابات من كل الأنبياء والدول. كما أن الحروب  
الصليبية خاصة في المرحلة الأولى منها قد إجمدت فيها المصالح الكنسية  
والعلمانية. ومن هنا كتب رجال الدين والمؤرخون من كل الأمم الأوروبية عن هذه  
الحروب، فتعددت الروايات وانفقت كثيراً واختلفت أكثر لأن كل منهما كان  
يكتب من وجهة نظره، فالنظرة المسيحية الكاثوليكية قد اختلفت مع بعضها  
البعض، كما اختلفت كلها أيضاً مع المسيحية الأرثوذكسية في الإمبراطورية  
البيزنطية وهكذا. وقد أدى هذا كله إلى وضع كم كبير من المصادر التاريخية  
عن الحروب الصليبية في الغرب الأوربي والإمبراطورية البيزنطية وبلاد الأرمن  
والسريان والدولة الروسية بالإضافة إلى الكتابات العربية.

ولعل ما يتصدر قائمة هذه المصادر قائمة من الخطابات التي أرسلت  
بصورة رسمية أو غير رسمية. والحقيقة أن هذه الخطابات تختلف عن الكتابات  
التاريخية لأن هذه الخطابات تمثل صورة واقعية إلى حد كبير عن ما ورد فيها  
من معلومات، يعكس الكتابات التاريخية التي دون معظمها في مراحل لاحقة  
للأحداث. وواقع الحال أن هناك الكثير من الخطابات التي لا يستطيع أن  
أعدها في هذا الكتاب، لذلك فأننى اكتفى بذكر بعضها لما لها من مواقف  
هامة في تاريخ الحروب الصليبية كلها.

ومن هذه الخطابات ما كتب قبل بدايات الحروب الصليبية، ولعل أهم هذه  
الخطابات ما يذكر عن أن الإمبراطور البيزنطي الكيسوس كونتينيوس ١٠٨١ -  
١١١٨م، وهو خطاب غريب آثار الجدل حتى الآن بين الكثير من المستغلين  
بالحروب الصليبية، وقد أيد البعض ما رده به واعتبره البعض الآخر خطاباً  
مزوراً أعلن عنه بقصد إثارة أوروبا ضد المسلمين. وقد تعددت تسجيل بعض ما  
ورد فيه ليهتريب الباحث بنفسه وأنا معه للكشف عن حقيقة هذا الخطاب.

وفيما يلي جانباً من ترجمة هذا الخطاب كما نشر باللغة الإنجليزية ثم نعلق  
عليه.

وإذا قمنا بدراسة هذا الخطاب نجد أن روبرت كونت فلاتندز قد خدم  
كجندى مرتزق مع القوات البيزنطية في الشرق في عام ١٠٩٩م، وأن ما ورد  
في صور الخطاب عبارة « أن إمبراطور القسطنطينيين يطالب بالسلام باسم  
السيد المسيح ». وما رأينا قط في جميع مراسلات الأباطرة ذلك، فقد كان  
الأباطرة يسمون أنفسهم « أباطرة الرومان ».

إن المطلع على المراسم التي كانت ترسل بها الخطاب يجد من العبارات  
الدبلوماسية والاختتام ونوع الورق رسما كنه الخ وهو ما لم يتوفر في هذا  
الخطاب.

أن ما ذكره الإمبراطور « بسوء معاملة المسلمين للمسيحيين » هو خطأ  
تاريخي وربما سجل في هذا الخطاب لإثارة النعرة الدينية ضد المسلمين، « وأن  
سقوط القسطنطينية في يد الفرنجة أفضل في سقوطها في يد الوثنيين » (أي  
المسلمين).

إن ما ذكره الإمبراطور « أن الله سوف يكافئكم إذا قدمتم مع قواتكم  
لمساعدتنا، وإذا لم يكن ذلك كالياً فهناك الكنوز والنساء الجميلات في الشرق  
وأيضاً النساء البيزنطيات الجميلات اللاتي لا يقارن بآخرين في العالم، واعتقد  
أن ذلك سبباً كافياً لجذب القوات الفرنجية إلى سهل تراقية » (التي تقع إلى  
الغرب من مدينة القسطنطينية في أوروبا).

وقد اختلف مع البعض أو اتفق مع البعض الآخر، ولكن دراساتي لمصادر  
الحروب الصليبية توضح لي أن هناك الكثير من المفالطات والأكاذيب  
والأساطير وكلها من أجل حماسة رجال الغرب الأوربي للانضمام إلى صفوف  
الحملة الصليبية.



وهناك خطاب آخر من الإمبراطور الكسبروس موجه إلى روبرت كيون  
فلاترز أيضاً وإلى جميع الأمراء في مملكة فرنسا، وفيه يتحدث الإمبراطور عن  
إجتياح الأتراك والبيزنطية أراضي الإمبراطورية، وما أحدثه من خراب تناول كل  
من البشر والحجر والشجر بما فيها الأماكن المسيحية المقدسة والحجاج  
المسيحيين، وأنه يفضل أن تسقط القسطنطينية في يد الأوربيين بدلاً من  
سقوطها في يد الوثنيين (أي المسلمين).

ويوجد خطاب آخر أرسله الإمبراطور الكسبروس إلى البابا أوربان الثاني  
في مارس ١٠٩٥م يطلب فيه من البابا إرسال مساعدات عسكرية للإمبراطورية  
وهو الخطاب الذي دفع البابا إلى إعلان الحروب الصليبية في مؤتمر كليرمونت  
Clermont في أواخر العام نفسه.

ويعتبر خطاب البابا أوربان الثاني أو خطبته في مجمع كليرمونت من  
المصادر الرئيسية في تاريخ الحروب الصليبية، بل أنه يمثل حجر الزاوية فيها  
بما يمثل من فلسفة عامة لهذه الحروب الدينية. لقد انعقد هذا المجمع بعد إعداد  
كبير في الفترة من الثامن عشر من نوفمبر إلى الثامن والعشرين من نوفمبر  
عام ١٠٩٥م بحضور حوالي ثلاثمائة من رجال الدين، وفي هذا المؤتمر تكلم  
البابا عن مشاكل الكنيسة مثل الرشوة وزواج رجال الدين والتقليد العلماني  
وغير ذلك من الأمور الدينية. وفي السابع والعشرين من نوفمبر من العام نفسه  
أعلن البابا الحروب الصليبية على المسلمين في الشرق.

وقد أورد خمسة من المؤرخين خطاب البابا، حضر منهم الاجتماع برودي  
أن دول Baurdi of Dol وفرشيه أن شارتر Fulcher of Chartres. أما  
الثالث فهو روبرت الراهب Robert The Monk الذي ادعى أنه حضر المؤتمر،  
والرابع هو المؤرخ المجهول صاحب كتاب أعمال الفرنجة The Deeds of The  
Franks، والأخير هو جيورج أن نوجنت Guibert of Nogent. ويلاحظ أن  
هؤلاء المؤرخين قد سجلوا كتاباتهم فيما بعد، ولا يستطيع أحد أن يزعم أن ما  
ورد في هذه النصوص هو النص الأصلي للخطاب.

لقد ذكر البابا في خطابه أن العالم المسيحي في الشرق قد طلب منه  
المساعدة، وأن الأتراك السلاجقة زحفوا إلى قلب آسيا الصغرى وأسأوا معاملة  
السكان البيزنطيين، وأكد في خطابه قداسة بيت المقدس ومعاناة الحجاج  
المسيحيين في بلاد المسلمين، وطالب أئبائها بأن يكف أهل أوروبا عن قتال  
بعضهم البعض وأن الحياة في أوروبا أصبحت تعسة مليئة بالشروع، بالإضافة  
إلى معاناة أهل أوروبا من الفقر والبؤس، وسوف يجدون في الشرق الهدوء  
والسعادة. وعلى أهل أوروبا الاستعداد للسفر في ربيع عام ١٠٩٦م، كما وعد  
الجميع بغفران خطاياهم. وأستطيع القول أن ما ورد في هذه الخطبة دفع الغرب  
الأوروبي إلى غزو الشرق والاستيلاء على ثرواته، أي أنه صدر العنف الذي  
يسود المجتمع الأوروبي إلى الشرق، وأن على أهل أوروبا سال المسلمين بدلاً من  
قتال بعضهم البعض.

وليس لي في هذه السطور أن أخوض في تفاصيل ومناقشة ما ورد في  
النصوص الخمسة التي أوردتها المؤرخون، وعلى الباحثين الاطلاع بأنفسهم على  
هذه النصوص ومناقشتها واستخلاص نتائجها لما فيها من أسس فكرية  
وفلسفية لقضية الحروب الصليبية، وهي قضية تكررت كثيراً من دول أوروبا في  
أشكال مختلفة بفرض السيطرة على الشرق وما فيه من ثروات. وهناك خطابات  
عديدة تخص الحروب الصليبية على امتداد زمنها، وسوف أتناول مع كل مرحلة  
من المراحل الخطابات الخاصة بها، كما يوجد أيضاً النصوص الخاصة بالمجامع  
الدينية التي دعا إليها الباباوات للدعوة لحملات صليبية مثل الثانية والثالثة  
الخ، وسوف أتناول كل منها في حينه.

ونبدأ بالخطابات التي أرسلها بعض القادة ورجال الدين الذين اشتركوا  
في الحملة الصليبية الأولى، وهي خطابات وردت موجزة للأحداث ولكنها تمثل  
شعوراً كافياً في حينها، ولذلك فهي تقدم لنا صورة أقرب للواقع. وحيث أنها  
موجزة فليس بها الكثير من التواريخ أو الأسماء إلا ما أراد كاتبها أن يذكرها،  
وسوف إبدأ بالإشارة إليها حسب توارخها.



والخطاب الأول مرسل من بطريرك القدس (دايمبرت Daimbert)، إلى الكنيسة في الغرب أي إلى البابا أوربان الثاني. وقد كتب هذا الخطاب في يناير عام ١٠٩٨ من أمام أسوار مدينة أنطاكية التي لم تكن سقطت بعد في يد الصليبيين، ولم تكن القدس بالتالي قد سقطت أيضاً، ولم يرد في هذا الخطاب أحداث تاريخية بل هو استغاثة إلى البابا ليرسل بأسرع وقت بمكن القوات اللازمة للسيطرة على الأراضي الإسلامية التي تقبض لنا وعسلاً.

والخطاب الثاني صادر من أنسلم أف ريمونت Anselm of Ribemont إلى ماناس الثاني Manasses II رئيس أساقفة مدينة ريمز، وهو مؤرخ في حوالي العاشر من فبراير عام ١٠٩٨ من أمام أسوار أنطاكية ويذكر الكاتب أن الجيش الصليبي وصل برعاية الله إلى مدينة نيقوسيديا التي تقع في أرض الأتراك ثم تقدم إلى مدينة نيقية في مايو ١٠٩٧م وتحرك إلى الأراضي الأرمنية ثم حاصر مدينة أنطاكية، ثم الاستيلاء على مدينتي طرسوس واللاذقية.

والخطاب الثالث صادر من ستيفن كونت بلوا وشارتر إلى زوجته أديل Stephen, Count of Blois and Chartres, To his Wife Adele وستيفن هذا هو ابن ولبن الفاتح ملك إنجلترا (١١٨٧م) وتاريخ الخطاب التاسع والعشرين من مارس ١٠٩٨م من أمام أسوار مدينة أنطاكية. وتكلم ستيفن عن سقوط مدينة نيقية في يد الصليبيين وتقدمهم إلى كبادوكيا، وتكلم عن حصار المدينة وأميرها ياغي سبان، وجهود بوهمند أمير أنطاكية فيما بعد وريموند كونت سانت جيل Raymond, Count of St.Gilles.

والخطاب الرابع صادر من أنسلم أف ريمونت إلى ماناس الثاني رئيس أساقفة مدينة ريمز وهو الخطاب الثاني ومؤرخ في يوليو ١٠٩٨م من أمام أسوار مدينة أنطاكية، ولرب يتحدث عن طلب حاكم أنطاكية النجدة من حاكم مدينة دمشق وحلب وذكر كبريها بأنه ملك القرس ثم تكلم عن سقوط مدينة أنطاكية بالحيانة.

أما الخطاب الخامس فهو صادر من أهل مدينة لوتشيا (لوقا) الإيطالية المشاركين في الحملة الصليبية إلى جميع المسيحيين المؤمنين وهو مؤرخ في أكتوبر عام ١٠٩٨م، وهذه المجموعة قد سافرت بالبحر ووصلت أنطاكية، وقد ورد في الخطاب شدة القتال حول المدينة ثم سقوطها، وكيف فتح أهل المدينة أبوابها للصليبيين.

والخطاب السادس موجه من جودفري Godfrey، وريموند، ودامبرت إلى البابا. وجودفري هذا هو أول من تولى حكم مملكة بيت المقدس تحت اسم حامى الضريح (١٠٩٩ - ١١٠٠م)، والبابا هو باسكال الثاني Paschal II (١٠٩٩ - ١١١٨م) الذي خلف البابا أوربان الثاني، والخطاب مؤرخ في سبتمبر ١٠٩٩م من مدينة اللاذقية أي بعد سقوط مدينة بيت المقدس في يد الصليبيين. وقد ورد في هذا الخطاب سقوط مدينة نيقية وسقوط أنطاكية والبارة ومعرة النعمان وبيت المقدس، والجديد الذي قدمه هذا الخطاب هو معركة عسقلان بين القوات المصرية الفاطمية والصليبية والفتانم التي استولى عليها الصليبيون والاحتفال بهذا النصر وعودة القوات الصليبية إلى بيت المقدس.

### - فوشيه أف شارتر:

ونبدأ بعد ذلك بالحديث عن المصادر المتعلقة بالحملة الأولى وما بعدها، والواقع إننى لا أستطيع الخوض في كافة المصادر الخاصة بالحروب الصليبية سواء الأولى أو ما بعدها، ولكننى سوف أختار أهمها، مع ملاحظة أن مصادر الدول الأوربية التي سبق الإشارة إليها قد تحدثت عن الأخرى عن الحروب الصليبية بالقدر الذي يخص تلك الدولة، وعلى الدارسين لتاريخ الحروب الصليبية أن يراجعوا تلك المصادر والمصادر العربية والسريانية والأرمنية والبيزنطية وغيرها حتى تصبح الدراسة جادة متكاملة. وأود هنا أن أشير إلى أنه لا يوجد مصدر كامل يحتوى على كل أحداث فترة زمنية ما، أو يؤرخ



لشخص ما أو مدينة ما، ولكن المصادر تكمل بعضها البعض، لذلك يجب دراسة كل المصادر للوصول إلى الحقيقة، وهي غاية ما يبتغيه المؤرخ، وينطبق ذلك على المصادر الصليبية وكافة المصادر الأوربية الأخرى ونبدأ بالحديث عن مصادر الحروب الصليبية منذ بدايتها، ولكن البداية مع المؤرخ فوشيه أن شارتر Fulcher of Chartres، لقد ولد هذا المؤرخ في عام ١٠٥٩م، وكان قسباً قبل أن ينضم إلى صفوف الحملة الأولى، وقد حضر مؤتمر كليرمونت واستمع إلى خطبة البابا أوربان الثاني، وكان ينشد حماسة مثل الآخرين للمشاركة في الحروب المقدسة. لقد انضم إلى صفوف القوات التي قادها ستيفن كونت بلوا والكونت روبرت حاكم إقليم فلاندرز في عام ١٠٩٦م، وسار مع هذه القوات عبر إيطاليا حتى وصل إلى البلقان وشاهد بعدها القتال على مدينة نيقية وضرولوبوم.

وانضم فوشيه لبعض الوقت للكونت بلدوين Baldwin أخ جودفري أف بوايون، وقد سارت هذه المجموع عبر البلقان إلى القسطنطينية، وقد اشتركت هذه المجموع في القتال في مدينة نيقية وضرولوبوم، ولكن بلدوين انشق عن الجيش الرئيسي عند مدينة هرقلية وتصارع مع تانكرد Tancred حول السيادة على مدينة طرسوس في إقليم قيليقية. وقد انضم فوشيه إلى بلدوين واتجه إلى مدينة الرها التي حكمها بلدوين كأول إمارة صليبية تأسس في الشرق، وبينما كان بلدوين في الرها سار الجيش الصليبي إلى أنطاكية ثم بيت المقدس وسيطر عليها.

وفي عام ١٠٩٩م زار بلدوين ومعه فوشيه مدينة بيت المقدس وبيت لحم في أيام عيد الميلاد، ثم عادا إلى الرها. وعند موت جودفري تولى بلدوين مملكة بيت المقدس الصليبية، وذهب معه فوشيه وأصبح قسباً للملك حتى وفاته في عام ١١١٨م، ثم قضى بقية حياته كمقيم لدير جبل الزيتون، مات فوشيه في عام ١١٢٧م.

ويوضح فوشيه في مقدمة كتابه أن الغرض من تدوين حوليته هو تدوين

الأحداث التي قام بها جيش الرب. والكتاب يبدأ بمقدمة ثم ثلاثة فصول. وكما فصل مقسم إلى العديد من النقاط. وفيما يختص بالكتاب الأول فقد بدأ بالحديث عن مؤتمر كليرمونت، ورحيل القوات النورماندية إلى روما ثم القسطنطينية وإلى نيقية والوصول إلى مدينة أنطاكية وموضوع الحرية المقدسة، ثم وصول القوات الصليبية إلى القدس والاستيلاء عليها. وانتهى هذا الفصل بموت الملك جودفري أف بوايون.

والفصل الثاني يبدأ بحكم الملك بلدوين الأول مملكة بيت المقدس (١١٠٠ - ١١١٨م)؛ وبعض المناوشات بين الصليبيين والمسلمين بالقرب من بيروت، والحديث عن تقدم بلدوين بالقرب من عسقلان ثم رحلته إلى البحر الميت وعودته إلى القدس، وعن مولف تانكرد من أنطاكية والاستيلاء على أرسوف وقيسارية. وعن رسالة أرسلها أهل يافا إلى تانكرد، وعن معركة الرملة بين الجيش الفاطمي والصليبي في عام ١١٠٢م، والاستيلاء على مدينة طرسوس، وأسر الأمير الأنطاكي بوهمند وتحريره من الأسر، وسقوط مدينة عكا، وأسر الملك بلدوين وعودته من الأسر، ومعركة الرملة الثانية، والأسطول الفاطمي، وحروب الصليبيين ضد دمشق، وحصار مدينة طرابلس وسقوطها في يد الصليبيين، وسقوط مدينة بيروت، ولجدة الملك بلدوين وتانكرد لمدينة الرها، وسقوط مدينة صيدا، وحصار مدينة صور دون جدوى، ووفاة تانكرد أمير أنطاكية في عام ١١١٢م، وحصول القوات الإسلامية في بلاد الشام والفاطمية من مصر لمدينة يافا عام ١١١٥م، ومعارك على مدينة أنطاكية في العام نفسه، وبناء الملك بلدوين لقلعة الشويك، وتحويله في صحراء سيناء ثم وفاته في المنطقة عام ١١١٨م.

أما الفصل الثالث والأخير فيبدأ بتتويج الملك بلدوين الثاني في عيد القيامة الخامس والعشرين من ديسمبر عام ١١١٩م رغم أنه عين ملكاً في أبريل من العام السابق. ثم سجل العديد من الأحداث حتى عام ١١٢٧م، ومن هذه الأحداث هجمات فاطمية على الصليبيين، ومعركة ساحة الدم عام



١١١٩م. وهجمات إسلامية أخرى على أنطاكية، وهجمات صليبية على دمشق عام ١١٢١م. وحروب صليبية بقيادة الملك بلدوين ضد أمير طرابلس الصليبي في عام ١١٢٢م. وأسر المسلمين لجوسلين Joscelin أمير إمارة الرها ١١١٩ - ١١٢١م. وقدم قوات من البندقية بحراً في حوالي مائة وعشرين سفينة، وأسر الملك الصليبي بلدوين، وحصار بحري فاطمي لمدينة يافا، ثم هروب الملك بلدوين والأمير جوسلين من الأسر، وأسر الملك بلدوين مرة أخرى. وحصار البنادقة لمدينة صور، وحصار الصليبيين لمدينة حلب، وهجمات صليبية على دمشق في عام ١١٢٦م. وسقطت مدينة رافيتا في يد الصليبيين، وهجمات فاطمية على المدن الساحلية الصليبية، ووصول الأمير بوهمند الثاني (١١٢٦ - ١١٣٠م) في عام ١١٢٦م، وانتهى هذا الفصل والكتاب كله بالمحدث عن هجوم الفتران على مدن الساحل خاصة عكا وصور وكانت بأعداد وأحجام كبيرة.

والحقيقة أن المؤرخ فوشيه قدم لنا عملاً يعتبر من أفضل المصادر الخاصة بالحروب الصليبية في الفترة التي كتب عنها وعبر فيها عن عصره حيث لا سكن فصل أي عمل عن الجانب الديني، ورغم هذا كله فإن ما يؤخذ عليه أنه لا يسجل بعض الأحداث الخاصة بالملك بلدوين عندما كان أميراً للرها، كما أنه لم يقدم لنا أعداد الصليبيين الذين شاركوا في الحملة مثله في ذلك مثل كل المؤرخين الذين عاصروه. كما نلاحظ أنه يقدم بعض تواريخ الأحداث متضاربة في بعض الأحيان، هذا إلى بعض الأمور الفلكية والكوارث الطبيعية كالزلازل. ورغم هذا كله فإن حولية فوشيه تعتبر من المصادر الرئيسية التي استقى منها بعض المؤرخين الصليبيين الآخرين مادتهم التاريخية.

- المؤرخ المجهول:

هو صاحب كتاب تاريخ الفرنجة Gesta Francorum، والحقيقة أننا لا نعلم شيئاً عن هذا المؤلف غير أنه غادر مدينة أمان في صحبة الأمير بوهمند النورماني في عام ١٠٩٦م، وظل ملازماً له حتى سقطت مدينة أنطاكية في يد

الصليبيين والانتصار على كبريغا أتابك الموصل في أنطاكية. وقد خدم هذا المؤرخ المجهول في صفوف الصليبيين في هذا الجانب. وما يعرف عنه أيضاً أنه عمل في صفوف روبرت النورماندي، وريموند كونت تولوز في التعامل عسكرياً ضد معرة النعمان وطرابلس. كما أنه توجه إلى بيت المقدس مع سائر الجيش الصليبي بقيادة ريموند كونت تولوز. ورغم هذا كله فبالإجمال هناك جدل بين المؤرخين عن شخصية هذا المؤلف.

وبمقارنة مصادر الحملة الصليبية الأولى مع بعضها يتضح أنه كتب حوليته قبل نهاية عام ١١٠١م لأن المؤرخ الألماني إيكارد استفاد في هذه السنة من نسخة هذا الكتاب. ومن قراءة نصوص المؤرخ المجهول يتضح أنه كان إيطاليا مقرباً للأمير بوهمند الذي أشار إليه دائماً بلقب سيده الذي شاركه في أعماله العسكرية في حصار وإسقاط مدينة أنطاكية، وربما يدل ذلك أنه كان أحد جنود الأمير بوهمند.

وينقسم هذا الكتاب إلى ثمانية عشر فصلاً، بدأها بالمحدث عن خطبة البابا أوربان الثاني في مدينة كليرمونت عام ١٠٩٥م. ثم تكلم عن الحملة الشعبية وبطرس الناسك، وعن الجيش الرئيسي للحملة الصليبية الأولى وقادتها، وأفراد جانباً خاصاً بالأمير بوهمند، وجودفري أف بوايرن، وعاد إلى بوهمند مرة أخرى. وعلاقته بالإمبراطور البيزنطي الكسوس كومنين، وتكلم عن ريموند كونت تولوز والاستيلاء على مدينة نيقية في آسيا الصغرى، ودور الزعماء ومعهم مستيفن كونت بلوا، كما تحدث عن معركة ضوروليم وهزيمة السلاجقة في الأول من يوليو عام ١٠٩٨م.

وإذا تركنا آسيا الصغرى وانتقلنا إلى بلاد الشام نجد المؤرخ يقدم لنا مادة تاريخية عن حصار أنطاكية ومعاناة الصليبيين أمام المدينة وسقوط أنطاكية في آخر الأمر، ثم تكلم عن هجمات كبريغا أتابك الموصل على القوات الصليبية، واكتشاف الحرية المقدسة، ثم هزيمة كبريغا، والتقدم إلى بيت



القدس والاستيلاء عليها، وأخيراً تكلم عن واقعة عسقلان التي وقعت في أغسطس عام ١٠٩٩م.

وخلاصة القول أن هذا الكتاب يعتبر مصدراً هاماً من مصادر الحروب الصليبية المبكرة، وأن هذا الكتاب عرف في مطلع القرن الثاني عشر في أوروبا ونقل عنه بعض المؤرخين مثل روبرت الراهب وغيره.

- ريموند د'أجيليز:

ومن المصادر الهامة أيضاً في تاريخ الحملة الصليبية الأولى ريموند د'أجيليز Raymond d'Agiles، وهو مؤرخ ورجل دين في مدينة ليبري Le Puy في جنوب فرنسا في نهاية القرن الحادي عشر. وقد صاحب الكونت ريموند أف تولوز أحد قواد الحملة الصليبية الأولى، وأصبح قسيساً للمندوب البابوي أدهيرمار أسقف ليبري Adhémar, Bishop of Le Puy، وصاحب ريموند بونز دي بالازوك Pons de Balazuc، وقد تعهدا الإثنان بكتابة تاريخ الحملة. وكان بونز حريصاً على تدوين ما يعلق بذاكرته فألح على صديقه أن يدون ما يحدث فصار ريموند يسجل في خبثته ما يجري من أحداث، وعندما لقي بونز مصرعه أثناء حصار مدينة عرقه في بلاد الشام، لم يتوقف ريموند عن الكتابة، ومن المعروف عن ريموند أنه شارك في الحرب على مدينة أنطاكية، وفي الثامن والعشرين من يونيو عام ١٠٩٨م ظهر ريموند وهو يحمل الحربة المقدسة التي كان لها دوراً كبيراً في إسقاط المدينة، كما أنه واصل السير مع الحملة حتى استولت على بيت المقدس تحت قيادة ريموند كونت تولوز، كما صحبه في رحلته إلى نهر الأردن وأنه كان مشاركاً في معركة عسقلان حيث انتهى كتابه.

وإذا استعرضنا هذا الكتاب نجد أنه ينقسم إلى عدة فصول صغيرة بدأت بالحملة الأولى وهي في طريقها إلى القسطنطينية، ثم الانتصار على الأتراك السلاجقة عند مدينة نيقية، والسير عبر آسيا الصغرى حتى حصار أنطاكية

وما لاقاه الصليبيون من معاناة أمام أسوار المدينة، وهجمات كبريغا على القوات الصليبية، وأخيراً سقوط المدينة، وهجمات كبريغا مرة أخرى على قوات الحملة، واكتشاف الحرية المقدسة، وفي نهاية أحداث أنطاكية تكلم المؤرخ عن هزيمة كبريغا.

وبعد ذلك قدم المؤرخ الأحداث التالية لسقوط المدينة والمسيرة إلى بيت المقدس وما فيها من أحداث حتى سقوط المدينة في يد الصليبيين وما تلا ذلك من أحداث حتى معركة عسقلان بين القوات الصليبية والقوات الفاطمية.

ورغم أهمية هذا المصدر من الناحية التاريخية، إلا أن البعض يصفه بأنه محازاً للأمير ريموند كونت تولوز، وأنه ساذج وجامل، ومشتاعل في بعض الأحيان وأنه يضع رأيه مسبقاً، وأنه كان رجلاً يبغي المنفعة الخاصة.

- رودلف أف كاين:

ولد رودلف أف كاين Rudolph of Caen في مدينة كاين التي تقع بإقليم نورماندي في فرنسا عام ١٠٨٠م ثم دخل في خدمة الأمير برهمند النورماندي وشهد حصار برهمند لمدينة دوازو Durazzo في عام ١١٠٧م ثم توجه إلى آسيا الصغرى وصحب تانكرد Tancred أمير أنطاكية (١١٠٤ - ١١١٢م) أثناء مسيرته لانتفاذ مدينة الرها وظل من أتباعه، واعتمد في مادته التاريخية على ما حصل عليه من معلومات من الأمير تانكرد.

والموضوع الرئيسي لكتاب رودلف هو أعمال تانكرد وما أشتهر به من صفات طيبة، والحقيقة أن رودلف امتلك حاسة تاريخية طيبة رغم وجود عبارات بلاغية جعلته يبتعد عن الموضوع. كما أن رودلف يعتبر شاهد عيان لكل أعمال تانكرد، وبذلك أصبح مصدر ثقة لحد كبير في معظم مادته التاريخية العامة والخاصة التي لا يعرفها إلا القادة الكبار، وهي التي حصل عليها من الأمير تانكرد.



وإذا نظرنا إلى ما كتبه رودلف لجند كتاب أعمال تانكرد Gesta Tancredi، وهذا الكتاب ينقسم إلى مائة وسبعة وخمسين فصلاً تبدأ بالحديث عن والد تانكرد وموحيته في الحكم واتفاق تانكرد مع بوهمند وعبرور القوات الصليبية نهر فاردار Vardar الواقع في البلقان وتقدمها إلى القسطنطينية وموقف الإمبراطور من قوات الحملة، ثم العبور إلى آسيا الصغرى وحصار وسقوط مدينة نيقية، وما تم بعد ذلك من أحداث، وانقسام القوات الصليبية إلى قسمين اتجه أحدهما إلى الرها والآخر إلى أنطاكية، وأعمال روبرت كونت فلاتندرز وجودفري ألف برايون، وحصار تانكرد لمدينة طرسوس والوصول إلى مدينة أرتاح وحصار أنطاكية ومعاناة الصليبيين عند المدينة، ومحاصرة تانكرد لمعرة النعمان وسقوطها، ثم حصار مدينة عرقه والاختبار بالنار حول الحرية المقدسة.

وتحدث المؤلف عن المعارك حول مدينة بيت المقدس وأفرد لها صفحات طوال حتى سقوطها والمذابح التي وقعت ضد العرب داخل المدينة، وتعيبين جودفري حاكماً ثم موته وقيام أخيه بلدوين مكانه ملكاً على مملكة بيت المقدس، وتولى تانكرد أمر إمارة أنطاكية وإخضاع المصيصة وأذنة وطرسوس لحكمه، والهجوم الصليبي على مدينة اللاذقية، وحصار ريموند كونت تولوز لمدينة طرابلس، وأسر الملك بلدوين، وهزيمة الأمير رضوان في أرتاح، ومحاصرة تانكرد لمدينة أقمية، واختتم الكتاب بالحديث عن مجاعة وقعت في مدينة اللاذقية.

والكتاب كما ترى فيه بعض التقديم والتأخير للأحداث، كما أن الأحداث التي أوردها المؤلف كثيرة ومتداخلة وتحتاج إلى دراسات لسد الفراغ ومناقشة الأحداث ووضوح تواريخها وملابساتها، وإظهار النتائج التي تسفر عن ذلك.

- أنا كومنيني :

أنا كومنيني Anna Comnene هي مؤرخة بيزنطية، وابنة الإمبراطور البيزنطي الكيسوس كومنين، وقد ولدت هذه المؤرخة في عام ١٠٨٣ م، وتلقت تعليمها وأقرباً مثلها مثل بقية الأميرات البيزنطيات، فبداً تعلمت الأدب اليوناني، والتاريخ والجغرافيا، والأساطير والفلسفة، وقد تزوجت من نيقفور بريسوس Nicephorus Bryennius ابن المطالب السابق بعرش الإمبراطورية، وقد حاولت المؤرخة العمل على أن يكون زوجها في مكانة الإمبراطور ويصعد على العرش، وعندما فشلت في هذه المحاولة انسحبت مع والدتها الإمبراطورة إيرين إلى أحد الأديرة التي شيدتها، وخلال أقامتها في الدير كتبت كتابها المشهور الألكسياد Alexias، وقد أنهت من هذا الكتاب في عام ١١٤٨ م وسجلت في هذا الكتاب أعمال والدها منذ عام ١٠٦٩ - ١١١٨ م وهي تاريخ وفاته، وتعتبر المؤرخة أنا ذرة عائلة الأسرة الكومنينية.

ويعتبر ما قدمته المؤرخة عظيم القيمة لقوة ملاحظتها ومعرفتها الجيدة بالشئون العامة، كما أنها كانت على معرفة تامة بالأمور الدبلوماسية والخطابات التي أرسلها والدها إلى القادة والجنود البيزنطيين بالإضافة إلى إطلاعها على الأرشييف الإمبراطوري، وملاحظ أنها متحيزة كثيراً لوالدها.

وما يهمنا في هذا المقام هو ما كتبه عن الحروب الصليبية، والحقيقة أنها نظرت إليها من وجهة نظر شخصية وعدائها الواضح للعناصر اللاتينية الصليبية، لقد تعدت أن تقدم صورة طيبة عن الإمبراطورية وعن والدها.

لقد قدمت لنا المؤرخة أنا نقاطاً هامة عن الحروب الصليبية خاصة منذ وصول الحملة الشعبية إلى القسطنطينية، ودور بيزنطة في إنقاذ حياة بطرس التامك بعد فراره من أمام القوات السلجوقية، ووصول بوهمند ورفاقه إلى العاصمة البيزنطية، وهيو Hugh شقيق فيليب الأول ملك فرنسا ١٠٦٠ - ١١٠٨ م، والرسالة التي أرسلها هيو إلى حاكم مدينة دورازو البيزنطية، كما



تحدث عن جودفري ألف بوايون، وبعض التصرفات السهية للأمراء الصليبيين، وأقررت جانباً للأمير بوهند، والأمير ريموند كوثت تولوز، وهزيمة الأتراك السلاجقة عند مدينة نيقية وودو بوهند وناكسره في هذا الجانب. وهناك جوانب أخرى تنازلتها المزودة عن الأحداث الصليبية خاصة في علاقتها بالإمبراطورية مثل معاهدة ديفول 1107 - 1108م بعد هزيمة الأمير بوهند.

#### - جيوريت ألف نوجنت:

ولد جيوريت ألف نوجنت Cuibert of Nogent من أسرة نبيلة في مقاطعة بيكاردى Picardy حوالي عام 1053م، وشهد في بداية شبابه الفترة التي تعمل فيها الكنيسة الكاثوليكية في بسط سيطرتها على العالم الأوربي، ثم أصبح راهباً في سانت جرمر - دي فلي St. Gremer-de Fly، ثم ما لبث أن انتخب رئيساً لدير نوجنت في عام 1104م، وكان ميالاً إلى الشعر والموسيقى ثم تحول إلى العمل الديني وظل في دير نوجنت حتى وفاته في عام 1126م.

وأهم ما كتبه جيوريت كتابه أعمال الفرنجة Gesta Francos عن الحملة الصليبية الأولى وهو عمل تاريخي دار حوله الكثير من الجدل. ولعل ما يلفت النظر هنا هو استخدام كلمة الفرنجة الذي انتشر في تلك المرحلة وقبلها بقليل. ولنتوقف عند كلمة «الفرنجة» التي استخدمتها المصادر العربية أيضاً باسم «الفرنج»، والواقع أن هذا المصطلح هو إصطلاح قديم عندما قامت العناصر الفرنجية بتأسيس دولة الفرنجة باسم الدولة الميروننجية التي اعتنق فيها كلوكس الديانة المسيحية، ومن بعدها الدولة الكارولنجية ومؤسسها شارلمان.

وفي القرن الحادي عشر أصبح هذا المصطلح يضم كل سكان أوروبا الغربية، كما أن الإمبراطورية البيزنطية استخدمت كلمة فرانكوبولس

Francopoulois أي أبناء الفرنجة، وأن استخدام مؤرخنا هذا لكتاب باسم «أعمال الفرنجة» كمصدر هام من مصادر الحروب الصليبية له دلالة، وحتى هذه الأيام لازال هذا التعبير قائماً. وفي مرحلة العصور الوسطى والحروب الصليبية بخاصة فإن فكرة استخدام كلمة الفرنجة أنهم الشعب الذي اختاره الله، وأرجعوا ذلك إلى كلوكس وإلى المؤرخ جريجوري التوري الذي عنوان كتابه باسم «تاريخ الفرنجة» وهم الذين أحبه الله، ومن بعدهم شارلمان الذي حمى الكنيسة من الغزو اللباردي ودمر الوثنيين ودحر المسلمين في بلاد الأندلس، وهم الذي أسسوا دولتهم على الضريح المقدس ومعنى ذلك أن التحالف في القرن الحادي عشر هو تحالف بين الفرنجة وبين الله، وبعد خطبة البابا أوربان الثاني في مدينة كليرمونت صاح الحاضرون «هذه إرادة الله» وأسرع الجميع لحمل الصليب.

وعلى أية حال فرما شارك جيوريت في مجمع كليرمونت، وأصبح له رغبة في الكتابة عن الحروب الصليبية. وعندما بدأ هذا العمل وضع له عنواناً هو «أعمال الله بيد الفرنجة» "Doings of God Through The Franks"، وفي داخل كتابه أكد على هذا المعنى وذكر عبارات المهمة الإلهية للفرنجة Divine mission of The Franks.

والكتاب له أهمية كبيرة، فهو يظهر الأثر العميق على أهل أوروبا بعد دخول الصليبيين لمدينة القدس والأراضي المقدسة. وقد وضع هذا الكتاب من 1108 - 1112م، وقد ركز المؤرخ أن الفرنجة هم أصحاب الفضل في هذا العمل وهنا يقصد فرنسا، ولا يرجع الفضل إلى كل أهل أوروبا بأكملها، والفرنجة هم الذين يلجأ إليهم البابا في كل الأزمات. وفي القرن السابع عشر عندما قام جاك بولجز Jacques Bongars (1546 - 1612م) بتجميع بعض أعمال الكتاب الصليبيين في مجلد واحد فقط أطلق على كتابه أعمال الفرنجة Gesta Dei Per Francos.



ويرى البعض أن جيورجيت اعتمد في كتابه على أعمال القرطجة الذي وضعه المؤرخ المجهول. ثم أضاف إليه بعض المعلومات سواء أكانت قيمة أم تافهة ودون أن يربطها ببعضها. ولذلك أصبح هناك شك كبير في المادة التاريخية التي أضافها إلى المؤرخ المجهول.

- بالدريك ألف دول :-

ولد بالدريك ألف دول Balderic of Dol في قرية ميون Meun بالقرب من مدينة أورليان في عام ١٠٥٠م وتوفي في السابع من يناير عام ١١٣٠. وقد نبغ في دراسته في سن مبكرة في مدينة أنجر Angers، والتحق بدير بورجي Bourgeil في مقاطعة أنجر عام ١٠٧٩م. ثم عينه البابا باسكال الثاني أسقفاً لمدينة دول الواقعة في الشمال الشرقي لمقاطعة برتاني الفرنسية. ولقد ساهم في جميع الجامعات الدينية التي تمت في حياته، وسافر في مهمات عديدة إلى روما وإنجلترا. وقد شارك في إصلاح الأديرة وإعادة نظامها، ولتقدمه في السن اعتزل الحياة في سنواته الأخيرة. وبالإضافة إلى كتاباته التاريخية فإنه كتب عن سيرة القديسين. كما أنه كان شاعراً.

وأهم ما قدمه هذا المؤرخ هو كتابه Historiae Hierosolymitanæ. وفيه يقدم لنا قدراً من الأحداث المتعلقة بالحروب الصليبية. ولما كان بالدريك لم ينهب إلى الأراضي المقدسة فإنه اعتمد على الروايات الشفهية التي رواها بعض الصليبيين بعد عودتهم من حروبهم في الشرق. وحتى يضبط كتابه هذا عهد إلى أحد رؤساء الأديرة في مرسيليا ويدعى بطرس لتصويب هذا الكتاب لأن بطرس هذا شارك في الحروب الصليبية. وقد استفاد من هذا الكتاب بعض المؤرخين الصليبيين مثل أوردريك فيتالس Ordericus Vitales، والمؤرخ المشهور رليو الصوري.

- ألبرت ألف أكس :-

يعرف باسم ألبرت ألف أكس Albert of Aix أو آخن Aachen وهو مؤرخ للحملة الصليبية الأولى وكتابته Chronicon Hierosolymitanum يتكون من اثنتي عشرة فصلاً يبدأ من عام ١٠٩٥ أي منذ خالية البابا أوربان الثاني في مدينة كليرموننت حتى عام ١١٢١م. وقد دار جدل كبير حول هذا المؤرخ وأنهى الأمر بأنه كان أحد رجال الدين في مدينة آخن.

ويؤخذ على هذا الكتاب عدم الدقة في الأحداث التاريخية، كما أن معلوماته الجغرافية يشوبها الكثير من الأخطاء، وامتنازت كتاباته أيضاً بطابع ديني كبير مع التأثير بقدرته الشعرية، وهو ' كانت تتحلى به القروسية المسيحية. وعلى أية حال فإن مديح المؤرخ لفكرة الخدمة العسكرية في الحروب الصليبية له دلالة. ولذلك كان ما كتبه ألبرت ألف أكس وآخرون من أمثاله كان بمثابة دعابة طيبة للخدمة العسكرية في بلاد الشام من أجل خدمة السيد المسيح.

ورغم أن مؤرخنا لم يتوجه إلى بلاد الشام فإنه كتب تاريخ الحروب الصليبية حتى عام ١١٢٠م. وأنه اعتمد في كتابه هذا على ما رواه شهود العيان، إلا أنه ما كتبه يعتبر من أهم مصادر الحروب الصليبية وخاصة ما يتعلق بالحملة الشعبية. لقد كتب ألبرت عن بطرس التاسك وجودفري وفولكمار Folcmar وجوتشوك Gottshalk وهما من القادة الصليبيين. رايمكو Emico ومذبحة اليهود في مدينة مينز Mainz ووالشر الفلس Water The Pennilers وغيرهم. واستمر حتى عهد بلدوين الثاني إلى أحداث معركة ساحة الدم ١١١٩م. وما بعدها بقليل. إلا أنني سوف أركز على الحملة الشعبية باعتبار أن ما كتبه ألبرت يعتبر من أهم مصادر أحداثها.

لقد تكلم عن العناصر التي اشتركت فيها مثل الألمان والنيوتون والقرطجة والغاليون وربما يكون في ذلك مشاهدات إلا أن ما سجله هذا المؤرخ



يعتبر يوميات للأحداث، فقد تكلم عن الجبال المحيطة بمدينة نيقية التي  
عسكرت فيها الحملة الشعبية وذلك بمساعدة الإمبراطور البيزنطي وهجرم  
الإتراك السلاجقة عليهم بقيادة سليمان وهزيمة الحملة. ثم تكلم عن أسماء  
القادة الذين كانوا في الحملة، وعودة القتال مرة أخرى مع دق الطبول، وأن  
السلاجقة أعدوا ستة فرق عسكرية للقتال، والمسافة التي كانت بين مدينة  
نيقية وساحل بحر مرمرة حيث ميناء سيفيتوت Civitote حيث دار القتال،  
ومصرع والثر المفلس وانتصار الأتراك السلاجقة وما حملوه من غنائم وسبائب،  
وملاحقة السلاجقة للقوات الصليبية الهاربة من المعركة، وأخيراً تحرك  
الإمبراطور البيزنطي لمساندة الفارين الصليبيين.

ومن أهم مصادر الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي كتاب  
المؤرخ وليم الصوري، ووفاء منى لأستاذي المرحوم الأستاذ الدكتور عمر كمال  
توفيق فأنتى أتقدم بما كتبه عن هذا المؤرخ إحياء لذكراه بين الدارسين من  
الطلاب في حقل الحروب الصليبية. وقد نشر هذا العمل في مجلة كلية الآداب  
- جامعة الإسكندرية عام ١٩٦٤. كما أود هنا أن أشير إلى الدراسات القيمة  
التي قدمها المرحوم الأستاذ الدكتور السيد الباز العرنى في كتابه مؤرخ  
الحروب الصليبية، وإلى الدكتور بيتر إديبوي Peter Edbury الأستاذ بجامعة  
ويلز كلية كارديف على الدراسات المتأخرة التي قدمها عن المؤرخ نفسه.

#### - المؤرخ وليم الصوري:

كان لوليام الصوري William of Tyre ونيس أساقفة كنيسة صور،  
أهميته كرجل من كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية في الشرق، كما كانت له  
مكانته المرموقة بين رجال الدولة المسئولين في مملكة بيت المقدس الصليبية.  
إلا أن شهرته في العصور التالية لعهد قد قامت على أساس المجازاته كمؤرخ.

هذا بالرغم من ضياع بعض مؤلفاته في التاريخ. ومهما يكن من أمر فإن  
تاريخه الكبير الذي وصل إلى أيدينا والذي اشتهر باسم:

"Historia Terum in Partibus Transmarinis Gestarum"

أي «تاريخ الأعمال التي تمت في بلاد ما وراء البحر» يحتل مكانة  
عظيمة الأهمية بين مصادر تاريخ الحروب الصليبية. وقد جرى العرف على  
اعتبار كتاب وليم الصوري الأصل الذي تفرع منه أدب الحروب الصليبية، مع  
اعتبار أن المذود وجدت فيما سبقه من المؤلفات، وأن الفروع كانت الكتب التي  
وضعها المؤرخون اللاحقون مع عدم ذكر أسمائهم واعتبروها ملاحق أو مذيلات  
على تاريخ وليم.

والواقع أن محاولة دراسة حياة وليم وتكوين صورة كاملة لها ليس  
أمرًا سهلاً. وقد تطلب هذا العمل جهود عديد من العلماء، بدأت من القرن  
السادس عشر واستمرت حتى يومنا هذا. وترجع هذه الصعوبة للنقص في  
المعلومات التاريخية التي جاءت عن حياته، الأمر الذي اضطر الباحثين  
للاعتناء إلى حد كبير على الشذرات والإشارات المحدودة التي جاءت في  
التاريخ الذي وضعه.

ولد وليم في مملكة بيت المقدس الصليبية حوالي سنة ١١٣٠م. والظاهر  
أن نشأته كانت في مدينة بيت المقدس نفسها. ومن المحتمل أن أبوه كان قد  
نزح من إحدى بلاد غرب أوروبا، ولو أننا لا نستطيع أن نجزم برأى نهائى في  
ذلك. فإن وليم الذي وضع في تاريخه أنساب الآخرين وأصولهم، لم يدل بشئ  
عن عائلته وأصلها، ولكن الشواهد تدل على أن وليم أمضى السنوات الأولى  
من حياته في فلسطين، والمرجح أنه استقر به المقام في بيت المقدس. فإن ما  
رواه عن صباه عرضاً، إنما يتركز بأكمله في هذه المدينة، التي يظهر من تاريخه  
معرفة الوثيقة بشارعها ومبانيها المختلفة. وقد أتاحت له معيشته في هذه  
الأنحاء الفرصة لكي يتقن عدداً من اللغات، فألم بالفرنسية وهي لغة البلاط



الصلبي، والعربية التي كانت تستعمل بكثرة في محيط التبادل التجاري إلى جانب الفرنسية. ويظهر كذلك أن وليام كانت له دراية باللغة اليونانية التي انتشر استعمالها في الشرق بحكم صلة الجوار المباشر مع الإمبراطورية البيزنطية التي كانت لها اتصالات متنوعة مع الصليبيين وشعوب الشرق الأدنى الإسلامي. وفضلاً عن ذلك فيبدو أن وليام كان على الأقل على بعض العلم بلغات أخرى مثل العبرية والفارسية. وكانت اللاتينية بطبيعة الحال هي لغة الكنيسة والمدارس في المملكة اللاتينية. وإن إتقان وليام الواضح لهذه اللغة يشهد بأنه تلقى تعليماً ممتازاً.

وقرر وليام، على ما يبدو، منذ مرحلة مبكرة في حياته العمل في السلك الكنسي. ويتضح من تاريخه أن الشخصية الرئيسية التي أثرت فيه في صباه كان بطرس البرشلوني Peter of Barcelone الذي كان يشغل منصب رئيس الرهبان الملحقين بكنيسة الضريح المقدس من سنة ١١٣٠ إلى سنة ١١٥٨م، أي الزمن الذي يرتبط بالسنوات الخمس والعشرين الأولى من حياة وليام. وكان المعهد الديني الذي رأسه بطرس مختصاً بأعداد القساوسة وتعليمهم. وأظهر وليام حينئذ من المشابة والشفقة بتحصيل العلم ما قرره من أساتذته وخاصة بطرس.

ولا بد أن وليام وجد في بيت المقدس فرصة طيبة لتلقى تعليمه الديني. فقد تجمع هناك عدد من العلماء الذين كانوا في غالبيتهم من الزائرين الذي توافدوا من غرب أوروبا لقضاء فريضة الحج والعودة بعدها. كما كان منهم المتقدمون في العمر الذين جاؤوا إلى هذه البلاد عاكفين العزم على قضاء ما نبئ من حياتهم في الأراضي المقدسة تيمناً بها. وقد ضمت الأديرة عدداً من الأفاضل المشتغلين بالعلم مثل جودفري رئيس معبد السيد المسيح الذي اكتسب شهرة لتعمقه في دراسة اللغة اليونانية. وهكذا أتيت الفرصة لوليام الصوري لكي يستفيد من هؤلاء العلماء سواء أكان ذلك بالاختلاط بهم في الأديرة أو المنظمات الكنسية أو أثناء التردد على الأضرحة المختلفة وزيارتها. ولا بد

أن بطرس البرشلوني قد تولى الإشراف على تعليم تلميذه وليام وتوجيهه.

ومن المعروف أن وليام بعد أن قطع مرحلة طيبة من التعليم والاعداد اللازم، أصبح من رجال الكهنوت التابعين لرئيس أساقفة كتيمة صور. ويتضح ذلك من إحدى الوثائق المؤرخة في سنة ١١٦١م، ولو أن المصادر لم تبين على وجه الدقة متى تم ذلك. هذا وقيل أن تبدأ سنة ١١٦٣م، قرر وليام عبور البحر الأبيض المتوسط والذهاب إلى غرب أوروبا ليواصل دراسته هناك. الأمر الذي أشار إليه إشارة عابرة في تاريخه. وكان حينئذ في بداية العقد الرابع من عمره. والرجح أنه أثناء إقامته في الغرب اهتم بشكل خاص بدراسة القانون، الذي أصبح أمراً لازماً لمن يهيا لشغل منصب ديني كبير، وذلك لازدياد أعباء رجال الدين وتشعب مسئولياتهم. ومن المؤكد أن وليام كان لا يزال يتابع دراسته في الغرب عندما أعتلى الملك عموري عرش بيت المقدس. وكانت عودة وليام إلى البقاع المقدسة في خريف سنة ١١٦٣م على وجه التقريب.

ولا يعرف الكثير عن تفاصيل حياة وليام في السنوات الأربع التي تلت عودته إلى المملكة الصليبية. ولكن من المعروف أن أستاذه بطرس الذي أصبح رئيساً لأساقفة كتيمة صور قد مات، وتلاه في منصبه رجل يعرف باسم فريدريك، لم يكن على شاكلته، ولم تكن علاقة وليام به طيبة. ويظهر أن عمل وليام اقتصر في ذلك الوقت على أداء الواجبات العادية التي يقرها بها رجل الكنيسة. وربما اقتصرت بجانب القانوني من أعمالها. هنا في الوقت الذي أخذ يتطلع فيه ليصبح رئيساً لأساقفة إحدى الكنائس الهامة أو بطريرك المملكة الصليبية.

ومند سنة ١١٦٧م، بدأ وليام مرحلة جديدة من حياته أخذت أسهم فيها في الارتفاع، وكان ذلك على أثر بداية ارتباطه بخدمة عموري. فإن هذا الملك كان شغوراً بقراءة التاريخ مهتماً بمشايخته. وقد أراد أن يسجل عهده وأحداثه



خاصة وأنه اختبرت في ذهنه فكرة فتح البلاد المصرية. الأمر الذي يعد بالنسبة للصليبيين أكبر مشروع لهم بعد الاستيلاء على بيت المقدس وإقامة المملكة الصليبية في الشام. وهكذا فقد أراد عموري أن يسجل له التاريخ ما يحققه من أمجاد. وعلى ذلك قرر أن يختار رجلاً كفؤاً يكلفه بكتابة تاريخه. وقد وقع اختياره على وليام. وكان موفقاً في هذا الاختيار. حقيقة أن وليام لم يتلق فيما سبق التدريب اللازم للمؤرخ. إلا أنه كان بيز كشيرين من أقرانه من رجال الكنيسة في القدر الذي ناله من التعليم. كما عرف عنه أسلوبه الأدبي الرفيع والالام بعدة لغات. والظاهر أن وليام كان متردداً في أول الأمر في الاضطلاع بهذه المهمة الجديدة خشية أن يحيد عن هدفه الأصلي وهو الترقى في سلك الكهنوت. ومهما يكن من أمر فقد قبل هذا العمل. وعينه عموري رئيساً لشمامسة كنيسة صورو. كما خصص له راتباً أكبر من الراتب المعتاد الذي يتقاضاه من يشغل هذا المنصب.

وهكذا بدأ وليام وهو في مرحلة منتصف العمر عمله كمؤرخ. وقد أقبل على ذلك بكل حماسة ونشاط وتقدير للمسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقه. وقد راصل نشاطه في كتابة التاريخ بشكل شبه مستمر منذ سنة ١١٦٧ وهي السنة التي بدأ فيها حتى سنة ١١٨٤ وهي التي ترقف فيها عن الكتابة قبيل موته. إلا أن عمل وليام في هذه المرحلة من حياته لم يقتصر على كتابة التاريخ فقد عهد إليه المسئولون بالمملكة الصليبية بمهام أخرى كذلك. إلا أن هذه المهام، وأن كانت قد أضاعت إلى ما تحمله من أعباء، فاتها جعلته على اتصال وثيق بأحداث المملكة الصليبية وأخبارها. فعلى أثر الاتصال بين وليام وعموري، ازداد تقدير الأخير لمؤرخه، حتى أنه لما بدأ في التفاوض مع الإمبراطور البيزنطي بفرض القيام بعمله مشتركة لغزو مصر، أرسل عموري وليام إلى القسطنطينية لإتمام عقد الاتفاقية الصليبية البيزنطية. وقد أتاحت هذه المهمة لوليام فرصة التعرف عن كثب على عاصمة الإمبراطورية البيزنطية. ولجح في مهمته هذه. كما أن وليام اضطرت به بعض المسائل الكنسية للسفر إلى

روما عقب ذلك. وافادته أقامته هناك في معرفة البلاط البابوي سياساته. وللتجاح الذي أحرزه وليام في أكثر من عمل، ازدادت ثقة عموري به حتى كلفه سنة ١١٧٠ بتعليم ابنه وولي عهده بلدوين الذي كان في التاسعة من عمره. وأصبحت رعاية هذا الأمير الصغير إحدى مسئوليات وليام. الذي ازدادت له بذلك فرص الاتصال بالملك وحاشيته واستقاء المعلومات عن أحداث الدولة التي كان يؤرخها. وفي نفس الوقت نشأ بين وليام والأمير بلدوين تعاطف وتقدير متبادل ظهرت نتائجه بعد اعتلاء الأخير للعرش.

وفي سنة ١١٧٤م. مات الملك عموري، وله من العمر ثمان وأربعون سنة. وفقد وليام بذلك صديقاً عزيزاً عليه. كما أن خلفه وهو بلدوين الرابع، تلميذ وليام، لم يكن قد بلغ بعد سن الرشد، إذ كان لا يزال في الثالثة عشرة من عمره. ولم يكن بلدوين قد أتم تعليمه كما كان ضعيفاً جسمانياً لاصابته بالجذام. ونتيجة لذلك فقد استأثر بالمطة والإشراف على شئون المملكة أحد النبلاء الصليبيين وهو مايلز أف بلانسي Miles of Plancy، الذي عده وليام أسوأ مستشاري الملك الراحل. إلا أن هذا الأمير قد اغتاله بعض أعدائه في خريف نفس السنة. ووقع الاختيار بعد ذلك على ريموند الثالث أمير طوابلس ليكون وصياً على الملك. وقد عين هذا الأمير مؤرخاً وليام الصوري مستشاراً للمملكة. وتبع ذلك تنصيبه رئيساً لأساقفة كنيسة صورو في ٦ يونيو ١١٧٥م. وهكذا أصبح لوليام مركزاً هاماً في شئون كل من الدولة والكنيسة في المملكة الصليبية. ونظراً عن ذلك فعندما بلغ بلدوين الرابع السن القانوني ليمارس سلطته سنة ١١٧٦، انتهت وصاية ريموند، وصار وليام المستشار الأول للملك.

وأصبح من المتوقع إذ ذاك أن وليام سيخلف عموري الذي اشتد به المرض، في المنصب الديني الأكبر في المملكة ألا وهو منصب بطريرك بيت المقدس. وكان هذا هو الأمل الأكبر لوليام الذي بدأ حياته على أساس الخدمة والترقى في سلك الكهنوت. وكان من البوارد التي أظهرت ذلك تعيين وليام على رأس الوفد الديني الذي أرسل إلى روما سنة ١١٧٨م بناء على دعوة



البابا. وقد وفق وليام في مهمته ولفت نظر البابا بكفائه ونشاطه حتى لقد كلفه مهمة خاصة في القسطنطينية، والرجح أنها تعلقت بموضوع محاولة التوحيد بين كنيستي روما والقسطنطينية، الأمر الذي لابد وقد شجعت به ميل الامبراطور مانويل اللاتينية.

إلا أن وليام على أثر عودته إلى المملكة الصليبية (حوالي سنة ١١٨٠) أصيب بخيبة أما فيما يتعلق بالحصول على منصب البطريرك، كما أن نفوذه السابق أخذ في الضعف والاضمحلال. إذ أن تدهور صحة الملك بلدوين أدى إلى إثارة مرضع تعبسن وصي على العرش. وقد اختلف نبلاء المملكة في ذلك وقامت جماعتان متنافستان، الأولى وتتكون من الأمراء القدامى وعلى رأسهم ريموند أمير طرابلس، والأخرى وهي جماعة البلاط وأهم شخصياتها الأميرة سيبيللا أخت بلدوين وورثة العرش وزوجها جى لوزنيان المغامر الفرنسي والمملكة الأم أجنس. وكانت تلك الجماعة الأخيرة تعتمد على مجموعة من النبلاء الغربيين حديثي العهد بالأراضي المقدسة، وتكثفت هذه الجماعة من التغلب والاستئثار بالسلطة. وحيث أن وليام كان معزولاً باتصاله بريموند ومعارضته لجى لوزنيان، فلم يجد معاملة حسنة من جانب المستوليين الجدد. وهكذا فعندما مات البطريرك أمالريك في ٦ أكتوبر سنة ١١٨٠م، تخطت جماعة البلاط وليام بالرغم من كفائه المعروفة، وعينت هرقلوسوس رئيس اساقفة قيسارية في النصب الشاغر. وهكذا أغلق دون وليام باب الترقى في السلك الكنسي في المملكة. وفضلاً عن هذا فبالرغم من أنه من الناحية الرسمية كان لا يزال مستشار الملكة فإنه عومل بإهمال وأصبح لا يعرض عليه من الأمور إلا القليل النادر وفي المناسبات الضرورية. وهكذا فبعد أن كان في سنة ١١٧٨ أكثر موظفي المملكة نفوذاً فإنه يعودته إلى بلاده كاد أن يصبح مسلوب السلطة والنفوذ.

ولم يكن وليام راضياً عن أحداث المرحلة الأخيرة من حياته. ففي الوقت الذي هدد فيه الصراع الداخلي بين جماعتي البلاط والنبلاء القدامى بتصاعد

وحدة المملكة الصليبية، كان السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي يقرم ١١٧٠م قوى المسلمين وبعد عدة للمعركة الفاصلة ضد الصليبيين. ونحن لا نعرف على وجه التحديد تاريخ وفاة وليام. ويرى المؤرخ كرى Krey أنها كانت قبل شهر مايو سنة ١١٨٥م. بناء على أنه في هذا التاريخ عين نائب وليام ليخلفه كمستشار لمملكة بيت المقدس. أما رانسمان فيقول أن وليام بعد فشله في الحصول على منصب البطريرك اعتزل إلى روما سنة ١١٨٣م مات هناك قبل سنة ١١٨٧م. وعلى أية حال فقد كانت وفاة وليام في العقد التاسع من القرن الثاني عشر الميلادي، وكان ذلك قبل حدوث موقعة حطين واسترجاع المسلمين لمدينة بيت المقدس.

ومهما يكن من أمر، فإن وليام بحكم المناصب التي شغلها والاعباء التي اضطلع بها قد اتبعت له فرصة طيبة لمعرفة بواطن الأمور في المملكة الصليبية ودراسة أحوالها ومشاكلها. وقد مكنته ذلك كله من الإجابة في كتابته التاريخية. والواقع أن كتابه الذي وصل إلى أيدينا والذي اشتهر باسم «تاريخ الأعمال التي تمت في بلاد ما وراء البحر» جاء كثمرة نهائية لانتاجه التاريخي. وقد قام وليام أصلاً بوضع ثلاث كتب في التاريخ، وهي حسب الترتيب الزمني في تأليفها:

- 1) "Gesta Amalrici regis" أعمال الملك عموري
- 2) "Gesta Hierosolymitanorum regum" أعمال ملكة بيت المقدس
- 3) "Gesta orientalium principum" أعمال الأمراء الشرقيين

ورشان الكتاب الأول وهو «أعمال الملك عموري» الذي شرع في تأليفه بناء على رغبة الملك عموري، فلا ندري عما اتخذ وليام من خطوات في أول أمره ليبلغ بكتابة التاريخ. ولكن من المعروف أنه أخذ يستجوب قادة الصليبيين الذين اشتركوا في الحملة الأولى التي قام بها عموري على مصر



ويستفسرهم عما شاهدوه من أحداث. كما أن وليام اعتنى بدراسة ما سمعه  
ومحضره جيداً. وإن وزنه للأمور إذا ذكرنا بعمل القاضي الدقيق. ويغلب  
على الظن أنه كان يكتب نتائج بحثه بعد ذلك مباشرة. ومما يلاحظ في هذا  
المجال اهتمام وليام بإدراج عدد من المسائل المتعلقة بحملات عموري على  
مصر. ومن أهمها خصائص البلاد المصرية وخصال أهلها. وقد أعطى صورة  
تفصيلية للحياة في بلاط الفاطميين في القاهرة بالشكل الذي وجدها عليه  
الصلبيين. هذا ولم يفت وليام أن يوضح أهمية مركز مدينة الاسكندرية  
ونشاطها التجاري.

والظاهر أن أثناء محاولة وليام لوضع بداية تاريخ «أعمال الملك عموري»  
اتضعت له وللملك الحاجة إلى كتاب في التاريخ يوضح أحداث المرحلة السابقة  
لتاريخ مملكة بيت المقدس الصليبية. منذ أن توقف المؤرخ فولشير الشارترى  
حوالي سنة ١١٢٧م. بل أن المؤلفات التاريخية السابقة أصبحت لا تكفي  
لإشباع رغبة الصليبيين في التعرف على أحوال بلادهم حينئذ. ويبدو أن  
عموري الشغوف بقراءة التاريخ، ووليام المطلع بالكتابة عن عصر عموري،  
قد رأيا أنه من الضروري وضع كتاب آخر عن تاريخ المملكة في عهدها السابق  
بداً من آخريات القرن الحادي عشر. وشرع وليام في تصنيف هذا الكتاب الذي  
عرفه في ثنايا كتاباته باسم «تاريخ أعمال مملكة بيت المقدس». ولا بد أن  
مؤرخنا قد واجه في ذلك ما يواجه المؤرخون الذين يحاولون الكتابة عن عهود  
سابقة. فقد اضطر للاعتماد في تصنيف الجزء الأول من الكتاب على ما دونه  
المؤرخون السابقون. إلا أنه خالف غالبية مؤرخي العصور الوسطى في طريقة  
الاعتماد على المصادر السابقة. فهو لم يكتف بالاعتماد على مصدر واحد، بل  
كان يرجع عادة في معالجة الحدث الواحد إلى عدة مصادر، إن توافرت، ويقارنها  
ثم يبدى رأيه الخاص إذا اقتضى الأمر ذلك. والمعروف أنه كانت تحت تصرفه  
المصادر الخاصة بتاريخ الحقبة السابقة مثل «أعمال الفرنجة» ومؤلفات ريموند  
داجليز وولتر المستشار وفولشير الشارترى. هذا وكان وليام حريصاً بقدر

إمكانه في عدم تسهيل الروايات ذات الطابع الاسطوري أو التي تغلب عليها  
صبغة المبالغة.

ولقد أحرز وليام تقدماً في كتابة التاريخين السابقين الذكر، بالرغم من  
محملة مسئولية تربية ابن الملك. هذا وقد عهد إليه عموري عبء جديد في  
تدوين التاريخ. فإن هذا الملك أراد معركة المزيد عن تاريخ المسلمين في  
عصورهم السابقة. ولا بد أن عظمة الحضارة التي شاهدها في مصر عند قيامه  
بحملاته عليها، قد حركت في نفسه الرغبة للتعرف على المزيد. ولذا فقد حث  
وليام على أن يكتب تاريخاً عن حكام الشرق والمجازاتهم منذ عصر النبي محمد  
حتى عهد وليام. ولكي يسهل القيام بهذه المهمة أمده بعدد من الكتب العربية.  
والمرجع أن هذه الكتب كانت أصلاً من مكتبة الأمير العربي أسامة بن منقذ  
التي صادرها الملك بولدوين الثالث عندما غرقت المركب التي كانت تحملها على  
مقربة من مدينة عكا. وقد نص وليام بالذات على استعانتهم بكتاب المؤرخ  
العربي سعيد بن البطريق. وفضلاً عن ذلك فلا بد أن وليام وجد في مدينة صور  
فرصة للحصول على المزيد من أخبار المسلمين وتاريخهم. فقد وجد في هذه  
المدينة في عصر وليام مساجد هامة يؤمها المسلمون وعلمائهم. وأشار الرحالة  
ابن جبير الذي زار صور سنة ١١٨٤م وأمضى بها بعض الوقت، إلى ما لاحظته  
بها من العلاقات والتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين. وكان هذا  
التاريخ الذي وضعه وليام عن المسلمين هو الذي عرف باسم «أعمال الأمراء  
الشرقيين». إلا أن هذا الكتاب قد فقد ولم يصل إلى أيدينا.

ومهما يكن من أمر، ففي سنة ١١٨٢م، ووليام في السنوات الأخيرة من  
عمره، كان كتابه «أعمال مملكة بيت المقدس» قد أوشك على الانتهاء ليكون  
بداية لكتاب «أعمال الملك عموري». وقد قرأ وليام حينئذ أدماج الكتابين  
ليكونا كتاباً واحداً جامعاً في تاريخ مملكة بيت المقدس، وشرع في تنفيذ ذلك.  
وكان هذا الكتاب الجديد هو الذي عرفه المؤرخون فيما بعد باسم «تاريخ  
الأعمال التي تمت في بلاد ما وراء البحر». وقد تبين وليام وهو في مرحلة



تصنيف هذا الكتاب الأخير، الذي أراد أن يجعله مرجعاً للمسيحيين عامة  
للتعريف على تاريخ المملكة الصليبية، ضرورة إضافة بعض المعلومات إليه.  
ولذا تخير له بعض الأجزاء من كتاب «أعمال الأمراء الشرقيين»، كما أدرج  
شيئاً عن تاريخ بيت القدس منذ سقوطها في أيدي الفرس سنة ٦١٤م حتى  
التبشير بالحملة الصليبية الأولى لاسترجاعها في أواخر القرن الحادي عشر  
الميلادي. هذا وقد زود وليام هذا الكتاب الجديد بعدة فقرات عن المعارف  
الجغرافية والأثرية، ولا بد أنه عند قراءة بعض الموضوعات التي دونها من قبل  
قد أعاد كتابتها على ضوء معلوماته وخبرته الثامة. وفضلاً عن ذلك كله،  
فإنه دمج مقدمة قيمة لهذا الكتاب سنة ١١٨٤م. والمرجع أن هذه المقدمة كانت  
آخر ما أضافه وليام إلى كتابه الذي سجل أهم أحداث عصره حتى السنة  
المذكورة.

ونحن إذا أردنا الحكم على عمل وليام كمؤرخ، فمن أول ما يستلفت  
النظر في هذا الصدد هو هذا التقسيم الملحوظ الذي أحرز به هذا الرجل في نهج  
الكتابة التاريخية مع ممارسة هذا العمل. فمع مرور الوقت إزدادت قدرته على  
تدوير المصادر وتحييضها، كما أصبح أكثر اهتماماً بالجواهر دون التفاصيل. هذا  
وإذا كان وليام في أول الأمر لما أسك بقلمه ليكتب التاريخ، يعمل على تلبية  
رغبة مليكه عمري الذي كان يرغب في تجميع حكمه، فإنه بعد موت هذا  
الملك قد تغيرت مكانة وليام في المملكة الصليبية وتغيرت بالتالي طريقة  
معالجته التاريخية واتضح ذلك في كتاباته، وأصبح يقصد من روائها نوعاً  
من التوجيه والإرشاد في شئون الدولة، ثم أن بعد أن تغلبت جماعة  
الهلاط واستأثرت بالسلطة، وضعف على أثر ذلك نفوذ وليام، عدل مؤرخنا في  
أسلوبه في الكتابة. إذ أصبح يكتب للمسيحيين الكاثوليك عامة، يفرض  
العمل على خدمة مصالح المملكة التي ينتمي إليها إلا وهي مملكة بيت المقدس  
الصليبية، وتأمين بقائها. وقد وضع في كتابه كل ما اكتسبه من دراية وخبرة  
للافادة.

وكان وليام يعمل للمزاواة والانصاف في كتاباته وأحكامه. وصفة عامة  
نستطيع أن نقول أنه لم يخضع للتعصب العنصري أو الديني أو الطبقي على  
النحو الذي حدث لغالبية الكتاب الأوروبيين المعاصرين. وقد قام في عدة  
مواضع بامتداح أفراد من اللاتين والبيزنطيين بل كذلك المسلمين ومثال ذلك  
وصفه للملك العادل نور الدين محمد بأنه رجل حكيم لظن. فكان وليام على  
استعداد للاعتراف بميزات المسلمين وما قام به بعضهم من أعمال مجيدة كما  
أظهر وليام اهتمامه ببيان مظاهر الحياة اليومية والصناعات والعمارة والحياة  
الاجتماعية، هذا إلى جانب المسائل العسكرية والكنسية والدبلوماسية وسائر  
شئون الدولة.

ولقد تبوأ وليام بفضل كتاباته مكانة مرموقة بين المشتغلين بالأدب  
اللاتيني في العصور الوسطى، وتميز أسلوبه بالتزام الدقة في مراعاة قواعد  
النحو، كما كان يشتمع بشرة لغوية كبيرة. ويدل تاريخ وليام على إلمامه بالأدب  
الكلاسيكي وتذوق له. ويتضح هذا بشكل خاص في الأجزاء التي وضعها في  
سنواته الأخيرة. وقد اقتبس وليام في عدة مواضع من مؤلفات فيرجيل وأوفيد  
وشبشرون وغيرهم.

والمسائل الرئيسة التي تأخذها على تاريخ وليام عدم الدقة في تحديد سني  
الأحداث. حقيقة أن معظم الحوليات التي وضعت في العصور الوسطى لم تسلم  
من هذا الخطأ، إلا أنه كان على نطاق كبير نسبياً في تاريخ وليام. حقيقة أنه  
كان دقيقاً في الترتيب الزمني للأحداث المتعلقة بموضوع واحد، إلا أن مشكلته  
قامت عندما كان يكتب عن موضوعات مختلفة لا ارتباط بينها إلا التقارب  
الزمني. ولا بد أن بعض هذا الخطأ الذي وقع فيه وليام يرجع لعدم تلقيه في  
الأصل التدريب المنظم للكتابة في التاريخ. ومن أسباب ذلك أن وليام لم يعتد  
كما يبدو، تحويل التقاويم المسيحية والهجرية التي جاءت في المصادر المختلفة  
والتي رجع إليها، إلى نظام موحد. والظاهر أنه لم يتبين ضرورة التوفيق بين  
التقاويم المختلفة إلا في مرحلة متأخرة من حياته وذلك عندما أخذ يصف



تاريخه الكبير جامعاً بين كتابيه الأول والثاني وأجزاء من كتابه الثالث. وقد حاول بعض المؤرخين المحققين لوليام تبرئته من مسئولية هذا الخطأ، مثل المؤرخ ستيفنسون الذي قال أن الحساب الزمني الذي جاء في تاريخ وليام إنما كان من وضع كاتب آخر في فترة تالية. ولكن بالاطلاع على ما جاء في مقدمة هذا الكتاب التي وضعها وليام، ننبين بشكل واضح مسئولية هذا المؤرخ عن خطئه في هذا الجانب.

ومهما يكن من أمر، فإن كتاب وليام الذي اشتهر بإسم «تاريخ الأعمال التي تمت في بلاد ما وراء البحرة» يشغل مركزاً رئيساً بين المصادر اللاتينية التي وصلتنا عن تاريخ الحركة الصليبية. فهو المصدر الرئيسي عن العصر الممتد من سنة ١١٢٧ حتى سنة ١١٨٤م. كما أنه بطريقته الخاصة في معالجة تاريخ المرحلة السابقة على سنة ١١٢٧م قد أصبح ملحقاً هاماً للمصادر السابقة عليه. وللمقدمة هذا الكتاب التي وضعها وليام في أخريات أيامه، أهمية خاصة في تقديم عمله كمؤرخ. فقد ضمن في هذه المقدمة خلاصة تجربته في كتابة التاريخ ووضح وليام فيها الصعاب التي تواجه المؤرخ وجسامة المسئولية الملقاة على عاتقه. ونص على ضرورة مراعاة الدقة والأمانة المطلقة في أداء هذا العمل. وبالرغم من أسلوبه الأدبي الرفيع بالنسبة لكتاب عصره، فقد شعر وليام بحساسية شديدة وخشى ألا يكون أسلوبه متناسباً مع أهمية الموضوعات إلى البيان. وإن أسلوب المؤرخ يجب أن يكون على نفس المستوى العالي للأعمال التي يتصدى لها. هذا ويجب ألا تنزل لغة الكاتب وهمته عن أهمية موضوعه. ولذلك فإن مما نخشاه كثيراً، أن يضعف سوء المعالجة أهمية الموضوع، وقد تبدو الأعمال الهامة ذات القيمة الجوهرية غير ذات شأن وتافهة بسبب الخطأ في عرضها. وكما لاحظ الخطيب المرموق شيشيرون Cicero في الحوارات السكولي الأولى: «أن تدوين الأفكار الإنسانية دون القدرة على تسبقها وعرضها بشكل واضح، واجتذاب القارئ بأية طريقة مشوقة، فهو عمل رجل جاهل يسي إلى الأدب، ولا يحسن استغلال وقت فراغه».

ويبدو أننا وقعنا في كشابنا هذا في مخاطر وحيرة ذات جوانب متعددة لأننا أدرجنا في هذه الدراسة التي نقوم بها الآن، على ما يقتضيه تنوع الوقائع وتسلسلها، كثيراً من التفاصيل عن صفات الملوك وسيرهم واتجاهاتهم الشخصية، بغض النظر عما إذا كانت هذه الحقائق حميدة أو سريضة للتجريح. ولقد يجد المخالفون لهؤلاء الملوك، أثناء تصفحهم لهذا الكتاب، صعوبة في تقبل ما ورد به، ويفضون على المؤرخ في موضع لا يلام عليه. وسوف يعتبرونه كاذباً أو غيوراً. ولقد حاولنا تجنب التهمةين كليهما تجنب الطاعون ما دام الرب موجوداً.

وفيما عدا ذلك، فلا ريب أننا جازفنا بالقيام بعمل يفوق استعدادنا بمراحل. وكان مستحسناً أسلوبنا لا يتناسب بأي حال مع أهمية الموضوع. إلا أننا قد أنجزنا في ذلك شيئاً ما. ونحن في ذلك كالرسميين المبتدئين الذين لم يتقنوا على أسرار الفن بعد، والذين لا يسمح لهم غالباً إلا بمجرد وضع الخطوط الأولى للصورة واستعمال الألوان الأولية. ثم تضيف بعد ذلك يد رسام أكثر خبرة، لمسات الجمال الأخيرة، عن طريق استعمال ألوان أكثر رتياً. وهكذا، فقد سلكنا بدقة طريق الحق ولم نعد عنه مطلقاً. ولقد اتينا بجهود غير قليل، الأسس قد يشيد عليها رجل آخر أكثر منا علماً، بناء أدق إتقاناً بفضل براعته في عمله.

وحيال هذا العديد من التعقيدات والأخطار المخفية التي تحيط بهذه المهمة، كان من الأسلم جيداً لو التزمنا الصمت. وكان الأحرى أن أمسك لساني وأجبر قلبي على السكوت. ولكن دفعني إلى ذلك حبى الجارف لوطني. فإن المرء ذا النزعات الوطنية يضعى بحياته في سبيل وطنه حين يدعو داعى الزمن إلى ذلك. وأكرر أن الوطن استحقنى على ذلك. وبفضل ماله من سلطان، فقد قضى أن تلك الأمور التي حققها في نحو قرن من الزمان، يجب ألا تدفن بهدوء أو يسمح لها بأن تدخل في طي نسيان لا يليق بها. بل وعلى العكس، فقد أمرنى - الوطن - بالمحافظة عليها عن طريق المشاورة في استعمال قلبي، وذلك



من أجل نفع الخلف. وبناء على ذلك، فقد امتثلنا لمشيئته، ووضعنا أيدينا في  
عمل لا يليق بنا أن نرفضه. ونحن لا نأبه كثيراً بما يكون عليه نقد الخلف لنا،  
أو ما يقدرونه من حكم على أسلحتنا الضعيف في الكتابة أثناء معاجة هذا  
الموضوع الجديد. ولقد لبينا النداء حقاً، ونرجوا أن تكون ثمرة عملنا نالعة  
بقدر ما صاحبه من حساسة، كما نرجوا أن تكون جديرة بالشأن. يقدر ما كرس  
لها من جهد. فقد اجتهدنا سحر أرض وطننا فأقبلنا على هذا العمل، على ما  
في قدرتنا من نقص، وما يتطلبه العمل من جهد، وبدون الاعتماد على مساعدة  
أي متروخ نأبه.

ونفضلاً عن هذه الحوافز، فلقد أمرني بذلك الملك عمودي الأول، ذو  
الذكى المجيدة وصاحب السجل المرموق في خدمة الرب، رحم الله روحه  
القدسة. وإن هذا الأمر، مع الأسباب الهامة الأخرى، دفعني على وضع هذا  
الكتاب. كما أننا قد ألفنا كتاباً آخر في التاريخ، بناء على رغبة الملك الذي  
أمدنا بالوثائق العربية اللازمة. وكان معدونا الرئيسي في هذا المصنف كتاب  
بطريرك الاسكندرية المجلد سعيد بن البطريق. وكتابنا هذا، يبدأ من عهد النبي  
محمد رستد خلال خمسمائة وسبعين سنة حتى عامنا الحاضر وهو ١١٨٤ بعد  
ميلاد المسيح.

وعلى أية حال، فلم يتوافر لدينا أي مصدر أغريقى أو عربى للاعتماد  
عليه في مصنفنا الحالي. وباستثناء بعض الوثائق التي عاينناها بأنفسنا فقد  
اعتمدنا على الأحاديث المنقولة. واتبعنا الترتيب الزمني للأحداث. وبدأ كتابنا  
برجل هؤلاء الرجال والقادة الشجعان المقربين للرب، تلبية لندائهم، وخرجهم  
من ممالك الغرب، وانتزاعهم بأيديهم القوية أرض الميعاد ومعظم بلاد الشام.  
ومن هذه النقطة تتبعنا التاريخ بكل أمانة لمدة أكثر من أربعة وثمانين عاماً،  
حتى عهد يروالدوين الرابع، الذي يحتل المكان السابع في قائمة الملوك، إذا ما  
أدخلنا في الاعتبار اللورد جودفري، الذي بدأ الحكم هناك بلقب دوق. ولكي  
نيسر على من يريد أن يحصل على معلومات أكثر شمولاً عن حالة البلاد

الشرقية، فقد بينا في مطلع كتابنا في إيجاز، أوضاعها وهي تحت نير العبودية  
وما تحملته من آلام مبرحة. ووصفنا كذلك أحوال المؤمنين - المسيحيين -  
الذين أقاموا في هذا الحين بين الكفرة أي المسلمين في هذه البلاد، كما ما  
حدث عقب ذلك. فبعد تلك المرحلة الطويلة من العبودية أيقظت هذه الأوضاع  
أمراء ممالك الغرب ليططلعوا بمهمة الحج بغرض تحرير أخوتهم.

وإذا كان للقارة أن يقدر ما ألقى على عاتقنا من أعباء، لتبين له أننا  
ننوء بالمسؤوليات العديدة. فأولاً علينا مسؤولية كبيرة مثلة في مهام كنيستنا  
صور الشهيرة القائمة تحت رعاية الرب، والتي وقع الاختيار علينا لرئاستها،  
بنعمة الرب، لا بفضل جدارتنا. وعلينا ثانياً عبء - حسب مولانا الملك الذي  
نشغل في قصره المقدس منصب المستشار. وهناك كذلك مشاكل أخرى عاجلة  
تظهر من وقت إلى آخر وتتطلب منا الاهتمام. وإذا ما كانت هذه الحقائق موضع  
اعتبار، فيجدر بالقارئ، بل وبعق له، أن يكون أكثر ميلاً للتسامح معنا إذا  
ما وجد في هذا الكتاب ما يزاخذنا عليه. فإن المرء عندما يكون منشغلاً بمئات  
كثيرة متباينة، يشعر على ذهنه أن يواجه كلا منها ويسعى الفكر فيها بنفس  
القوة والاهتمام. ومن المحال أن يكرس المرء جهداً كبيراً لكل موضوع حين  
يكون الاهتمام مشتتاً على هذا النحو. هذا غير الحال التي يكون فيها النشاط  
الفكري مخصصاً كلياً لأمر واحد. وفي مثل هذه الظروف، لا يكون كثيراً على  
المرء أن يكون متسامحاً.

ولقد قسمنا المصنف إلى ثلاثة وعشرين كتاباً، وكلا من هذه الكتب إلى  
عدد معين من الفصول حتى يسهل على القارئ الحصول على ما يبحث عنه في  
أجزائه المختلفة. وفي عزمنا، إذا قدر الرب لنا البقاء، أن نضيف من وقت  
لآخر، إلى ما كتب من قبل، الأحداث المعاصرة التي قد تبرز أهميتها تطورات  
المستقبل. وسوف نزيد كذلك في عدد الكتب بحكم ما قد يقتضيه حجم مادة  
الموضوع.



وتعتقد، ونحن غير مخطئين في اعتقادنا، أن هذا الكتاب، يشهد على عدم خبرتنا. فإننا عند تدوينه، رغبة في اطاعة ما قلبه العاطفة، أظهرنا من النقص ما كان من المحتمل أن يبقى خائفاً، لو أننا التزمنا الصمت. ومهما يكن من أمر، فإننا نؤثر أن نبدوا مفتقرين إلى ما يجلب الاطراء بدل أن نقصر في خدمة العلم. وأن كثيرين ممن يأتون إلى العرس، دون أن يتحلوا بالصفة الأولى، يعتبرون أهلاً للجلوس إلى مائدة الملك. ولكن أولئك الذين يحضرون بين الضيوف دون أن تتوافر لهم الصفة الأخرى، فإن عليهم أن يسمعوا الكلمات الآتية: «كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس» ولعل الرب القادر وحده على أن يمنع ذلك برحمته الكريمة، يحول دون وقوعنا في هذا المصير.

ومهما يكن من أمر، فنحن ندرك جيداً أن الخطأ قرين دائماً للضرورة الاطئاب، وأن لسان العيد المسكين الفاني يكتبه في الذنب. وعلى ذلك، فإننا بروح المحبة الأخوية، ندعو قارئ كتابنا ونستحشده برسم المسيح، أنه إذا وجد نقطة جذيرة بالنقد، ألا يتردد في نقدها ولكن برحمة حقيقية. فهو بتصحيح خطيتنا سوف ينال لنفسه ثواب حياة خالدة.

ولعل - القارئ - يذكرنا في صلواته، وبذلك يحقق لنا شفاعة عند المسيح، حتى أننا كلما وقعنا في خطأ في هذا الكتاب لم يوردنا ذلك مورد الهلاك. ولعل مخلص العالم - المسيح - بفضل إحسانه الوفي، ورحمته التي لا تغفل، يغفر لنا بكرمه. فإننا كخدام بائس وغير ذي نفع في بيته نشعر بالحاح ضميرنا في لومنا، ونحن معقون في الحرف من حساب الرب.

وفيما يتعلق بمؤرخي الحملة الصليبية الثانية فنجد، على العكس، كتاباً عن الحملة الأولى، ألا يوجد مصدر واحد كامل عن الحملة الثانية من بين المصادر الغربية أو البيزنطية أو غيرها، ولتبدأ ببعض الخطابات التي تخص هذه الحملة.

والخطاب الأول يتعلق بالبابا يوجين الثالث ودعوته إلى الحملة، والخطاب المؤرخ في الأول من ديسمبر عام ١١٤٥م، وبعد الديباجة ذكر البابا أن كنيسة روما قد لعبت دوراً كبيراً في تحرير الكنيسة الشرقية، ولقد لمح الرثييون (أى المسلمون) في الاستيلاء على مدينة الرها بقوة السلاح وأن رجال الدين الصليبيين قد ذهبوا، وأن المخطفات المقدسة قد طأتها أقدام الكفرة (المسلمين)، لذلك يدعو البابا إلى حملة صليبية ثم قدم الامتيازات للصليبيين مثلما قدمت في الحملة الأولى.

أما الخطاب الثاني حسب الترتيب الزمني فهناك خطاب موجه إلى الملك كونراد الثالث ملك ألمانيا مؤرخ في مارس عام ١١٤٧م. وفيه يخبر البابا أنه اتخذ عدته ورتب أمور دولته للذهاب إلى الأراضي المقدسة لقتال المسلمين.

والخطاب الثالث مؤرخ في يناير أو فبراير عام ١١٤٨م، وهذا الخطاب موجه من الملك كونراد إلى ويبالد رئيس دير كورفي Wibald of Korvey. وفي هذا الخطاب يخبر الملك رئيس الدير ويبالد بأنه وصل بالقوات الألمانية إلى مدينة نيقية بسلام، وأنه تقدم إلى مدينة قونية (عاصمة سلطنة سلاجقة الروم) وأنه في الطريق المباشر ومعه بعض المرشدين البيزنطيين ليدلوه على الطريق، وأنه حمل معه كثيراً من الإمدادات التي يمكن حملها. وأن المؤن بدأت في النفاذ بعد عشرة أيام خاصة مؤن الدراب، ثم هجوم الأتراك السلاجقة على القوات الألمانية خاصة قوات المشاة، وتحت وطأة الضربات ارتد الجيش الألماني إلى بحر مرصرة، ووصول الجيش الفرنسي بقيادة ملك فرنسا لويس السابع وزيارته للملك كونراد في خيمته، وإمداد الملك لويس للقوات الألمانية بالمال وما



يحتاجونه ، وتقدم القوات الفرنسية ومعظم القوات الألمانية عدا الملك كونراد إلى مدينة إفسوس ، وعندما علم الإمبراطور البيزنطي (البيزنطي) بما حدث للقوات الألمانية سارع إليها وقدم لها العون ، وأخيراً رحل القوات الألمانية إلى القدس في السابع من مارس عام ١١٤٨ م. ورغم أن هذا الخطاب مختصر للغاية فإن فيه الرد الكافي على مزاعم المصادر الصليبية بأن الإمبراطور البيزنطي مانويل كان السبب في هزيمة القوات الصليبية في آسيا الصغرى.

والخطاب الرابع موجه من الملك الفرنسي لويس إلى سوجر Suger رئيس دير القديس دنيس St. Denis والوصي على المملكة الفرنسية. وهذا الخطاب موزع في مارس أو أبريل ١١٤٨ م من مدينة أنطاكية. والخطاب عبارة عن موجز لخط سير الحملة الفرنسية منذ رحيلها من فرنسا ووصولها إلى القسطنطينية ، ثم تقدمها عبر البسفور إلى آسيا الصغرى ووصولها عبر هذه الأراضي ، والمعاناة التي لقيها الجيش الفرنسي بسبب خيانة الإمبراطور البيزنطي أو أخطاء داخل صفوف الحملة ، وتعثر الحصول على الإمدادات وموت بعض القادة الفرنسيين في تلك المرحلة ، ومهاجمة الأتراك السلاجقة للقوات الفرنسية. حتى وصلت إلى مدينة أخاليا ، ونظراً لهلاك معظم الحبوب من الجوع أو قسرة الطريق ، فقد أبحر الملك الفرنسي وحاشيته بالسفن إلى أنطاكية في العاشر من مارس عام ١١٤٨ م.

أما الخطاب الخامس موجه من الملك الألماني كونراد إلى ديهالد يخبره فيه أنه بعد العودة إلى أرض الوطن بعد انتهاء أعمال الحملة ، وستكون العودة في الثامن من سبتمبر عام ١١٤٨ م. وفي هذا الخطاب يتكلم كونراد عن حصار القوات الصليبية لمدينة دمشق وأنها كانت على وشك الاستيلاء على المدينة ، وبخيانة بعض الصليبيين المحليين تحركنا من مواقعنا إلى مواقع أخرى حيث لا يوجد ماء ، ولا يمكن الوصول منه إلى المدينة ، ولذلك تراجعنا عن مهاجمة المدينة ومن ثم فشل الحملة ، وترجع قوات الحملة لمهاجمة مدينة عسقلان وقد

ظلت طوال ثمانية أيام ولكنها لم تقابل القوات الإسلامية وعدها إلى لواعدها ، وأنها سوف تعود إلى أوروبا.

وفيما يتعلق بالخطاب السادس فقد كتبه بطرس آل كلوني Peter of Cluny إلى روجر الثاني Roger II ملك صقلية ١١٢٩ - ١١٥٤ م يطلب منه بطرس أن يتوسط بينه وبين الملك كونراد الثالث لمهاجمة الإمبراطورية البيزنطية عقاباً لها على خيانتها لقوات الحملة الثانية. وهذا الخطاب موقع في حوالي عام ١١٥٠ م. وأن الحل الوحيد للقضاء على قوة المسلمين هو السيطرة على الإمبراطورية البيزنطية ، كما تكلم عن الخيانة البيزنطية للقوات الصليبية النعيسة.

#### - حولية فرنزبورج :

يضاف إلى هذه الخطابات ما ورد في حولية فرنزبورج Würzburg Annals ، وما ورد في هذه الحولية هو موجز للغاية ، فقد ورد فيها الغرض من الحملة ودور الكنيسة في هذه الحملة وأن كاتب الحولية عرف من مصادره الخاصة أن البابا أوعز إلى برنارد رئيس دير كليرفو Abbot Bernard of Clairvaux أن يكتب إلى الملك الألماني والملك الفرنسي وملك إنجلترا وإلى كل الملوك يحثهم على الاستعداد للحملة. وفي هذه الحولية يسجل كاتبها خيبة أمله لفشل الحملة.

#### - أودو أف ديل :

وقد صاحب الحملة الثانية إثنان من المؤرخين ، الأول هو المؤرخ الألماني أوتو أف فرايزنج الذي صاحب القوات الألمانية ، وللأسف أن هذا المؤرخ قد ذكر صراحة في كتابه أعمال الإمبراطور فريدريك بارباروسا السابق الإشارة إليه أنه سوف لا يكتب عن هذه الحملة باعتبارها حملة فاشلة.

أما المؤرخ الثاني فهو المؤرخ الفرنسي أودو أف ديل Odo of Deuil



الذي كتب عن الحملة الثانية في كتابه «حملة لويس السابع في الشرق، De Profection Ludovice in Orientem»، وتاريخ ميلاد هذا المؤرخ ليس معروفاً لدينا، ولكن ما هو واضح أمامنا أنه دخل في السلك الكنسي منذ بداية حياته حتى أصبح راهباً في دير القديس دنيس بالقرب من باريس، وقد عيّن هذا المؤرخ واعظاً للقوات الفرنسية في الحملة الصليبية الثانية. كما صاحب لويس في حملته وعاد إلى بلاده في عام ١١٤٩م أي بعد نهاية الحملة ثم ما لبث أن عيّن رئيساً لدير القديس دنيس في عام ١١٥٢م وظل في منصبه هذا بقية حياته.

وقد كتب أودو عن الحملة الفرنسية منذ أن كانت فكرة واجتماع فيزلاي Vezelay في أواخر مارس عام ١١٤٦م والدعوة إليها وإعداد القوات الفرنسية ومسيرتها من فرنسا في طريقها إلى آسيا الصغرى، وانتهى عند المرحلة التي وصلت فيها القوات الفرنسية ويقايا القوات الألمانية إلى مدينة أضايا الواقعة في الطرف الجنوبي الشرقي على ساحل البحر المتوسط وتبة الملك لويس الذهاب إلى مدينة أنطاكية الصليبية في بلاد الشام، كما تناول جانباً من الأحداث التي لحقت بالجيش الألماني تحت قيادة الملك كونراد. وما بلغت النظر أن المؤرخ كتب في تاريخه جملة عن حصار دمشق، وهذا ما يجعلنا نشك أن المؤرخ قد أكمل تاريخ الحملة خاصة أن الحملة قد جات لاتخاذ الرها وليس لمهاجمة دمشق، وأن حصار المدينة لم يقرر إلا بعد إنعقاد مجلس الحرب الذي عقده الصليبيون في عكا بعد وصول لويس وكونراد إلى بلاد الشام في الرابع والعشرين من يونيو عام ١١٤٨م، مع ملاحظة أن الملك كونراد غادر القسطنطينية في مارس عام ١١٤٨م. ولعل ما كتبه المؤرخ عن بقية أحداث الحملة قد فقد، أو أن أحد النسخ قد أضاف هذه العبارة إلى النص الأصلي.

والواقع أن ما قدمه المؤرخ من مادة تاريخية عن الحملة وكذلك علاقاتها بالإمبراطورية البيزنطية يعتبر في غاية الأهمية، وهو ما لا نشاهده في أي مصدر آخر، كما أمدنا المؤرخ ببعض العلاقات البيزنطية السلجوقية قبل وصول

الحملة إلى آسيا الصغرى. وأهم ما قدمه لنا في هذا الجانب أخبار الهدنة السلجوقية البيزنطية، وقد أشار إليها المؤرخ بأن مدتها كانت إثنتي عشر عاماً، كما أمدنا أيضاً بموقف روجر الثاني ملك صقلية وعن حملته البحرية ومهاجمته جزيرة كورفو Corfu البيزنطية. ومن الملاحظ على المؤرخ عداءه الشديد للبيزنطيين بعامة والإمبراطور مانويل بخاصة لدرجة أنه لم يذكر في مؤلفه اسم الإمبراطور مانويل وأنه أشار إليه بعبارة إمبراطور اليونانيين أو عبارة إمبراطور القسطنطينية أو اكتفى بكلمة الإمبراطور. ورغم ذلك كله فقد أشار المؤرخ إلى الخدمات التي قدمها الإمبراطور مانويل والنصائح التي قدمها إلى كل من كونراد ولويس قبل عبورهما وقراءتهما إلى آسيا الصغرى حتى تنفادى القوات الصليبية الهجمات السلجوقية وهو : طريقها إلى آسيا الصغرى.

وعلى أية حال فإن ما يعرضنا بعض الشيء عن ندرة مصادر الحملة الثانية بعض ما أورده المؤرخ الشهير وليم الصوري، ولعل أهم ما قدمه لنا أثناء مرور الحملة آسيا الصغرى المعاناة التي لقيتها القوات الصليبية وخداع المرشدين البيزنطيين لهذه القوات وهروبهم في آخر الأمر. كما أن المؤرخ وليم الصوري قد قدم لنا أيضاً الأحداث المتعلقة بالحملة منذ دخولها إلى بلاد الشام ومجلس الحرب ومهاجمة دمشق وعسقلان والعلاقات بين قوات الحملة الثانية والقوات الصليبية المحلية. وبالإضافة إلى ذلك فهناك المؤرخون البيزنطيون والأرمن والسريان خاصة المؤرخ السرياني المجهول وهو ما سيرد ذكره في الموضع المناسب لهذا الكتاب.

#### خطاب إيمري أف ليموج:

وبعد الحملة الصليبية الثانية بظل المؤرخ وليم الصوري هو المصدر الرئيسي حتى عام ١١٨٤م، وتوجد بعض الخطابات في هذه الفترة الزمنية لعل أهمها الخطاب الذي أرسله إيمري أف ليموج Aimery of Limoges بطريرك



أنطاكية (١١٤٠ - ١١٩٢ م)، ويرجع هذا الخطاب إلى الانتصار الكبير الذي أحرزه نور الدين زنكي على القوات الصليبية في أنطاكية وطرابلس والقوات الأرمينية والبيزنطية الموالية للصليبيين وأسر بعض الأمراء في المعركة المعروفة باسم معركة حارم عام ١١٦٤ م. وفي هذا الخطاب الصادر في العام نفسه بعد المعركة يستصرخ البطريرك الملك لويس السابع ملك فرنسا الموجه إليه الخطاب. وموجز هذا الخطاب أن سقوط مدينة الرها في عام ١١٤٤ م يعتبر بداية النهاية للإمارات الصليبية، وأن الحملة الصليبية الثانية فشلت تماماً في تقديم أي نجدة عسكرية أو القيام بأي عمل عسكري ضد المسلمين، وأن الإمارات الصليبية أصبحت في حالة من الضعف الشديد، وأنه لا توجد قوات صليبية كافية لحماية الأراضي الصليبية حتى اضطر رجال الدين إلى حمل السلاح أمام هجمات نور الدين على مدينة حارم طوال الليل والنهار. ويعتبر هذا الخطاب صرخة استغاثة إلى الملك الفرنسي لنجدة الإمارات الصليبية، وأن الأمل أصبح معقوداً عليه أكثر من أي ملك من ملوك أوروبا. وقد لفت نظري هذا الخطاب وقمت بدراسته دراسة مثالية وقدمت عنه بحثاً في مؤنر الصليبيون والشرق الذي أقامته الجمعية التاريخية اللبنانية في بيروت من الثاني إلى الرابع من ديسمبر عام ١٩٩٩ م.

وهناك خطاب آخر في غاية الأهمية، وهذا الخطاب ليس له مرسل محدد وأنه صادر من الشرق إلى مقدم طائفة الاستبارية في إيطاليا ومؤرخ بعام ١١٨٧ م. ومن الأحداث المسجلة في هذا الخطاب يتضح منه أنه استغاثة صادرة من الصليبيين في الشرق بعد انتصار صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين في معركة حطين وقبيل استرداد صلاح الدين لمدينة بيت المقدس.

وفي هذا الخطاب وردت بعض الأحداث التاريخية وأوردها حسب ورودها في الخطاب بنهاية من أحداث صليبية وطبرية ودور ملك مملكة بيت المقدس والأمراء الصليبيين خاصة أمير طرابلس وفرسان الدارية والقتال الضاري الذي وقع بين المسلمين والصليبيين، وأن صلاح الدين أرسل تقي الدين رمعه عشرين

ألفاً من خيرة القوات الإسلامية، كما أن القوات الإسلامية كانت تنشئ رءوس الأرض. كما ورد في الخطاب سقوط بعض المدن في يد صلاح الدين مثل صفرة وجبل الطور وعكا وبيانا والرملة ونابلس وغزة. ولكن هناك بعض المدن التي لم تسقط بعد وهي في انتظار النجدة الأوروبية مثل القدس وعسقلان. ومن ذلك يتضح أن الخطاب مؤرخ قبيل سقوط مدينة القدس في العشرين من أكتوبر عام ١١٨٧ م.

ومن المصادر المتعلقة بالحملة الصليبية الثالثة المرسوم الذي أصدره الملك الإنجليزي هنري الثاني، وهذا المرسوم يعرف باسم عشرين صلاح الدين، وفي هذا المرسوم قرر الملك أن على كل فرد أن يدفع عن طيب خاطر عشرين دخله وما يساوي عشرين قبعة الممتلكات المنقولة من أجل العمل على استعادة مدينة بيت المقدس، وقد شكلت لجان لهذا الغرض في كل أبرشية لجمع هذه الأموال، ويعنى من دفع هذه القبضة رجال الدين والفرسان الذين يتقدموا لصفوف الحملة. والحقيقة أنه يوجد العديد من الخطابات حول الحملة الثالثة صادرة من شخصيات صليبية في بلاد الشام ومن بعض حكام أوروبا بالإضافة إلى البابا، وعلى الباحث أن يتعامل مع هذه الخطابات باعتبارها مصدراً من مصادر الحملة الثالثة.

وإذا كنا ذكرنا أن وليم الصوري هو عمدة مؤرخي الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي وربما بعد ذلك، فإن هناك كتاب ظهر حديثاً عرف باسم ذيل أو تنميه أو تكملة وليم الصوري، وهذا الكتاب كتبه مؤرخ مجهول أيا به إكمال كتاب وليم الصوري، وقد اصطلح المؤرخون على تسمية هذا التكملة باسم الحملة الصليبية الثالثة. ويحتوي هذا الذيل على أحداث الفترة من ١١٨٤ - ١١٩٧ م. والواقع أن هذا الكتاب ليس له سوى مخطوط واحد موجود في مكتبة بلدية مدينة ليون الفرنسية. وقد نشر هذا الذيل لأول مرة في

عام ١٩٨٢ م تحت اسم: Margaret Ruth Morgan (ed.)

La Continuation de Guillaume of Tyre, 1184- 1197, Paris 1982.



والحقيقة كما ذكرت أن وليم الصوري باعتباره عمدة مؤرخي الحروب الصليبية وأن كتابه يحتوي على مادة تاريخية تشمل فترة زمنية كبيرة بالنسبة للمصادر الصليبية الأخرى، إعتبر مثلاً يحتذى به وسار على نهجه من كتب بعده إلى حد كبير سراء. أكان مؤرخاً مجهولاً أو معلوماً.

وهذا الذيل يتضمن مائة وثمانية وثمانون موضوعاً يبدأ بالحديث عن الملك بلدوين الرابع وانتهى بموت الإمبراطور الألماني هنري السادس ورحيل قوات الحملة الصليبية الألمانية عن بلاد الشام في عام ١١٩٧م.

وقد تناولت بقية فصول الكتاب أحداثاً في غاية الأهمية تتعلق بالصراع الإسلامي الصليبي وإن كانت بعض الموضوعات الخارجة عن هذا الصراع مثل اغتيال توماس يكت رئيس أساقفة كانتربري في إنجلترا عام ١١٧٠م.

ولا يتسع المجال هنا للحديث عن كافة الموضوعات ولكنه يمكن القول أنها تناولت بعض الأحوال الداخلية للصليبيين، ثم استتعار صلاح الدين للقوات الإسلامية واضطراب المعسكر الصليبي ومعركة حطين وسقوط بعض مدن الساحل الصليبية في يد المسلمين واستيصال مدينة صور، واسترداد صلاح الدين لبيت المقدس ورحمة صلاح الدين بالنساء الصليبيات، وقدم الإمبراطور فريدريك برايمر الأراضي البيزنطية إلى آسيا الصغرى ثم غرقه، وصدى استرداد القدس عند الغرب الأوربي، والإرهاصات التي سبقت قيام الحملة الصليبية الثالثة بقيادة ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وفيليب أوغسطس ملك فرنسا، وكيف تعامل ريتشارد مع حاكم جزيرة قبرص، وسقوط مدينة عكا في يد قوات الحملة الثالثة، ومصر كونراد دي مونتفرات على يد الحشيشية، والمعارك الحربية ضد صلاح الدين، وعودة ليليب أوغسطس إلى بلاده وتوتر العلاقات بين الملك الإنجليزي والفرنسي، وجانباً من مقارنات الملك ريتشارد مع صلاح الدين، وعودة ريتشارد إلى بلاده بعد توقيع الهدنة مع صلاح الدين، وولوعه في الأمر، وأخيراً بعض الأحداث التي وقعت في بلاد الشام بين المسلمين والصليبيين، واسترداد المسلمين لمدينة باقا، والحملة الألمانية.

وتبيل أن أختتم الحديث عن هذا الكتاب أود أن أتوجه بهذين الشكر والتقدير وأقر بالعرفان بالجهد للعالم الكبير المرحوم الأستاذ الدكتور حسن حبشي أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة عين شمس على الجهد الكبير الذي بذله في ترجمة هذا المصدر الهام إلى اللغة العربية والذي صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في عام ٢٠٠٢م في السلسلة القيمة لتاريخ المصريين التي يشرف برئاسة مجلس إدارتها الأستاذ الدكتور سمير سرحان، ورواية تحرير الأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان، وإدارة تحرير الأستاذ محمود الجزار.

- إرنول :

وهو أكتب هذا الذيل ذيلان آخران، أولهما يمتد من حيث انتهى وليم الصوري في عام ١١٨٤م حتى عام ١١٩٨م وهو فيما يبدو التاريخ المفقود الذي ألفه إرنول Ernoul أو برنارد متولي الخزائن Bernad The Treasurer الذي ينتهي عند عام ١٢٢٩م.

أما المصدر الثاني أو الذيل الثاني فهو تاريخ هرقل Estoire d'Eracles، وهناك نسخ لهذا المخطوط تتفق مع تاريخ إرنول ولكن هناك نسخ أخرى تنتهي عند ١٢٤٨، وأخرى حتى عام ١٢٦٦ وثالثة حتى عام ١٢٧٥م، والأخيرة حتى عام ١٢٧٧م.

وقد تكلم إرنول في بداية كتابه عن موت الملك جودفري أول حاكم لمملكة بيت المقدس وحكم خليفته بلدوين الأول ثم بلدوين الثاني، وعن النابوة في عام ١١١٨م وموت بلدوين الثاني (١١٣١-١١٤٤م)، ثم حكم فولك ألف الحجو ١١٤٤-١١٦٢م، وتولية عموري الأول ومحاولاته غزو مصر وعلاقاته مع بيزنطة والحملة الصليبية البيزنطية على دمياط، وفيليب كونت فلاندرز وصلاح الدين الأيوبي وريثه دي شاتيو (أرناط) أمير الكرك، كما تكلم عن بلدوين الرابع ١١٧٣-١١٨٥م، وجاي لوزيان ١١٨٦-



١١٩٢م. وحالة الصليبيين في الشرق، وقد ورد كل ذلك في أشارت تكاد موجزة.

كما تكلم إرنول بتوسع عن الأحداث المتعلقة بمقدمات معركة حطين والمركة نفسها وأسر الملك جاي لوزتان ومصرع أرناط وحصار مدينة القدس واسترداد صلاح الدين للمدينة، وإطلاق سراح الملك، وعن كونراد أف مونتفرات واستيصاله في مدينة صور، وقد ورد ذلك بتوسع شديد وملاً حوالي مائة صفحة من الكتاب.

وأورد المؤرخ استعداد ملكي فرنسا فيليب أرغسطس، وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا للحملة الصليبية الثالثة وبقية أحداث الحملة في ايجاز، كما كتب عن جزيرة قبرص بين الداية وجاي لوزتان وهنري كونت شامباني بملكة بيت المقدس ١١٩٢ - ١١٩٧م، وبعض المعلومات عن فريدريك وأسر ريتشارد قلب الأسد عند عودته إلى بلاده من بلاد الشام، ومقدمات الحملة الصليبية الرابعة وأحداثها. والاستعداد للحملة الصليبية الخامسة، والحديث عن المعظم ملك دمشق، وأحداث الحملة ذاتها في ايجاز وهزيمتها ورحيلها.

وفي الجزء الأخير تحدث عن رحيل الملك الصليبي جان دي برين ومقابله للإمبراطور فريدريك وزواجه من ابنة الملك الصليبي، ثم بعض أحداث الحملة السادسة والحلال بين الكامل ملك مصر وأخيه المعظم ملك دمشق، وقرار الحرمان الذي أصدره البابا ضد الإمبراطور، والمفاوضات بين الملك الكامل والإمبراطور فريدريك واستلامه لمدينة القدس، وأخيراً تكلم عن أحوال اللاتين في القسطنطينية وزواج جان دي برين من ماريا ورثت العرش، حتى أصبح قسماً للإمبراطور اللاتيني بلدوين الثاني ١٢٢٨ - ١٢٦١.

### - تاريخ هرقل -

وإذا كان تاريخ هرقل يتطابق إلى حد كبير مع تاريخ إرنول فلا داعي للبداية من تاريخ هرقل بل من الأفضل ولعدم التكرار يحسن أن نبدأ من حوالي ما انتهى إرنول.

وعلى هذا الأساس نبدأ بأحداث عام ١٢٢٩م حيث كتب هرقل عن ادعاء البس Alice ملكة قبرص لعرش مملكة بيت المقدس، وبعض الأحداث المتعلقة بحصار الصليبيين لمدينة كيرينيا Kyrenia في قبرص في عام ١٢٣٣ وقد توسع المؤرخ فيها، وتحدث عن زواج إيزابيلا الابنة الكبرى للملك القبرص هنري بن برنار إيلين، وأحداث عن يوهنن الرابع (١١٣٠ - ١١٤١م) أمير أنطاكية وطرابلس ويوهنن الخامس، وقيام جيش إسلامي من حلب بحصار قلعة بخراس Baghras في عام ١٢٣٧م، وحملة تيبالد كونت شامباني Tibald of Champagne، وحملة ريتشارد أف كورنويل Richard of Cornwall في عام ١٢٤٠ - ١٢٤١م، وبعض المشاكل الداخلية للصليبيين، والحوارضية والأراضي المقدسة واسترداد القدس عام ١٢٤٤م، والحرب عند مدينة عسقلان عام ١٢٤٧م.

يضاف إلى ذلك أن المؤرخ كتب جانباً عن حملة لويس التاسع وهي المعروفة بالحملة السابعة وقشل هذه الحملة، وسجل الحروب التي دارت بين الجيوش والبنادقة حول عكا في عام ١٢٥٦م وهي المعروفة بحرب القديس سابا St. Sabas، وتحالف النارية والاستبارية في عام ١٢٦٤م لمهاجمة مدينة بيسان، وهجوم الظاهر بيبرس على قسطنطينية الأرمنية في عام ١٢٦٦م، وسقوط أنطاكية في عام ١٢٦٨م، وحملة ولدي ملك أراجون جيمس الأول في عام ١٢٦٩م على بلاد الشام، وأشارات إلى حملة لويس التاسع على تونس عام ١٢٧٠م.



كما كتب عن هجمات مغولية على شمال الشام، وسقوط حصن الأكراد في يد المسلمين عام ١٢٧١م، ووصول حملة الأمير الإنجليزي إدوارد إلى بلاد الشام في العام نفسه، وبعض الأعمال العسكرية للملك هيو حاكم قبرص وتراجعها إلى بلاده في عام ١٢٧٦م، وبيع ماريا الأنطاكية حقوقها إلى شارل أن أنجو Chales of Anjou ملك صقلية وجنوب إيطاليا، وأخيراً صراع برهمنند السابع أمير طرابلس ١٢٧٥-١٢٨٧م مع الداوية وهزيمة برهمنند. ويلاحظ أنه يوجد مجموعة أخرى من المصادر الصليبية تعاصر هذه الفترة يجب التعامل معها طبقاً للمنهج التاريخي للوصول إلى الحقيقة أو أقرب ما يكون منها.

#### - روتلان:

وهناك تكملة أخرى للمؤرخ ولبن الصوري لمؤرخ مجهول وينسب إلى اسم روتلان Rotehlin وهو يسجل الأحداث من عام ١٢٢٩م حتى عام ١٢٦١م، ويرى البعض أن الكاتب الأصلي لهذه الحولية هو شخصية أوروبية وليست صليبية عاشت في القرن السابع عشر الميلادي، وأن روتلان هذا قام بجمع بعض الكتابات لمؤرخين مجهولين ظهرت في الصورة المعروفة لدينا باسم روتلان. وأود هنا أن أشير إلى الجهد الكبير الذي بذله الأستاذ الدكتور أسامة زكي أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة طنطا الذي ترجم هذا الكتاب من اللغة الفرنسية القديمة إلى اللغة العربية في عام ١٩٨٩م وعلق عليه وقدم عنه دراسة تحليلية عامة وأعاد ترتيب أحداثه.

وقد ورد في بداية تاريخ روتلان بعض الأحداث الموجهة جداً عن المسلمين وعن حملة الإمبراطور فريديك الثاني، لذلك سوف أبدأ بعد هذه الأحداث حيث ذكر المؤلف بعض أحداث حملتي تيبالد كونت شامباني وريتشارد كورنويل في عام ١١٢٩م وبعض عملياتها العسكرية خاصة حول مدينة عسقلان ثم تراجع الصليبيين إلى عكا، وأخيراً عقد الصلح مع المسلمين، وقد توسع المؤرخ في هذا الجانب.

كما تكلم المؤرخ عن المغول والحدارزمية في أحداث عام ١٢٤٤م، وكيف انهزمت القوات الصليبية واسترداد المسلمين لمدينة القدس، وقيام لويس التاسع ملك فرنسا بحملته المعروفة بالسابعة على مصر في عام ١٢٤٨م، وسقوط مدينة دمياط في يد القوات الصليبية، واتصالات الملك لويس بحكام المغول، وكيف هزمت الحملة السابعة عند المنصورة ووقع الملك لويس في أسر المسلمين، والهدنة التي وقعها الملك مع سلطان مصر، وخروج الحملة من مصر متوجهة إلى عكا.

كما سجل بعض الأحداث عن أعمال لويس في بلاد الشام، وإطلاق سراح بعض الأسرى الصليبيين، وبعض الأحداث المتعلقة بالصراع الداخلي بين حكام مصر وأمراء الشام المسلمين، والهدنة التي وقعت بين الملك لويس وسلطان حلب، وتخوف سلطان مصر من ذلك وعودة لويس إلى فرنسا وعدم تنفيذ الهدنة، ثم قيام مصر والشام بعقد الهدنة مع الصليبيين بعد سماع أخبار الزحف المغولي إلى البلاد الإسلامية.

وسجل المؤرخ بعض الأحداث التي وقعت في عامي ١٢٥٦ - ١٢٥٧م بين البنادقة والبيازنة من جانب والجنوبية من جانب آخر وموقف أمير أنطاكية الصليبي من ذلك، وبعض الاشتباكات بين الصليبيين والمغول بعد دخولهم بغداد وتوجههم إلى بلاد الشام، وهزيمة المغول في معركة عين جالوت ١٢٦٠م، وانتهى الكتاب بذكر مقتل السلطان قطز.

#### - أمبرواز:

ومن مصادر الحملة الثالثة ما كتبه الشاعر التورمانيدي أمبرواز Ambroise، وهذا الكتاب عرف في بداية الأمر باسم تاريخ الحرب المقدسة L'Estoire la de Guerre Saint، وهو يصف في أدبيات شعرية في مذكرات يرمية مفامرات ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا في الحملة الصليبية الثالثة. وقد عرف هذا العمل للمؤرخين عن طريق مخطوط وحيد موجود بالفاتيكان.



وقد رافق أميرواز الملك الإنجليزي، ولم يكن معارياً في صفوف الحملة أو مشوياً في بلاط الملك.

لقد تكلم كشاهد عيان عن الأحداث التي قام بها الملك الإنجليزي في صقلية أثناء قدومه إلى بلاد الشام، وحصار مدينة عكا وسقوطها. ومن الملاحظ أن أميرواز لم يكمل هذا العمل التاريخي قبل عام ١١٩٥م وقد يلاحظ ذلك من الملاحظات التي سجلها عن رحلته، ولكنه سجل ما شاهدته وسمعه بكل وضوح بلفت النظر. لقد أظهر عداًه للمسلمين والفرنسيين وكل ما هو معاد للملك الإنجليزي. كما أنه اعتبر كاتباً لسيرة ذاتية للملك الإنجليزي أكثر منه مؤرخاً للحملة. ورغم هذا فإنه يعتبر المؤلف الرئيسي للأحداث الواقعة بين أعوام ١١٩٠ - ١١٩٢م في الأراضي المقدسة.

- ريتشارد أف ديفيزس:

يعتبر ريتشارد أف ديفيزس Richard of Devizes من مؤرخي الحملة الصليبية الثالثة، ولا يعرف شيئاً عن هذا المؤرخ سوى ما أبلغنا به في مقدمة كتابه. ومن ذلك يظهر أنه كان راهباً في شبابه في دير القديس سويثين St. Swithin في مدينة ونشستر Winchester. ويعتبر كتابه عن الحملة الصليبية الثالثة التي اشترك فيها ريتشارد قلب الأسد عظيم القبة خاصة ما رواه عن أحداث في الأراضي المقدسة. والحولية صغيرة إلى حد ما فهي تقع في حوالي ستين صفحة وتضم تسعة وتسعين عنراً.

لقد بدأ المؤرخ حرليته بالمحدث عن تنويع الملك ريتشارد في عام ١١٨٩م وأنه أول ملك المجليزي حمل الصليب وتوجه إلى الأراضي المقدسة وأن الملك عبر القارة الإنجليزية إلى أوروبا عام ١١٩٠م. كما أن الأسطول الإنجليزي اتخذ طريقه إلى بلاد الشام عبر مضيق أفريقيا (مضيق هرقل - جبل طارق) وسوف يقابله الملك في مدينة سينا بجزيرة صقلية، وقد تم عقد مؤتمر بين الملك الإنجليزي والملك الفرنسي فيليب أوغسطس في مدينة تور ثم في مدينة فيزلاي Vezelay

لتوقيع معاهدة بينهما لإزالة الخلاف، وأن الأسطول الإنجليزي بلغ عدده حوالي مائة وأربع عشرة سفينة، وعلاقات الملك ريتشارد مع ملك صقلية وإبحار ملك فرنسا إلى بلاد الشام.

وابتعد المؤرخ عن الحملة وقدم لنا بعض الأحداث عن الأحوال الداخلية في إنجلترا، ثم عاد وتكلم عن تقدم الأسطول الإنجليزي، وأن سفينة دفعت سفينتين إلى شاطئ جزيرة قبرص سفينتين والصراع الذي دار في قبرص مع الملك الإنجليزي وسيطرة الملك على الجزيرة، ووصول ملك مملكة بيت المقدس الإسمية إلى قبرص ليقابل الملك ريتشارد ويقدم له التحية، ووصول الأسطول الإنجليزي إلى سواحل عكا والقاء الحصار على المدينة بمساعدة فيليب أوغسطس ودرق النسا.

كما تحدث عن كونراد أف مونتفرات وسيطرته على مدينة صور وموقف جاي لوزنجان ملك مملكة بيت المقدس الإسمية، ثم عودة الملك الفرنسي إلى بلاده تاركاً قواته تحت قيادة الملك الإنجليزي، ثم بعض نشاط الملكة إليانور الوصية على عرش إنجلترا في إنجلترا والممتلكات الإنجليزية في فرنسا، ثم عاد وتكلم عن أخبار الحملة وعملياتها العسكرية وعرض الملك ريتشارد للصلح، وتكلم عن الملك العادل سيف الدين شقيق صلاح الدين ومقابلاته مع الملك الإنجليزي، ومرضى الملك، ومشكلة قبرص والصلح الذي عقده الملك مع صلاح الدين بواسطة الملك العادل وهو ثلاث سنوات وثلاثة شهور وثلاثة أيام وثلاث ساعات، ثم عقد الملك لاجتماع في مدينة يافا تقرر فيه أن يحكم هنري كونت شامباني مملكة بيت المقدس الإسمية، كما تكلم عن أسر الملك في ألمانيا وهو في طريق عودته إلى بلاده.



- جوفري آف فينزاوف :

ويعتبر ما كتبه جوفري آف فينزاوف Geoffrey of Vinsauf أو فينزالفو Vinosalvo تاريخاً لحملة ريتشارد قلب الأسد، ولا يعرف شيئاً عن هذا المؤرخ، وقد أخذ البعض من كتبه مدخلاً للتعريف به، فقال البعض أن نبذ الدبر كان تحت رعاية، أو أنه كان يشرف على عصير النبيذ، ويرى البعض أنه كان إنجليزياً من أصل نورماندى. لقد كتب مؤرخنا الكثير من الأشعار، ولكن أعظم أعماله ما كتبه عن الحملة الثالثة تحت قيادة ريتشارد قلب الأسد وفيليب أوغسطس باعتباره شاهداً عياناً على عديد من المعارك العسكرية التي وقعت خلال الحملة. لقد عاش هذا المؤرخ حتى موت الملك ريتشارد وتولية الملك يوحنا عرش إنجلترا. والحقيقة أن حرية هذا المؤرخ تقع فى حوالى مائتين وخمسين وسبعون صفحة، فإذا قورنت بما كتبه أمبرواز أو ريتشارد آف ديفيزس تعتبر أكبر بكثير فى الحجم والتفاصيل.

والكتاب الذى تركه لنا المؤرخ يزخر بالأحداث التى وقعت منذ عام ١١٨٧م أى منذ معركة حطين وقيام الحملة الصليبية الثالثة حتى عودة ريتشارد قلب الأسد إلى بلاده فى عام ١١٩٢م وتوحيده فى الأسر. والكتاب ينقسم إلى ستة فصول رئيسية ويضم كل فصل مجموعة كبيرة من الموضوعات التى ربما تضم صفحة واحدة أو أقل أو أكثر.

وببدأ الفصل الأول بالحديث عن علم الباشا أوربان الثالث ١١٨٥ - ١١٨٧م فى أواخر أيامه بالأحداث التى وقعت فى الأرض المقدسة، وتكلم عن انتصارات صلاح الدين فى فلسطين وأسر الملك جاي لوونيان، وكيف تحصن الماركيز كونراد بمدينة صور. وحصار صلاح الدين للمدينة، واستعداد الإمبراطور فريدرىك بارباروسا للحملة الثالثة، وخطاب الإمبراطور إلى صلاح الدين يحذره بما حدث لفرعون مصر ويطلبه بعدم المساس بالقدس ورد صلاح الدين على الإمبراطور، وخط سير الإمبراطور عبر هنغاريا وعبوره نهر الدانوب، والصلح الذى عقد بين الإمبراطور والإمبراطور البيزنطى، وتقدم الإمبراطور فريدرىك

وعلاقته بسلاجقة الروم حتى وصوله إلى أرمينية وغرقه فى نهر سالف، وتولى فريدرىك آف سوابيا قيادة الجيش الألمانى، وحصار الصليبيين لمدينة عكا وتحرر الملك الصليبي جاي لوونيان من قسسه لصالح الدين بعدم معارضة، ووصول ريتشارد إلى صور ورفض كونراد استقباله، وتقدم الملك مع البشارة إلى عكا حيث يقوم الصليبيون بحاصرة المدينة. وسجل المؤرخ المزيد عن حصار المدينة والمعارك البحرية والبحرية واستخدام النار الإغريقية والمجاعة التى آلت بالقوات الصليبية، وانتهى الفصل الأول على هذا الحال بعد أن أفرد المؤرخ لأحداث عكا حوالى خمسين صفحة.

وببدأ الفصل الثانى بالحديث عن وصول الملك الفرنسى فيليب أوغسطس والملك الانجليزى ريتشارد بعده بقليل. ثم عاد المؤرخ بالأحداث ليستكمل عن اتفاق جيزورس Gisors الذى عقد فى أوائل عام ١١٨٨م بين الملك الانجليزى السابق هنرى الثانى وفيليب أوغسطس، ثم موت الملك هنرى الثانى وتولية ريتشارد قلب الأسد، وكيف طلب من الأسطول الانجليزى الإنجاء إلى الأراضى المقدسة عبر مضيق جبل طارق وأنه سوف ينتظره فى مدينة مسينا بجزيرة صقلية، وتوقيع الملك فيليب والملك ريتشارد اتفاق فيزالا Vezalai، والمشاكل التى وقعت فى جزيرة صقلية والملك تانكرد وشعب صقلية الذى أطلق عليه المؤرخ اسم اللبارد من جانب والملك الانجليزى ريتشارد من جانب آخر، وأخيراً الصلح الذى وقع بينهما مقابل أربعين ألف أونصة من الذهب قدمها الملك تانكرد، وكيف هاجم البنادقة والجنوية مؤخرة الأسطول الانجليزى، ورحيل الملك ريتشارد والملك فيليب إلى الأراضى المقدسة، والمشاكل التى نتجت عن جنوح بعض السفن الانجليزية إلى جزيرة قبرص وانتهاء الأمر باستيلاء الملك ريتشارد على الجزيرة، ووصول الملك الصليبي جاي لوونيان إلى قبرص، وتابع ذلك بأحداث قبرص، وإبحار الحملة إلى عكا، واستيلاء الملك ريتشارد على سفينة كبيرة للمسلمين.

وببدأ الفصل الثالث بالحديث عن وصول الملك الانجليزى بعبراً إلى عكا



واستقبله بالأغاني، وبعض المصارك ومرض الملك ريتشارد والملك فيليب وهجمات على المدينة واستخدام المسلمين للنار الإنحرابية والقتال على أبراج المدينة. وهروب بعض المسلمين من عكا، والاتفاق على تسليم المدينة وتقديم رهائن صليبية لاستلام صليب الصليبيات وإخلاء المسلمين لمدينة عكا ودخول القوات الصليبية إليها واقتسام الغنائم بين الملكين والحلاف الذي نشب بينهما حول قضية عرش المملكة بين جاي لوزنيان وكونراد أن مونتفرات، ثم رحيل ملك فرنسا إلى بلاده، وقسمه للملك الإنجليزي بالمحافظة على السلام بين الدولتين في أوروبا، وانتهى الفصل بالحديث ببقاء العديد من القوات الفرنسية تحت قيادة الملك ريتشارد.

وببدأ الفصل الرابع الحديث عن مكافأة الملك ريتشارد لرجاله وإصلاح أسرار مدينة عكا، ومراسلات الملك ريتشارد مع كونراد في مدينة صور، وكيف أمر الملك ريتشارد بذهاب الرهائن من المسلمين، وأوامره بالسير إلى مدينة عسقلان براً وبحراً، وطلبه القوات الفرنسية بالخروج من عكا، ودور كونت صغاريا في إجبار بعض القوات الإسلامية على الفرار ووصول بعض القوات الصليبية إلى مدينة حيفا، وهجمات إسلامية على القوات الصليبية أثناء تقدمها إلى مدينة أرسوف، والمعارك التي دارت على المدينة وخزيات إسلامية ضد القوات الصليبية، وانتصار القوات الصليبية، وكيف وبخ صلاح الدين رجاله، وتخريبه لبعض القلاع، وهجمات إسلامية على الصليبيين في أرسوف، وقيادة ريتشارد لبعض الصليبيين إلى يافا، وانتصارات للملك ريتشارد، وعرض صلح بين صلاح الدين وريتشارد.

أما الفصل الخامس فقد بدأه المؤرخ بالحديث عن تخلي الملك ريتشارد عن السير إلى القدس بناء على نصيحة فرسان الداوية وذلك في منتصف مايو ١١٩٢م والعودة إلى مدينة الرملة. وترك بعض الفرنسيين الصغرى الصليبية سبب ما يحيط بهم من خطر، وحالة الطقس، ومعاناة الصليبيين من المناخ في قلان، وأوامر صلاح الدين براحة القوات الإسلامية وعودتها للتجمع في شهر

مايو، وقيام ريتشارد بتحرير إثني عشر من الصليبيين عند مدينة الداروم كانوا في طريقهم إلى مصر، وعدم إطاعة كونراد لبعض تعليقات الملك الإنجليزي، وعودة دوق برجاندنيا إلى عكا وتخليه عن الملك ريتشارد لعدم تلقيه الأموال، وحروب بين البيازنة والجنسوية في عكا، ولقاء بين ريتشارد وكونراد، وكيف منح الملك ريتشارد ابن الملك العادل لقب فارس، وعودته للملك الإنجليزي إلى عسقلان، وإعادة إعمار المدينة، وأنفاس القوات الفرنسية في الفساد، وعملية اختيار ملك للمملكة الصليبية، واستقرار الرأي على اختيار كونراد، ثم اغتياله على يد الحشيشية، واختيار هنري كونت شامباني بدلاً من كونراد، وزواج هنري من أرملة كونراد، ومنع جاي لوزنيان جزيرة قبرص، ووصول أخبار سيئة من إنجلترا، واشتلاء القوات الإنجليزية فقط بقيادة ريتشارد على الداروم ومنحها للملك هنري، وتفكير الملك ريتشارد في العودة إلى بلاده، وتحرك ريتشارد وقواته إلى القدس وإقامة معسكره في بيت نوبا.

والفصل السادس والأخير بدأ بنحتمس القوات الفرنسية للسير إلى القدس وعدم موافقة ريتشارد على ذلك إلا بعد استشارة فرسان الداوية والاستشارة، وأخبار عن وصول إمدادات عسكرية إسلامية من مصر، ومهاجمة ريتشارد لهذه الإمدادات والحصول على الغنائم وفيها جمال وأغنام، وعودة القوات الصليبية إلى يافا وعلم صلاح الدين بذلك، وإرسال ريتشارد لطلب الهدنة، وتقديم جيش إسلامي إلى يافا، وغارات صلاح الدين على المدينة، وفكرة عودة الملك ريتشارد إلى بلاده، ومعارك ضارية على مدينة يافا، وإصلاح أسوار المدينة، وعودة الملك الصليبي هنري كونت شامباني إلى يافا قادماً من قيسارية، وبعض المعارك وبسالة الملك الإنجليزي، وكتب المؤرخ عن أن الملك ريتشارد كان على رشك الوقوع في أسر المسلمين، وطلب ريتشارد الهدنة لمدة ثلاث سنوات من صلاح الدين، وتبادل الرسائل بين الحاكمين، وتوقيع الهدنة، وقيام بعض الصليبيين بالحج إلى بيت المقدس في أكثر من رحلة، وعودة ريتشارد إلى بلاده ووقوعه أسيراً في النصارى.



ويحتوي الحولية أحد وعشرين موضوعاً أو فصلاً، وجاء عنوان الفصل الأول عن مجييع الحملة الرابعة وتناول الأحداث من ١١٩٩ - ١٢٠١ م. بدأها بالمحدث عن فولك دي ترويللي. وهو رجل له صفات القديسين وكان قسباً لابرشية ترويللي الذي تولى فكرة الحملة، وانتهى الفصل بوصول السفارة السادسة إلى مدينة البندقية للاتفاق على نقل الحملة. وتناول الفصل الثاني المعاهدة التي عقدها الصليبيون مع دوج البندقية إنريكو داندولو Enrico Dandolo. ومنها إعداد السفن اللازمة لنقل أربعة آلاف وخمسمائة حصان، ومثل هذا العدد من الفرسان، وعشرين ألفاً من المشاة وشروط الدفع وغير ذلك مقابل مبلغ خمسة وثمانين ألف مارك. وجاء الفصل الثالث بعنوان «البحث عن قائد» ويتضمن هذا الفصل الأحداث من مايو إلى سبتمبر عام ١٢٠١ م. وقد سجل في هذا الفصل موت ثيودالد قائد الحملة والأحداث اللاحقة حتى تم اختيار بونيفاس دي مونفترات.

وفيما يتعلق بالفصل الرابع وعنوانه تأخير الحملة وخيبة أملها، فقد اشتمل على الأحداث من يونيو إلى سبتمبر ١٢٠٢ م والمشاكل التي حاقت بالحملة من جراء عدم دفع المبلغ المتفق عليه. والفصل الخامس يتناول حصار مدينة زارا. ويتضمن هذا الفصل المدة من أكتوبر ونوفمبر في عام ١٢٠٢ م. وسقوط مدينة دارا في الحادي عشر من نوفمبر، والخسائر التي تكبدها الجانبان المتحاربان. وجاء الفصل السادس بعنوان «اضطراب الحملة» وتناول هذا الفصل الجدل الذي ثار بين الصليبيين عن أنهم لم يتخرجوا مع الحملة لمحاربة المسيحيين. وقال البعض بالاتجاه إلى بلاد الشام، بينما رأى البعض الاتجاه إلى القسطنطينية والآخر إلى مصر وفي هذه المرحلة وصل الأمير البيزنطي الكسيوس والاتفاق على الإبحار إلى القسطنطينية.

وسجلت أحداث الفصل السابع تحت عنوان «الإبحار إلى سكوتاري» Scutari وهي ضاحية مقابلة للقسطنطينية تقع على الشاطئ الأسبوي، والمجالس العسكرية التي عقدها الصليبيون لتنظيم عملية الهجوم على

القسطنطينية. أما الفصل الثامن فيتعلق بالاستعداد العسكري لمهاجمة المدينة، والفصل التاسع يتحدث عن الحصار الأول للمدينة، والعاشر عن موافقة الإمبراطور على شروط الحملة، والحادي عشر عن الاحتكام للسلح، والثاني عشر عن الحصار الثاني للعاصمة البيزنطية، والثالث عشر عن انتخاب الإمبراطور بلدوين إمبراطوراً للإمبراطورية الصليبية اللاتينية، والرابع عشر تناول الفترة من مايو إلى سبتمبر عام ١٢٠٤ م ويتناول التوتر العلاقات بين الإمبراطور بلدوين والإمبراطور البيزنطي الكسيوس الرابع. وتناول الفصل الخامس عشر الحرب ضد البيزنطيين وتناول الفترة من أكتوبر عام ١٢٠٥ إلى مارس ١٢٠٥ م. كما سجل في الفصل السادس عشر أحداث حصار مدينة أدرنة في الفترة من مارس إلى أبريل ١٢٠٥ التي كانت حجة للفاية ودور ملك ولاشيا والبلغار في الدفاع عن المدينة.

ويتضمن الفصل السابع عشر أحداث المرحلة من أبريل إلى يونيو عام ١٢٠٥ م وهي المرحلة التي تكريس فيها حكم هنري أمير الفلاندرز وصياً على الإمبراطورية الصليبية بعد مصرع أخيه الإمبراطور بلدوين وقيام الرعي بحصار مدينة أدرنة. وجاء الفصل الثامن عشر عن أحداث الفترة من يونيو ١٢٠٥ حتى يونيو ١٢٠٦ م. وفيها كان اجتياح يوحنا ملك ولاشيا والبلغار لأراضي الإمبراطورية اللاتينية، وانتهى هذا الفصل بوصول القوات الصليبية بقيادة هنري أمير الفلاندرز إلى مدينة أدرنة وحصارها، وخروج أهالي المدينة للترحيب بالقوات الصليبية الفرنسية. أما الفصل التاسع عشر فقد جاء عنوانه «الهجوم والهجوم المضاد» واشتمل على الفترة من التاسع والعشرين من يونيو عام ١٢٠٦ حتى الرابع من فبراير عام ١٢٠٧ ودارت أحداث هذا الفصل حول القتال على مدينة أدرنة وتخللها تصويج هنري إمبراطوراً خلفاً لأخيه الراحل بلدوين، وبعض المعارك العسكرية ضد الإمبراطورية البيزنطية في منفاها نيقية. وسجل الفصل العشرون أحداث قتال الصليبيين ضد الجبهة البلغارية والبيزنطية واشتمل على الفترة من مارس إلى مايو ١٢٠٧ م. أما الفصل الحادي



والحقيقة أن هذا الكتاب رغم ما به من تقديم وتأخير إلا أنه تكلم عن تفاصيل كثيرة للحملة الثالثة قلما تجدها في كتاب واحد، وعلى ذلك تعتبر هذه الحولية من أهم الحوليات التي لا بد أن يرجع لها من أراد الكتابة عن الحملة الثالثة أو عن جزء من الحملة الثالثة، لأن ما ورد فيها أكثر من أن تتحمله رسالة واحدة.

#### - ريجورد :-

ولد ريجورد Rigord في إقليم لانجدوك Languedoc في جنوب شرق فرنسا وربما في مدينة نيمس Nimes حوالي ١١٤٥ - ١١٥٠ م، وكان يعمل طبيباً محترفاً وظل يمارس هذه المهنة في الجنوب الشرقي من فرنسا حتى بدأ في الكتابة، وفي عام ١١٨٩ م أصبح راهباً في أرجنتويل Argenteuil ثم انتقل إلى دير القديس دنيس بالقرب من باريس وتوفي في عام ١٢٠٩ م.

وفي عام ١١٩٦ م قدم النسخة الأولى من كتابه «الأعمال» The Deeds إلى الملك الفرنسي فيليب أوغسطس، وفي عام ١٢٠٠ م قدم نسخة مختصرة للأمير لويس. كما كان يوجد نسخة مبدئية عن تاريخ أعمال ملوك الفرنجة، وقد أعدت الأخيرة لمساعدة الزوار الذين يفدون على مقبرة القديس دنيس، ولكن الجزء الأخير منها قد فقد، ولكن شهرة ريجورد ترجع إلى كتابه «الأعمال»، وهو الكتاب الذي يظن أنه مر بمراحل تعديل كثيرة واستكمل في عام ١٢٠٩ م وهو العام الذي مات فيه المؤلف.

وراقع الحال أن الكتاب يتضمن أعمالاً صادقة بشهادة شهود عيان، يضاف إلى ذلك أنه أطلع على المجلدات المرجودة بالدير، وكل ما يقبض في الكتابة مثل الوثائق والمراسيم والخطابات المتعلقة بالملك الفرنسي فيليب أوغسطس ومن الحوليات التي أطلع عليها ما كتبه المؤرخ الإنجليزي جوفري أف مونماوث Geoffrey of Monmouth تاريخ فرسان بريطانيا، وواقع الحال أن للمؤرخ ريجورد مقدرة نقدية بقدرها المؤرخون.

لقد بدأ كتابه بالتدريج الشخصي وأعطى لنفسه لقب المؤرخ الإلهي. Chronieler أي الذي يوزخ للأحداث طبقاً للسلسلة الزمنية، أي مؤرخ الملك الفرنسي مثله في ذلك مثل معاصريه الذين أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب خاصة المؤرخون الإنجليز. ويمكن للباحثين أن يراجعوا ذلك بأنفسهم بعد قراءة كتابه، كما أن المؤرخ ولیم لبريتون Guillaume Le Breton الذي أكمل حولية ريجورد قدم لنا موجزاً مختصراً له وقال أن عمله قليل، وأن هذا العمل لم يقدم الكثير.

وقد بدأ مؤرخنا بالحديث عن مولد الملك الفرنسي فيليب أوغسطس في عام ١١٦٥ م ثم زواجه من أدلا أف بلوا Adela of Blois، وفي عام ١١٧٩ م تنازل والده لويس التاسع بسبب مرضه عن العرش لابنه فيليب وكيف أنه قضى على المشاكل التي واجهته في بداية عهده. وفي عام ١١٨٠ م تحدث المؤرخ عن موت لويس التاسع، وكيف طرد الملك اليهود من مملكته وتكلم عن الملك الفارسي نيوخذ نصر وغير ذلك من تاريخ اليهود وتوسع في الحديث عن اليهود وعلاقتهم بالملك في تلك المرحلة، كما تكلم عن السلام الذي استتب بين ريموند كونت مدينة القديس جيل Gille وبين ملك أواجون. وتكلم المؤرخ عن أحداث عام ١١٨٥ م وتدخله في بعض النظم المتعلقة بكنيسة القديس دنيس وموقف رجال الكنيسة والرهبان من الملك، ثم تكلم عن رسالة من ملك هنغاريا (المجر) إلى الملك الفرنسي، ثم تكلم عن بعض الأحوال الداخلية للمملكة، وقيام الملك بتخصيص بعض الملابس للفقراء ثم أورد لنا ثلاثة خطابات صادرة من الملك، وفي حديث عن تخريب بغداد والقاهرة بالرياح الترابية وجانب عن صقلية. وانتقل إلى الحرب التي دارت بين فيليب أوغسطس وهنري الثالث ملك إنجلترا، ثم عاد إلى الحديث عن أحداث عام ١١٨٧ م، ثم انتقل إلى الجانب الهام لنا في هذا الموضوع وهو وصول الرسل الذين أرسلهم سكان القدس إلى الملك وهو الأمر المتعلق بالحروب الصليبية، وذكر أن صلاح الدين هاجم المسيحيين بسبب خطاياهم وقد قتل عدة آلاف والعديد من فرسان الداوية والاسبتارية



والاساقفة والبارونات. ثم عاد وتكلم عن ميلاد الأمير لويس بن فيليب في عام ١١٨٧م. وتكلم عن وفاة البابا أوربان الثالث. وتولية البابا جريجوري الثامن. وكيف أعلن الملك فيليب والملك الإنجليزي هنري الثاني عزمهما على حمل الصليب والتوجه في حملة صليبية إلى الأراضي المقدسة. وأفراد جانباً خاصاً لما يعرف باسم الضرائب التي فرضت لمعارضة صلاح الدين تحت اسم عبثور صلاح الدين. ثم انتقل للحديث عن الهدنة التي عقدت بين الملكية الإنجليزية والفرنسي وعن معجزة تدفق المياه في منطقة كان الماء فيها قليلاً عقب الأمطار ولكنه تدفق بشكل كبير في هذه المرحلة. وانتقل إلى قيام الأمير الإنجليزي ريتشارد كونت بواتو Poitou بتقديم فروض الولاء للملك الفرنسي.

وفي أحداث السنة التاسعة من حكم الملك فيليب وهي عام ١١٨٩م تكلم المؤرخ عن بعض الأحداث التاريخية الداخلية في فرنسا. ثم وفاة الملك الإنجليزي هنري الثالث. ووفاة الملكة الفرنسية. واتفاق فيزلاي Vezelay ورحيل الملك الفرنسي على رأس الحملة الصليبية إلى جنوة. ووصول الملك الإنجليزي ريتشارد إلى صقلية. ثم عاد وتكلم عن قيام الملك فيليب بتنظيم أمور دولته قبل الرحيل. ثم ذكر رحيل الحملتين. وعن مرقف الملك الإنجليزي من جزيرة قبرص. وبعض المعارك الحربية مع الأسطول الإسلامي. وموت الإمبراطور فريدريك بارباروسا في آسيا الصغرى. وموت البابا كمنت الثالث وتعيين البابا سستين خلفاً له. وتكلم عن مهاجمة مدينة عكا. ومرض الملك فيليب وعودته إلى بلاده. وكيف باع ريتشارد جزيرة قبرص للدائنة. والقتال على مدينة عسقلان. وكيف أنزل الملك ريتشارد راية درق النمس. وعاد وتكلم عن عودة الملك فيليب أوغسطس إلى بلاده. وذكر أنه لم يكتب تاريخ ملك إنجلترا. لذلك تكلم عن احتفال الملك الفرنسي بعيد الميلاد بعد عودته إلى بلاده. وأنهى هذا الجانب بأن المؤرخ تكلم عن بعض أحداث عام ١١٩٢م.

كما ورد في الحولية جانباً عن الحرب على إقليم نورماندي في الفترة من ١٢٠١ - ١٢٠٤م. وبدأ بالحديث عن استدعاء الملك الفرنسي للملك يوحنا ملك

إنجلترا باعتباره إقطاعياً يتولى أمر بعض الإقطاعيات في فرنسا وهي بواتو وأنجو وأكويتين. وطلب منه الحضور خلال أسبوعين بعد عيد القيامة ليجيب على الاتهامات الموجهة إليه من قبل الملك الفرنسي. وما تلى ذلك من أحداث وقيام الملك الفرنسي بغزو إقليم نورماندي. واستمرار الحرب حتى عام ١٢٠٤م وانتهت بعودة إقليم نورماندي إلى فرنسا بعد أن انسحب عنها منذ عام ١٠٦٦م.

#### - خطاب عن الحملة الألمانية عام ١١٩٧م:

وهذا الخطاب يظهر انتصارات الحملة الألمانية في الأراضي المقدسة قبل أن عُدِمَ بأخبار موت الإمبراطور الألماني هنري السادس. هذا المصدر هو عبارة عن خطاب صادر من دوق اللورين الذي كان يتولى أمر قيادة القوات الألمانية في الأراضي المقدسة. والخطاب موجه إلى رئيس أساقفة مدينة كلونى. ويذكر دوق اللورين أنه تم اختياره رئيساً للقوات الألمانية ورئيساً لبارونات وفرسان مملكة بيت المقدس الصليبية. وذكر في خطابه بعض الأحداث العسكرية التي تمت في الأراضي المقدسة وأنه يتقدم من نصر إلى آخر.

وذكر من الأعمال العسكرية أنه اتخذ طريقه إلى مدينة بيروت. وأنه في المنطقة التي تقع بين صور وصيدا قام العادل ملك مصر ودمشق مع عدد كبير من قواته بالظهور على جوارب الجبال وحاصروا مؤخرة القوات الألمانية وتلى ذلك عدة هجمات على القوات الألمانية. وكان الغرض من ذلك هو إظهار القوة العسكرية للجيش الإسلامي. ولكن نظراً لشجاعة القوات الألمانية لم تتمكن القوات الإسلامية من مهاجمة الألمان. وفي اليوم التالي نصب الألمان الخيام. وعندما ظهرت السفن الألمانية أصاب الرعب سكان هذه المناطق. وبذلك سيطر الجيش الألماني على هذه المناطق وما فيها من قلاع حصينة. وقد وجد الألمان في هذه القلاع الكثير من المزن التي تكفى لحوالي خمسمائة رجل لمدة سبع سنين (مبالغة شديدة جداً). وبعد عشرين يوماً من بقاء القوات الألمانية في هذه



المنطقة لم تنجراً القراة الإسلامية فى القلاع المجاورة على مهاجمتها. وبعد ذلك قامت القراة الألمانية بالتوجه إلى مدينة صيدا واجتاحتها من جميع الجهات. ويذكر كاتب هذا الخطاب أن الأمل هو الاستيلاء على مدينة القدس بعد قليل.

- روبرت كلارى :

يعتبر روبرت كلارى Robert Clari أحد مشاهير من أروخا للحملة الصليبية الرابعة. وليس لدينا معلومات كافية عن هذا المؤرخ لأنه كان من الطبقة الشعبية وغير معروف ولم يهتم به أحد إلا بعد أن تم الاطلاع على كتابه المعروف تحت عنوان «فتح القسطنطينية على يد الصليبيين» . وهى الأحداث المعروفة بالحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م. وينسب روبرت إلى ناحية كلارى لبرنوا Clery- Les- Pernois الفرنسية ولذلك نعت بإسم كلارى وأنه أطلق هذا اللقب على نفسه فى مذكراته. وكانت البلدة الصغيرة التى ولد فيها روبرت كلارى إقطاعية صغيرة تحت إدارة أبيه جيلر Gilo. كما أن المؤرخ كان فصلاً إقطاعياً عند بطرس دى أميان Pierre d'Amiens وهو منسوب إلى مدينة أميان الفرنسية. وقد عايش هذا المؤرخ أحداث الحملة الصليبية الرابعة وشارك فى أعمالها العسكرية وقاتل عند أسوار مدينة القسطنطينية فى برليو عام ١٢٠٣م.

والكتاب مكتوب أصلاً باللغة الفرنسية الخاصة بالعصور الوسطى. وأن النسخة الأصلية التى كتبها المؤرخ أو أملاها على شخص ما غير موجودة. ولكنه حدث فى عام ١٣٠٠ أن عهد دير كورس - الموجود به النص - إلى أحد النساخ بنسخ بعض المخطوطات فتم نسخها مع بعض المخطوطات الأخرى. والأخيرة هى الموجودة لدينا. والحقيقة أن هذه الحولية تعتبر مصدراً تاريخياً هاماً عن الحملة الصليبية الرابعة. ويتضح من الحولية أن كاتبها قد أتم بأحداثها منذ البداية حتى معركة أدرنه التى وقعت فى أبريل عام ١٢٠٥م ضد

قباثل الكوسان حيث هزم الإمبراطور بلدوين (١٢٠٤ - ١٢٠٥م). هـ أول إمبراطور تولى حكم الإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية. والكتاب يبدأ بأحداث الحملة منذ عام ١٢٠٢م حتى ١٢٠٥م. وهناك بضع صفحات قليلة تكلمت عن أحداث الفترة ١٢٠٥ - ١٢١٦. وقد ترجم العلامة المرحوم الأستاذ الدكتور حسن حبشى فى شبايه هذا الكتاب إلى اللغة العربية فى عام ١٩٦٤. فله عظيم الشكر والتقدير على هذا الجهد الكبير الذى قدمه الباحثين فى حقل الحروب الصليبية.

والكتاب ليس كبيراً ولكنه احتوى على أحداث الحملة بداية من اشتروا فى الحملة من كبار الشخصيات والقادة حتى نهايتها. ومذبل بعد الحملة ببعض الأحداث. والنص مقسم إلى فقرات صغيرة وصلت إلى حوالى مائتين وخمسون فقرة. ليس لى أن أتاولها كلها على هذه الصفحات بل أكتفى بذكر أهمها. ومن ذلك بعض أسماء المشتركين فى الحملة. والاستعداد لها والاتفاق مع البنادقة لنقل قوات الحملة إلى مصر ثم إجهاء الحملة إلى مدينة زارا Zara والاستيلاء عليها ثم التفكير فى مهاجمة الإمبراطورية البيزنطية وهو ما يعرف تاريخياً بانحراف الحملة عن هدفها. وموقف السلطة البيزنطية من هذا الغزو وتحصين مدينة القسطنطينية. وتعيين مرزفلس وهو الكسيوس الرابع إمبراطوراً ١٢٠٤م. ثم الانقلاب عليه وهزيمته. ومعارك عسكرية انتهت بمقتل الإمبراطور. كما قدم لنا المؤلف جانباً هاماً عن الأسلاب وعن بعض القصور والكنائس خاصة كنيسة أيا صوفيا وبعض التماثيل التى وصفها المؤرخ بأنها ابتداء لأيدى ماهرة حتى لا يستطيع الإنسان أن يفرق بين التمثال وبين الحقيقة. واختيار بلدوين إمبراطوراً. وحفل التتويج وتوزيع الأسلاب. وبعض النزاعات الداخلية بين الصليبيين وجانباً من الأحداث الأخرى.



### - جوفري دي فيلهاردوين:

ولد جوفري دي فيلهاردوين Geoffroi de Villehardouin بين عامي ١١٥٠ - ١١٥٤ م. وكان والده أحد نبلاء إقليم شامباني Champagne وكانت له بعض المقاطعات في إقليم بروقانس Province في جنوب فرنسا، ولم يكن هو الابن الأكبر، ولكنه نظراً لإسم عائلته وأصهاره أصبح مارشالاً للإقليم شامباني في عام ١١٨٥ أو ١١٩٠. والحقيقة أن ما يعرف عنه بعد ذلك جاء من بعض المراسيم وما كتبه عن تاريخ الحملة الصليبية الرابعة. ففي عام ١١٩٩ م عزم على التوجه لحملة صليبية، لذلك أرسله ليجود الثالث Thibaud III كونت شامباني بموافقة البارونات الذين فكروا في الحملة الصليبية المعروفة بالرابعة في سفارة إلى البندقية للاتفاق على نقل قوات الحملة إلى مصر. وعندما مات تيبود الثالث قبل استعداد الحملة ساعد فيلهاردوين على ترشيح بونيفاس دي مونتفرات Boniface de Montferrat لتولي قيادة الحملة في عام ١٢٠١ م. وقد عاد مؤرخنا إلى البندقية مرة أخرى وعمل على الاستعداد لرحيل الحملة من البندقية. وهناك صمت فيما كتبه عن دوره في تحويل مسار الحملة إلى القسطنطينية. وعندما وصلت الحملة إلى مدينة زارا Zara عارض الآراء التي نادى بالتوجه إلى فلسطين وعندما التفتت بحراً إلى القسطنطينية كان مؤرخنا من الذين قادوا الهجمة الخامسة على المدينة مع ماثيو دي مونتصورتسي Mathieu de Montmorency، كما أنه كان أحد ممثلي قادة الحملة الذين أجلسوا الإمبراطور إسحق أنجلوس Isaac Angelus على العرش (١٢٠٣ - ١٢٠٤ م). كما أنه أرسل في سفارة أخرى إلى خلفه الكسبروس الرابع (١٢٠٤) لطالبه بالوفاء بشروط المعاهدة التي عقدت معه ومع قادة الحملة الرابعة. وبعد عزل الأخير وتسلم الإمبراطورية الصليبية اللاتينية مقام الإمبراطورية البيزنطية حين مارشالاً للقوات الصليبية، كما أنه لعب دوراً في استقرار الأوضاع بين بونيفاس دي مونتفرات والإمبراطور الصليبي بلندوين أمير الفلاندر (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م). يضاف إلى ذلك أنه لعب

دوراً في الحرب التي قامت بين الصليبيين والبلغار في عام ١٢٠٥ م. بعد هزيمة القوات الصليبية في أبريل عام ١٢٠٥ م عند مدينة أدرنه واختفاء الإمبراطور بلندوين جمع مؤرخنا القوات الصليبية وعاد متسحباً بها إلى القسطنطينية بشجاعة تامة. وأثناء حكم الإمبراطور اللاتيني الصليبي هنري الثاني (١٢٠٦ - ١٢١٦ م) قاد بعض الهجمات ضد قيودور لاسكاريس Theodore Lascaris الإمبراطور البيزنطي في منفاه في مدينة نيقية (١٢٠٤ - ١٢٢٢ م). وبعد وفاة بونيفاس دي مونتفرات في عام ١٢٠٧ م لم يكن لمؤرخنا دوراً يذكر، ومات في مدينة موسينوبولس Mosynopolis وهي مدينة ساحلية في شمال بحر إيجه عام ١٢١٤ م.

ويقال أن الحولية التي تركها هذا المؤرخ قد كتبت بعد عام ١٢٠٧ م. وقد سجل فيها المؤرخ كل الأحداث المتعلقة بسقوط القسطنطينية خاصة ما شارك فيها وكان شاهد عيان عليها. لقد بدأ حوليته بالحديث عن التبشير بالحملة التي تولاهها فولك دي نويلى Foulque de Neuilly وانتهت فجأة بموت بونيفاس دي مونتفرات، وهناك تكملة لهذه الحولية سجلها هنري دي ولانسينر Henri de Valenciennes وذكر فيها جانباً من حكم الإمبراطور هنري.

والحولية لفلهاردوين أهمية خاصة لأنها كتبت في شكل قصيدة نثرية باللغة الفرنسية، وأنها تمثل واقع قرسان الغرب في تلك المرحلة الذين يتطلعون للشرق والحضارة البيزنطية الرائعة، ورغم هذا فإنها لم تكن كافية لتقديم فكرة حقيقية عن أعمال الحملة في العاصمة البيزنطية، لقد قدم مؤرخنا للأجيال التالية ما يرغب فيه، فقدم لنا تفاصيل المفاوضات التي شارك فيها، والمعلومات اللازمة لفهم فكرة تحويل الحملة إلى القسطنطينية. لقد كان إخلاصه لهذا العمل واضحاً وهو لا يقل عن جميع البارونات الآخرين. ولا ننسى هنا ما كتبه روبرت كلاري الذي مثل طبقة الفرسان.



عشر والأخير فقد سجل أحداث الفترة من يوليو إلى سبتمبر عام ١٢٠٧، وجاء فيها أنه بعد إقرار الهدنة بين الإمبراطور اللاتيني هنري والإمبراطور البيزنطي وعودة هنري إلى القسطنطينية بدأ الاستعداد لمنازلة الجبهة البلغارية، والتواهي التي حدث بين الإمبراطور والمركيز بونيفاس، وانتهى الكتاب بمصرع الماركيز على الجبهة البلغارية وسرور الملك يوحنا لهذا الحدث بينما حزن الإمبراطور وكل الرجال من الفرنسيين والبنادقة لهذا الحادث المأسوي.

#### - خطاب من البابا أنوسنت الثالث:

ومن مصادر الحملة الصليبية أيضاً خطاباً هاماً صادر من البابا إنوسنت الثالث يأتي فيه الكاردينال بطرس المندوب البابوي للحملة، وأن البابا لم يعد يوسع أن يفعل شيئاً بعد انحراف الحملة وتوجهها إلى القسطنطينية. ويبين من هذا الخطاب أن هناك خطابات متبادلة بين الطرفين حول الموضوعات التي وردت في هذا الخطاب.

وقد ذكر البابا في خطابه أنه يتقدر للمندوب البابوي خرقه الشديد من الاخطار التي تلاحقها الأراضي المقدسة رغم ذهاب القوات الصليبية إلى القسطنطينية الذي أصبح جزء من الماضي، وأن البابا ينطلق إلى مساعدة الأراضي المقدسة. ويقول البابا أن الصليبيين الذين ترجعوا إلى القسطنطينية قد جثوا بعملهم هذا جانباً من الصليبيين في الأراضي المقدسة للحاق بهم، وبذلك حرمت الأراضي المقدسة من القوات التي كانت تدافع عنها. ويقول البابا أن عليك باعتبارك المندوب البابوي أن تعطي الأهمية للأراضي المقدسة والدفاع عنها وليس إلى الاستيلاء على القسطنطينية، خاصة عندما علمنا من خطاباتك السابقة أنك قد أحملت الصليبيين من قسهم الصليبي، وأن عليهم البقاء للدفاع عن القسطنطينية، وأن البابا يتقدر للمندوب البابوي جهوده في تحويل تسمية كنيسة القسطنطينية إلى الكنيسة البطريركية في روما، ولكن لا تنسى الأراضي المقدسة وما يتعرض له الصليبيين من القتل.

#### - مصدر عن حملتي الأطفال عام ١٢١٢م:

وهذا المصدر هو جزء من الحولية الكلونيه Chronica Regiae Coloniensis عن حملتي الصبيان في عام ١٢١٢م. وتوضح هذه الحملة مدى الروح الصليبية في بداية القرن الثالث عشر. وحقيقة الأمر أن ذلك لا يعتبر حملة صليبية، ولكنها حركة جذبت آلاف الأطفال في فرنسا وألمانيا. وقد تمت الدعوة في فرنسا من سبي فلاح يدعى ستيفن من قرية فندوم Vendome، وفي ألمانيا بمعرفة صبي يدعى نيقولاس في مدينة كلوني. وقد ورد في الحولية أنه في وقت عيد القيامة ظهرت الدعوة بين الأولاد لإعداد حملة صليبية دون الانتظار لموافقة الآباء. وقد تجمعت مجموعات من حوالي عشرين أو خمسين أو مائة ووضعوا الأعلام وبدأوا رحلتهم إلى الأراضي المقدسة، وعندما سألهم الناس عن هدفهم قالوا إن العديد من الحملات قد ذهبت إلى الأراضي المقدسة ولكنها لم تتجز شيئاً يذكر، وأن يوسعهم أن يحققوا الكثير وأنهم يعملون طبقاً لإرادة الله، وقد عاد بعض هؤلاء الصبيان من مدينة ميتر والآخر من مدينة بياكترا أو روما، بينما ذهب من تبقى إلى مرسلينا ولا يعرف شيئاً عن مصير من أبحر أو لم يبحر، ولكن الواضح أن القليل منهم قد عاد إلى بلاده.

#### - مصادر الحملة الخامسة:

لقد جاءت مصادر الحملة الخامسة عديدة ومتنوعة؛ ويمكن تصنيف هذه المصادر إلى مجموعات، وجاءت المجموعة الأولى منها خاصة بشهود العيان لأحداث الحملة، والثانية تتعلق بالمعاصرين من غير شهود العيان. والثالثة هي المصادر المتأخرة زمنياً وأرخت للحملة أو جانباً منها.

#### - أوليفر ألف بادنبورن:

وعلى رأس المجموعة الأولى الخاصة بشهود العيان ما كتبه المؤرخ الألماني أوليفر ألف بادنبورن Oliver of Padenborn وتاريخ مولده وكذلك مسقط



رأسه ليس معروفاً لدينا ويعرف أيضاً باسم أوليفر المعلم (سكولاستيك) Scolastique وقد بدأ أسسه في الظهور عام ١١٩٦م عندما كان يعمل شماساً في كنيسة بادنبورن بالمانيا. وفي عام ١٢٠٠م عين مدرساً في مدرسة الكتبة نفسها وفي العام التالي أصبح مدرساً في مدينة كلوني Cologne وفي عام ١٢٠٧م رحل إلى فرنسا وقضى بها بعض الوقت ثم عاد إلى كلوني مرة أخرى. وساعد أوليفر في أعمال مجلس اللاتيران الكنسي Lateran Council الذي عقد في روما عام ١٢١٥م وهو المجلس الذي دعى فيه للحملة الصليبية الخامسة. وتوجه أوليفر بعد انتهاء أعمال المجلس إلى ألمانيا حيث وعظ وشجع للحملة. وفي عام ١٢١٧م أبحر من مرسيليا مع بعض قراة الحملة في طريقه إلى الشام حيث وصلها في يوليو أو أغسطس. وفي العام التالي أبحر مع الحملة إلى دمياط وظل مع الحملة حتى هزيمتها ورحيلها في خريف ١٢٢١م ثم نزل في مدينة عكا وبقي بالامارات الصليبية بعض الوقت حتى إبحر إلى كلوني التي وصلها في عام ١٢٢٢م حيث عين أسقف لكنيسة بادنبورن في الفترة من ١٢٢٤ - ١٢٢٥م وأسقف كنيسة ساينا Sabini بإيطاليا في الفترة من ١٢٢٥ - ١٢٢٧م. كما تولى أيضاً منصب الكاردينالية في أواخر أيام حياته. ومات أوليفر في عام ١٢٢٧ بالتحديد في الفترة من أغسطس حتى التاسع من سبتمبر ودفن في أيطاليا. وأثناء تواجده الحملة في مصر عمل أوليفر كاتباً للمتدرب البابوي لحملة الكاردينال بلاجيوس Pelagius - لذلك فإنه فضلاً عن كونه من شهود العيان. فقد كان ملتصقاً بقيادة الحملة ومن هنا تقع أهمية ما تركه لنا أوليفر من مادة تاريخية تتعلق بأحداث الحملة. والواقع أن أوليفر لم يكتب للحملة فقط فله كتابات تاريخية أخرى. وما بهما ونحن بصدد التاريخ للحملة خطابين صادرين من أوليفر وهو في دمياط وكتابه المعروف باسم تاريخ دمياط Historia Damiatina والخطاب الأول موجه من أوليفر إلى إيجلبيرت Engelbert رئيس أساقفة مدينة كلوني. وقد كتب هذا الخطاب بعد سقوط مدينة دمياط في يد الصليبيين (٥ نوفمبر ١٢١٩م) / ٢٥ شعبان ٦١٦هـ.

وأحتوى هذا الكتاب على معلومات تتعلق بفرق المعسكر الصليبي الذي أقيم في جزيرة دمياط (٢٩ نوفمبر ١٢١٨ / ٩ رمضان ٦١٥هـ) ومحاولات الاستيلاء على برج السلسلة. كما تضمن وصفاً لمدينة دمياط وحالة سكانها عندما استولى عليها الصليبيون. هذا بالإضافة إلى واقعة قيام المعظم عيسى ملك دمشق (٦١٥ - ٦٢٥هـ - ١٢١٨ - ١٢٢٧م) بهدم أسوار مدينة بيت المقدس وأبراجها. ومعركة الثالث من مارس عام ١٢١٩ / ١٤ ذو الحجة ٦١٥هـ ورحيل وقدم بعض القوات الصليبية من وإلى دمياط وأخيراً معركة أكتوبر من نفس العام (جمادى الثاني ٦١٦هـ).

والخطاب الثاني أرسله أوليفر إلى الكامل محمد ملك مصر (٦١٥ - ٦٢٥هـ / ١٢١٨ - ١٢٢٨م) بعد هزيمة الصليبيين (٦١٨هـ - ١٢٢١م). ويشهد هذا الخطاب بالمعاملة الإنسانية التي عامل بها الملك الكامل الرهائن الصليبية، فقد كان أوليفر نفسه ضمن الرهائن. هذا بالإضافة إلى حسن معاملة الكامل لكافة جنود الحملة الصليبية بعد هزيمتها. أما كتاب أوليفر «تاريخ دمياط» فقد إشتل على أحداث الحملة منذ قدوم الحملة الهنغارية إلى عكا في سبتمبر عام ١٢١٧م وحتى نهاية وقائع أحداث الحملة الصليبية الخامسة وتسليم مدينة دمياط للمسلمين. وقد سجل أوليفر عرضاً طيباً عن أحداث الحملة الهنغارية التي دارت وقائعها في الشام وأغارة الصليبيين على حصن الطور. وأهم ما قدمه أوليفر الأحداث الخاصة بتجميع الصليبيين في قلعة الحجاج ثم إبحارهم إلى مصر حيث رست قواتهم في جزيرة دمياط. وأضاف إلى ذلك كافة الأحداث المتعلقة بالمحاولات المتعددة من جانب الصليبيين للاستيلاء على برج السلسلة والمنارشات التي وقعت بين المسلمين والصليبيين. كما تناول أوليفر المزاورة التي وقعت في المعسكر الإسلامي المقام في العادلية جنوبي دمياط وهروب الجيش الإسلامي وكيف إنتهز الصليبيون الفرصة وعبروا إلى الضفة الشرقية للنيل. وسجل لنا أيضاً المعارك العسكرية التي وقعت بين المسلمين والصليبيين في الفترة الواقعة بين عبور القوات



الصلبية وحتى سقوط مدينة دمياط بما فيها عروض السلع التي تقدم بها الملك الكامل.

كما وصف لنا الحالة السيئة التي كانت عليها مدينة دمياط عندما دخلها الصليبيون ثم كان من تحويل جامع المدينة إلى كنيسة كاثوليكية للسيدة مريم وتعبد الأسرى خاصة الأتراك منهم. وقدّم لنا أوليفر كذلك وصفاً ممتازاً عن تحصينات مدينة دمياط وأسوارها وأبراجها وسرايها وهو ما لم تسجله المصادر العربية، كما صور لنا أحوال الصليبيين أثناء تواجدهم في المدينة وحتى الزحف صوب القاهرة. وعرض لنا في هذه الفترة الفساد الذي إنتهست فيه القوات الصليبية وأحداث سقوط مدينة تيس والقيمة الاقتصادية لهذه المدينة بالنسبة لإيرادات مصر في العصور الوسطى. وعرض لنا النشاط العسكري الذي قام به الملك المعظم ضد بعض القلاع الصليبية في الشام بغرض التخفيف من الضغط العسكري على مصر ومغادرة الملك جان دي برين مدينة دمياط إلى عكا ثم إغارة الصليبيين على مدينة البرلس وغير ذلك من الأحداث الهامة الخاصة بالحملة.

أما الفترة التي تبدأ بالتفكير في الزحف صوب القاهرة وحتى هزيمة الحملة وفشلها فقد قدم أوليفر عرضاً حياً لكافة الأحداث المتعلقة بهذه الفترة واستعداد الجيش الصليبي للتقدم جنوباً إلى المنصورة والبطولات الرائعة التي قام بها المسلمون لوقف تقدم الصليبيين، كما قدم لنا الأخطاء التي وقعت فيها القوات الصليبية أثناء زحفهم إلى القاهرة، ولعل أهمها إهمال مصب نهر المعلة وعدم الاهتمام بحراسته بقوات صليبية الأمر الذي سهل للقوات الإسلامية تطويق الجيش الصليبي من الخلف، ثم ما كان من أمر فيضان النيل وكسر المسلمين لبعض جسور النيل التي أغرقت المعسكر الصليبي، وأختتم هذه الأحداث بهزيمة الصليبيين وطلبهم الجلاء عن مصر دون قيد أو شرط.

والحق أن أوليفر قدّم لنا مادة تاريخية واقعية عن أحداث الحملة ضنت بالكثير منها المصادر العربية. ورغم هذا فإن ما كتبه أوليفر يظهر فيه التعصب الديني بشكل واضح، كما أنها لا تخلو أيضاً من الأساطير. وما يؤخذ على أوليفر كمؤرخ الاستطراد في بعض الأحيان وتقديم أو تأخير بعض الأحداث وتكرارها. وأخيراً نقول أن ما كتبه أوليفر بالنسبة لمعاصره يتسم بالموضوعية إلى حد كبير.

- جاك دي فترى :

والى جانب أوليفر توجد رسائل الكاردينال جاك دي فترى Jacques de Vitry وقد ولد جاك حوالي عام ١١٨٠م وتلقى تعليمه في نيبيا، وتقلد في شبابه العديد من المناصب الدينية، وسرعان ما أصبح أحد رجال الدين المرموقين وكان تأثيره على الحركة الصليبية في بدايات القرن الثالث عشر الميلادي لا يقل عن تأثير بطرس الناسك Peter the Hermit في زمانه، وكان أيضاً من الداعين للحملة الإليجنسية التي قامت في جنوب فرنسا، كما بشر ووعظ ودعا في فرنسا للحملة الصليبية الخامسة، وكرس حياته لإعادة تعزيز الوجود الصليبي في الأرض المقدسة.

وقد حضر اجتماعات مجلس اللاتيران الكنسي شأنه في ذلك شأن زميله أوليفر. وفي عام ١٢١٦م عين أسقفاً لمدينة عكا، وصاحب الحملة الهنغارية في هجومها على ممتلكات المسلمين بالشام عام ١٢١٧م، وصاحب جاك الحملة الصليبية من بدايتها حتى نهايتها عام ١٢٢١م، ثم عاد إلى عكا وظل مقبلاً بها حتى عام ١٢٢٧م ثم عاد إلى روما. وشغل جاك بعد ذلك عدداً من المناصب الدينية منها وظيفة الكاردينالية وممثلاً للبابا في كل من فرنسا وألمانيا، وأخيراً عين بطريقاً (اسمياً) لمدينة بيت المقدس ولكنه توفي في نهاية أول مايو عام ١٢٤٠م قبل أن يتسلم مقاليد هذا المنصب.



وقضلاً عن كون جاك دي فترى من شهر العيان، فقد كان أيضاً رجل الدين الثاني ولى لشرب البابرى فى الحملة، وكان يرسل التقارير من دمياط تباعاً إلى البابا و غريغوريوس الثالث Honorius III (١٢١٦ - ١٢٢٧). وبلغ مجموع هذه التقارير سبع رسائل خمس منها كانت أثناء تواجده الحملة فى مصر فقد كانت الرسالة الأولى مؤرخة فى أوائل أكتوبر ١٢١٦م، والثانية فى ربيع ١٢١٧م، والثالثة فى أغسطس ١٢١٨م، والرابعة فى سبتمبر ١٢١٨م، والخامسة فى سبتمبر ١٢١٩م، والسادسة فى ربيع ١٢٢٠م، والسابعة فى الثامن عشر من إبريل ١٢٢١م، ولا زال هناك دراسات حول التحديد الدقيق لتواريخ هذه الرسائل التى نشرت أخيراً بلغتها الأصلية وهى اللاتينية فى عام ١٩٦٠م.

وتتمتع هذه الرسائل بأهمية بالغة، ذلك أن كاتبها حضر الاجتماعات الرسمية الخاصة بالحملة قبل وصولها إلى مصر، كما أن هذه الوثائق تحمل فى طياتها صفة الوثائق الرسمية لكونها تقارير كانت ترسل تباعاً من شخصية رسمية إلى البابوية فى روما. وتعتبر هذه الرسائل ثروة فى تاريخ الحملة نظراً للمعلومات القيمة التى وردت بها واشتملت على العديد من تفاصيل وأحداث الحملة منذ قدمها إلى مصر ووصولها فى جزيرة دمياط، وتفاصيل الفترات التنالبة التى شنها الصليبيون حتى سقوط برج السلطة وعبور الصليبيين للضفة الغربية للنيل، كما تناولت أيضاً الأحداث التى وقعت بعد ذلك خاصة حادثة الثامن والعشرين من أغسطس عام ١٢١٩م (١٥ جمادى ٦١٦هـ) ثم تفاصيل سقوط مدينة دمياط وما تلاها من وقائع كتحرير جامع دمياط إلى كنيسة كاثوليكية وتعميد الأطفال وتوزيع الفنائم وسقوط قلعة مدينة تيس، ورويتها بمطرائية دمياط. كما عالجت موضوع وحيل الملك جان دي برين وبعض الصليبيين من دمياط والأسباب الكامنة وراء هذا التصرف، والنتائج التى ترتب على ذلك، وكذلك الفساد الذى تردت فيه القوات الصليبية أثناء تواجده الحملة داخل المدينة، والتحصينات التى أقامها الصليبيون شرقى وغربى دمياط. كما أنه حاول فى خطباته إقامة الملك الكامل وعساكره فى المنصورة

والكمائنات التى كان ينصبها المسلمون للصليبيين وجهود الكامل، المعظم فى إقلاق مضاجع الفرنج بمصر والشام. وتعرض جاك دي فترى لموضوع ظهور المغول وقتذاك وما له من أثر على موقفه كل من المسلمين والصليبيين، ويؤخذ على هذه الرسائل أنها غير سلسلة الأحداث فيها تقديم وتأخير وتكرار فى بعض الأحيان. كما أنها لم تتناول المراحل الأخيرة من الحملة التى تبدأ بالرحف صوب القاهرة حتى هزيمتها والاستسلام، ويتضح من هذه الرسائل أن كاتبها كان متعصباً لديانته ومذهبه فقد كان من الذين نادوا بكثرة الشرق الأدنى الإسلامى.

وبالإضافة إلى رسائل الكاردينال جاك دي فترى الذى أمدا بمادة دسمة فى مرسوم الحملة مؤلفه المعروف باسم «تاريخ الشرق» Hostoria Orientales الذى تناول فيه أحوال الشرق بصفة عامة مع الإشارة إلى مدته وموانيه والطرق التجارية وأهمية المدن المصرية من هذه الناحية. وقد استفاد الباحث مما ورد فيه عن دمياط إذ تعرض لبعض أحداث الحملة خاصة وصف برج السلطة وأسوار مدينة دمياط وحالة المدينة بعد سقوطها فى أيدي الصليبيين.

#### - بطرس أف مونتاجو:

وإذا كان ما كتبه جاك دي فترى يصل بأحداث الحملة إلى نقطة تقدم القوات الصليبية من دمياط فكان على الباحث أن يبحث عن شاهد عيان آخر يستكمل من كتابته بقية أحداث الحملة حتى يمكن مقارنتها بما كتبه أوليفر وحتى لا يعتمد الباحث فى هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ مصر القومى على وجهة نظر أوليفر فقط، وقد عثر الباحث على ضالته المنشورة فى خطابين يتميزان بأهمية بالغة لانهما ينتميان إلى بطرس أف مونتاجو Peter of Montagu رئيس جماعة فرسان الدارية ١٢٢٠م - ١٢٢٩م وأحد شهود العيان، وكان أيضاً ضمن الرهائن الصليبية لدى الملك الكامل فى المرحلة الأخيرة من الحملة.



والخطاب الذي أرسله بطرس عقب إطلاق سراحه مباشرة فقد أرخ في  
سبتمبر عام ١٢٢٢م وهذا الخطاب مرسى إلى أسقف اليمونيم *Elimenum*  
وعنوانه «أحوال الأراضي المقدسة بعد سقوط دمياط» وأهبة هذا الخطاب  
يرجع إلى أن بطرس كان في دمياط وغادوها إلى عكا مصاحباً للملك جان دى  
برين. وظل بها فترة من الوقت تبدأ من التاسع والعشرون من مارس ١٢٢٠م.  
وتناول بطرس في هذا الخطاب أخبار سقوط دمياط وتيسر، والإمدادات  
الصلبية في حوص البحر المتوسط والضائقة المالية التي عانتها الحملة، وقيام  
الملك المعظم بالهجوم على الممتلكات الصليبية في الشام وأمل الصليبيين في  
وصول الإمبراطور الألماني فريدرىك الثانى *Frederick II* (١٢١٢ - ١٢٥٠م)  
للحاق بالحملة لقيادتها.

أما الخطاب الثانى فقد أرسله بطرس إلى أحد رفاقه ويدعى مارتل  
*Marcel* وعنوان هذا الخطاب «ضجاع دمياط» واشتمل على أحداث مجلس  
الحرب الذى عقده المندوب البابوى وبعض القادة الصليبيين الذى تقرر فيه  
الزحف على القاهرة. كما تضمن أيضاً عودة الملك جان دى برين من عكا إلى  
دمياط، وتقدم القوات الصليبية وإقامتها لجالة المنصورة وبحر أشمون بفصل  
بينهم وبين المعسكر الإسلامى، وسجل فيه كذلك تمرد بعض الصليبيين أثناء  
الزحف وعودتهم إلى دمياط ثم قيام المسلمين بكسر الجسور وإغراق المعسكر  
الصليبي ووصول هنرى *Henry* كونت مالطة إلى دمياط وانضمامه إلى رفاقه  
الصليبيين الذين رفضوا الإستسلام للمسلمين، وقد ذيل هذا الخطاب بالمعاملة  
الإنسانية التى عامل بها الملك الكامل القوات الصليبية بعد هزيمتها، وعقد  
الهدنة بين الطرفين فقد كان هو الآخر ضمن الرهائن الصليبية. وأخيراً جلاء  
القوات الصليبية عن دمياط.

وفى ختام المجموعة الخاصة بشهود العيان ترده الخطابات الأربعة الصادرة  
من بعض رجال الدين وقادة الحملة أثناء تواجدهم في دمياط للبابا هونوريوس  
الثالث وإلى بعض الشخصيات الأروبية والخطاب الأول منها مؤرخ في الخامس

عشر من يونيو عام ١٢١٨م أى بعد رسو الحملة في جزيرة دمياط بأسبوعين  
تقريباً، والثانى والثالث والرابع مؤرخة في العاشر والحادى عشر والثانى عشر  
على التوالي من شهر نوفمبر عام ١٢١٩م، أى أن الثانى مؤرخ بعد خمسة أيام  
فقط من تاريخ سقوط دمياط في أيدي الصليبيين. وتناولت هذه الخطابات رسو  
الحملة في جزيرة دمياط وعرض الصلح الذى تقدم به الملك الكامل وبعض  
الأحداث التى سبقت سقوط مدينة دمياط ثم سقوط المدينة في أيدي  
الصليبيين وحالتها عند إستيلاء الحملة عليها، هذا بالإضافة إلى طلب  
النجدات من البابا وحشه على إرسال الإمبراطور فريدرىك للحاق بالحملة في  
دمياط، ثم أخبار تخريب أسوار مدينة بيت المقدس. وهذه الخطابات أهمية  
تاريخية عظيمة لما حوته من معلومات عن الحملة رغم إنطباعها بالطابع الدينى،  
كما أنها تزيد بعض الأحداث التى رواها شهود العيان الآخرين.

#### - فيليب أف البنى :

أما المجموعة الثانية من المصادر الأجنبية فهى الخاصة بالمعاصرين من  
غير شهود العيان فيتصدرها الخطاب الذى أرسله فيليب أف البنى *Philip of*  
*Albeney* إلى رالف إيرل شستر *Ralph Earl of Chester*. وفيليب هذا هو  
أحد الفرسان الإنجليز والمعلم المخلص للملك هنرى الثالث (١٢١٦ - ١٢٧٢م) -  
واستقى المعلومات التاريخية التى وردت في خطابه أثناء إبحاره في البحر  
المتوسط بالقرب من دمياط وهو في طريقه إلى الأراضي المقدسة عندما شاهد  
سفناً عديدة تغادر ميناء دمياط وتحدث مع أحد البحارة واستقى منه بعض  
المعلومات التى تتعلق بزحف الصليبيين من دمياط صوب القاهرة وهزيمتهم  
وعقد الهدنة وتبادل الرهائن وتسليم دمياط. ولما كانت هذه المعلومات مسجلة  
بعد الهزيمة مباشرة لذلك تتضح أهميتها التاريخية والتى ترقى إلى حد كبير  
إلى ما ودنه شهود العيان.



## - تاريخ بطارقة القدس وغيرها:

والى جانب ذلك يرجد تاريخ بطارقة بيت المقدس الذى تضمن بعض المعلومات عن رجال الدين الذين اشتركوا فى أعمال مجلس اللاتيران الكنسى وفى الحملة نفسها. وكذلك تاريخ الأرشفه الابنى لقبرص وتاريخ البطارقة اللاتين لأنطاكية، وكلها تضمنت بعض المعلومات الهامة عن نشاط الأساقفة فى الإعداد للحملة، ثم حوليات الأراضى المقدسة التى تعتبر مصنفاً مختصراً لتقديلات وللم الصورى.

يضاف إلى هذه المجموعة أيضاً النصوص الخاصة بقرارات مجلس اللاتيران الكنسى والخطاب الذى أرسله البابا انوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦م) فى سنة ١١٩٨م إلى شعب البندقية بفرض تحريم الاتجار مع المسلمين، والخطاب الذى صدر منه أيضاً إلى البارونات الإنجليز فى عام ١٢١٦م يطالبهم فيه بهذا الولاء والطاعة للملك الإنجليزى هنا. وكذلك التقرير الذى أرسله بطريق بيت المقدس إلى البابا انوسنت الثالث عام ١٢١٤م الذى تناول فيه بعض المعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية عن مصر وخطاب نيقولا الأول بطريق الروم الكاثوليك بالاسكندرية إلى البابا هونوريوس الثالث فى عام ١٢٢٢م يطالبه فيه بإرسال الإمبراطور فريدريك الثانى لغزو مصر عن طريق لمرع رشيد، والوعده الذى قطعه فريدريك على نفسه بأزلا فيه الولاء للبابا انوسنت الثالث. وتنتهى هذه المجموعة بما كتبه بول ويجار Paul Wiegler باسم «الامبراطور المهرطق» "The Infidel Imperer" وقد تناول فيه مرقف الإمبراطور من الحملة ومعاقبته لهبرى كونت مالطه الذى وصل إلى دمياط عقب استسلام الصليبيين على سوء نصرته.

## - مصادر الحملة السادسة:

لم يهتم أحد بالحملة الصليبية السادسة التى تولى أمرها الإمبراطور الألماني فريدريك الثانى مثلما أهتم المؤرخون بالحملات السابقة واللاحقة، ولعل ذلك يرجع إلى ما أحاطت الحملة من مواقف البابا المعادية للإمبراطور، ورغم هذا فقد وردت أخبار الحملة متناثرة هنا وهناك فى بعض الكتب أو الوثائق أو الرسائل، وعلى ذلك يمكن تقسيم هذه المصادر إلى عدد من المجموعات.

وهناك تصنيف يرجع إلى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى، ويعرف باسم مآثر القبارصة Gestes des Chiprois، وهو يبدأ بموجز عن الأراضى المقدسة فى الفترة من ١١٣١ - ١٢٢٢م. ويتناول القسم الثانى من الكتاب الحروب التى نشبت بين أنصار أسرة إلبين الصليبية وأنصار الإمبراطور، وقد علق على ذلك فيليب دى نوفار Philip de Novare، وهو إيطالى عاش فى جزيرة قبرص وكتب بالفرنسية، وتتميز كتاباته بالحياة والرشاقة، وأدخل فى كتاباته قصائد شعرية. ولقد قدم لنا فيليب مادة تاريخية قليلة عن أحداث الحملة السادسة، فتكلم عن بعض الأحداث التى وقعت فى قبرص أولاً وبدأها بأن الإمبراطور وثناء على أوامر البابا جريجورى التاسع رغم أنه كان محروماً من رحمة الكنيسة، قد أبحر من صقلية إلى جزيرة قبرص وأنه بعد عبور البحر رسا بأسطوله فى جزيرة قبرص ومنها إبحر إلى مدينة عكا، ثم تكلم عن العلاقات السيئة التى سادت بين الإمبراطور وبين يوحنا أبلين حاكم بيروت ١١٩٧-١٢٢٦م، ثم عاد المتروخ ليتكلم عن توجه الإمبراطور إلى بلاد الشام بكامل قواته البحرية، وفى عكا اجتمعت قوات الإمبراطور مع القوات الصليبية المحلية وانجهوا إلى ياقا حيث عقدت الهدنة مع الملك الكامل، وأن دمشق كانت تحكم تحت حكم الناصر داود الذى يسيطر على القدس وضواحيها، وأن الهدنة أسفرت عن عودة القدس والناصره واللد إلى الإمبراطور فريدريك، كما ذكر أن



الإمبراطور ذهب إلى القدس ثم إلى عكا حيث قوبل بمقابلة سيئة من قبل أهل المدينة وقذفوه بالتفانيات.

وتوجد أيضاً مجموعة من مصادر الحملة وهي الرسائل المتبادلة، ومن هذه الرسائل الرسالة التي بعث بها جيرولد أف لوسان Gerold of Lausanne بطريرك القدس (١٢٢٥ - ١٢٢٩ م)، إلى البابا جريجوري التاسع بتاريخ الثامن عشر من فبراير ١٢٢٩ م، والتي تضمنت معظم نقاط اتفاقية الصلح التي نتجت عن الحملة، وتعليقات البطريرك عليها، ووجه الأهمية في هذه الرسالة أن كاتبها كان أحد أعداء الإمبراطور خلال وجوده في بلاد الشام، مما جعل اهتمامه بإظهار النواحي السلبية من الاتفاق لا يخدم الحقيقة التاريخية، موضوعاً بعض النقاط المهمة فيه والتي اختلف عليها المؤرخون مثل موقف الاتفاقية من إعادة تحصين القدس.

ويلى ذلك في الأهمية الرسالة التي بعث بها هيرمان أف سالزا Hermann of Salza، رئيس هيئة الفرسان التيوتون Teutonic (١٢١٠ - ١٢٣٩ م) إلى البابا جريجوري التاسع بتاريخ الحادي والعشرين من مارس ١٢٢٩، والتي عمل من خلالها على تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي شاعت في ذلك الوقت، وتبرئة ساحة فريدرش الثاني أمام البابا. كما وصف مراسم الاحتفالات التي جرت خلال وجود الإمبراطور في بيت المقدس، وعملية تنصيبه في كنيسة القيامة.

ومن مصادر الحملة أيضاً الرسالة التي بعث بها فريدرش الثاني إلى هنري الثالث ملك إنجلترا (١٢١٦ - ١١٧٢ م) في ١٨ مارس ١٢٢٩ يصف له فيها منجزات الحملة، وهي تعطينا وجهة نظر قائدها في النتيجة التي حصل عليها، مع الحرص الذي وجب علينا أن نتوخاه في معالجة هذه الوثيقة. لأن فريدرش كان يرمى إلى إظهار الاتفاقية على إنها انتصار كبير لم يكن ليحقق بغير مساندة الإرادة الإلهية له، وذلك كي يستغل هذا الاتفاق في صراعه مع البابوية في روما.

وفيما يتعلق بالأحداث الأخرى، مثل المخطط الحربية التي وضعت وبدأ تنفيذها قبل وصول الإمبراطور إلى الشرق، فأهم الرسائل التي تحدثت عنها رسالة جيرولد بطريرك القدس، إلى البابا جريجوري التاسع أواخر عام ١٢٢٧. وقد جاء فيها وصفاً لحالة القوات الصليبية في الشرق ولإجتماع بافا الذي تقرر فيه العمل على تحصين بافا وتيسارية تهيداً لوصول الإمبراطور فريدرش الثاني.

وبالنسبة لتطور العلاقات بين الإمبراطور والبابوية، هناك الرسالة التي بعث بها فريدرش الثاني إلى البابا إنوسنت الثالث بتاريخ الثاني عشر من أبريل ١٢١٢ م والتي تعرف «بوعد إيجرا الذهبى» The Golden of Effusion فهي تتضمن العديد من التنازلات التي قدمها فريدرش، الذي كان يسعى في ذلك الوقت لاعتلاء عرش الإمبراطورية. وهناك مرسوم حرمان الإمبراطور من رحمة الكنيسة الذي أصدره البابا جريجوري التاسع في التاسع والعشرين من سبتمبر ١٢٢٧ م، وموقف فريدرش من هذا القرار، كما ظهر من خلال خطابه لملك إنجلترا بتاريخ ٦ ديسمبر ١٢٢٧، ومن خلال منشور إلى حكام وأمرأا الغرب في مطلع الشهر نفسه.

أما بالنسبة لتطور الصراع العسكري بين القوات الإمبراطورية في إيطاليا والقوات البابوية خلال وجود فريدرش الثاني في الشرق على رأس الحملة الصليبية قلدينا رسالتان إلى فريدرش الثاني، الأولى من توما الأكويني Thomas of Aquine خلال شهر فبراير ١٢٢٩، والثانية من رينالدو أف سبوليتو Raynald of Spoleto، في مارس من السنة نفسها، وقد شرحا له الوضع العسكري السيئ لقواته هناك، واشتداد ضغط القوات البابوية عليهم، تحت قيادة حنا أف برين.

وفيما يتعلق بتطور الأحداث نتيجة للحملة السادسة لدينا رسالة من البابا جريجوري التاسع إلى فريدرش الثاني في الخامس عشر من أكتوبر



١٢٣٠م تؤكد على المصالحة التي تمت بين البابوية والإمبراطورية، وكذلك رسالة أخرى من البابا إلى فريدريك الثاني، صفته ملك بيت المقدس، خلال شهر أغسطس ١٢٣١م، وأهمية هذه الرسالة في أن البابا استعمل فيها لقب ملك بيت المقدس للإشارة إلى فريدريك الثاني للمرة الأولى منذ اتخاذ هذا اللقب، أي منذ عام ١٢٢٥م. وهناك بالنسبة للنقطة نفسها، رسالة جريجوري التاسع إلى جيرولد بطريرك القدس في يناير ١٢٣١، والتي يأمر فيها البابا باحترام الاتفاق الذي جرى إبرامه بين الإمبراطور والسلطان الكامل.

أما فيما يتعلق بتغيير وجهة الحملة إلى مصر بدلاً من بلاد الشام فلدنيا خطاب البطريرك نقولا الأول، بطريرك الروم الكاثوليك في الاسكندرية، الذي كتبه للبابا هونوريوس الثالث عام ١٢٢٢م، أي بعد انتهاء الحملة الخامسة، يخبره أنه في انتظار قدوم فريدريك الثاني إلى مصر، ويشرح له الطريق عبر قرع رشيد الذي يجب عليه أن يتجنب المأزق الذي وقعت فيه الحملة الخاصة.

بالإضافة إلى هذه الرسائل، هناك وثيقة أصلية لا تقل عنها أهمية، وهي تتعلق بخط سير الحملة الإمبراطورية، وأهمية هذه الوثيقة في كون كاتبها رافق حملة فريدريك الثاني الصليبية منذ انطلاقها من ميناء برنديزي في جنوب إيطاليا، وحتى توقفها في ميناء ليماسول Limassol في مملكة قبرص اللاتينية، ثم منذ متابعة طريقها من ميناء فاماغوستا Famagouste في الجزيرة نفسها، وحتى وصولها إلى ميناء عكا. وقد نشرت هذه الوثيقة ضمن مجموعة هوبلارد بريهول Huillard - Breholles التي عرفت بتاريخ فريدريك الثاني الدبلوماسي "Historia diplomatica Friderici Secundi" وضمت معظم الوثائق الأصلية المتعلقة بالإمبراطور، من رسائل وخطب و منشورات.

- استرداد القدس عام ١٢٤٤م:

ويوجد خطاب هام أرسله وليم شاتونيف William of Chateaufneuf مقدم هيئة فرسان الاستيارية في بيت المقدس (١٢٤٣ - ١٢٥٨م)، أرسله إلى أحد رفاقه ويدعى ملاي Melaye في مدينة نيوكاسل عام ١٢٤٤م بعد أحداث استرداد المسلمين للقدس ومعركة غزة عام ١٢٤٤م. كما يوجد خطاب آخر مرسل من أرماند بريجورد Armand of Perigord مقدم هيئة فرسان الداوية (١٢٣٣ - ١٢٤٤م) قبل أن يلقى مصرعه في هذه الأحداث، ويوجد كذلك خطاب أرسله الإمبراطور فريدريك الثاني إلى عدة شخصيات في الأراضي المتدسة وأوربا يذكر فيه الظروف التي أحاطت باسترداد المسلمين للقدس والأحداث اللاحقة لها.

وسوف أركز في هذا الموضع على الخطاب الذي أرسله وليم أف شاتونيف مقدم هيئة الفرسان الاستيارية باعتباره شاهد عيان وكان أسيراً في أيدي المسلمين بعد أحداث استرداد القدس حسبما ذكر بنفسه في خطابه، وفيهم من خطابه هذا أن هناك رسائل أخرى سابقة سبق إرسالها إلى رفيقه ملاي، وأنه كان هناك تحالف بين الصليبيين وحاكم دمشق ضد سلطان مصر، وأنه بموجب هذا التحالف تمت معاهدة كان على الصليبيين استعادة كل الأراضي الخاصة بمملكة بيت المقدس. كما ورد في الخطاب رغبة بطريرك مملكة بيت المقدس الصليبي في زيارة مدينة القدس، وعند هذه المرحلة جاءت الأخبار بأن عدداً كبيراً من البرابرة يدعون الخواريذية وثناء على أوامر من سلطان مصر قد استولوا على الأراضي المجاورة لمدينة القدس وقتلوا من بها.

وعلى إثر هذه الأحداث عقد الصليبيون القاطنون في القدس مجلساً، ورأوا أنه ليس لديهم القوات الكافية لمقاومة القوات الخواريذية فقرروا التوجه إلى مدينة يافا تحت حراسة الفرسان الصليبيين باعتبارها مدينة آمنة، وبعد أن ساروا لمسافة قصيرة رفع بعض الصليبيين أعلامهم على أسوار القدس كعلامة



على انتصارهم على المهاجمين وأرسل بانقون بالمدينة لذلك عاد المغادرون إلى المدينة. وخلال عودتهم انقض الحوادر مبيون عليهم وقتلوا ما يقرب من سبعة آلاف. كما ذكر أن القوات الحوادر مبيون كانت في مجموعها حوالي خمسة آلاف فارس وأن هذه القوات كانت تعادل عشرة أمثال القوات الصليبية، وأن القادة من هينتي الاستبارية والداوية قد لقوا مصرعهم. وأنه لم يهرب من الداوية غير ثمانية عشر، وستة عشر من الاستبارية، وأن وليم شاتونيف نفسه وقع في الأسر.

### - جوانفيل والحملة السابعة:

يعتبر يوحنا حاكم جوانفيل Jean, Sire de Joinville، وشهرته جوانفيل من أهم مصادر الحملة السابعة التي قادها وليم التاسع على مصر، وكذلك عن الأحداث التي وقعت في بلاد الشام أثناء وجود لويس بها عقب فك أسره في مصر، وكذلك عن أحداث حملته على تونس عام ١٢٧٠م.

وقد ولد جوانفيل في عام ١٢٢٥م، ومات في مدينة جوانفيل عام ١٣١٢م وينتمي جوانفيل إلى أسرة نبيلة لعبت دوراً كبيراً في مدينة شامباني الفرنسية في القرن الحادي عشر، وكان والده سيمون يعمل منشالاً في مقاطعة شامباني، وتولى أمر الدفاع عن مدينة تروى في عام ١٢٣٠م ضد هجمات الكونت ثيودور الرابع، وعندما توفي والده في عام ١٢٣٣ تولى والدته بيتركس Beatrix ابنة كونت برجانديا أمر تعليمه، فتعلم الفروسية، وتعلم القراءة والكتابة وقليل من اللغة اللاتينية.

وكان ظهور جوانفيل في البلاط الفرنسي عام ١٢٤١م في احتفال تنصيب الفرنسيون آل براتيه - أخ لويس التاسع - فارساً. ثم ذهب للحج إلى قبر القديس يعقوب في كومبستلا في شمال غرب الأندلس. وفي عام ١٢٤٨ حمل الصليب للذهاب مع الحملة السابعة إلى مصر مثله في ذلك مثل لويس الملك، ولكنه رفض أن يقسم أن يكون تابعاً للملك وتحمل نفقات عشر فرسان، وانجبه

ومن معه بالقرارب في نهر السازون ثم الررن جنوباً، ثم وصلوا بعد ذلك إلى مدينة مرسلينا في إيطاليا واهجروا منها في أغسطس عام ١٢٤٨م ثم وصلوا بعد ثلاثة أسابيع إلى مدينة ليماسول في قبرص حيث كان الملك الفرنسي لويس هناك وقد رحب به الملك وضمه إلى قواته.

ولقد لعب جوانفيل دوراً في الحملة على مصر، وتعرض لآخطار كثيرة في معركة المنصورة التي وقعت في فبراير عام ١٢٥٠م، ثم سقط مريضاً ولزم خيمته ثم أسر مع الملك لويس وحرر في مايو ١٢٥٠م، وتبع الملك بعد تحريره إلى مدينة عكا رغم نصيحة البعض له بأن يظل في فلسطين حتى يتم تحرير الأسرى الصليبيين، ولقد أعجب به الملك وقرره إليه واعطاه قباوة خمسين فارساً. وفي عام ١٢٥٣م منحه الملك أقطاعية مقابل مائتي جنيه.

ولقد سجل جوانفيل مذكراته في مدينة عكا بين عامي ١٢٥٠ - ١٢٥١م وتضمن ما كتبه كل الأحداث المتعلقة بالملك لويس، ثم كان هناك معلومات أخرى تتعلق بحملة لويس على تونس عام ١٢٧٠م. ولقد اختلف المؤرخون حول الأزمنة التي سجل فيها جوانفيل مذكراته، لكن المتفق عليه أن جوانفيل كان شاهد عيان على معظم الأحداث أو شارك فيها أو أثر عليها أو سمعها من ثقة، وأن ما كتبه يتسم بالموضوعية وأقرب إلى الواقع في كثير من الأحيان.

ويقع كتاب جوانفيل «حياة القديس لويس» The Life of Saint Louis في اثنين وعشرين فصلاً في جزئين، والجزء الأول به فصلان، صغير للغاية، وتكلم فيه المؤرخ عن الملك لويس كخادم لله وخادم للشعب الفرنسي، أما الجزء الثاني فيبدأ بالحديث عن تمرد البارونات ثم الاستعداد للحملة ويستمر حتى منح لقب القدااسة للملك لويس. ويمكن تقسيم هذا الجزء بداية من الاستعداد للحملة حتى الفصل العاشر وهو التفاوض مع المسلمين في مصر. ومرحلة أخرى هي بقاء لويس في بلاد الشام حتى عودته إلى فرنسا، ثم التنظيم الإداري للمملكة الفرنسية وأخيراً قدااسة الملك لويس.



وما بهتاً في هذا المقام الاستعداد للحملة الصليبية والتي تضمنت المرحلة من ١٢٤٤ وحتى ١٢٤٨ م. وفي هذا الجانب سجل جوفانفيل حمل الملك للصليب ومع أخوته روبرت كوث آرثوا. والفرنس كوث بواتيه. وشارل كوث أنجو. والرحلة إلى قبرص في جانب من عام ١٢٤٨ م وأثناء وجوده بقبرص وصل إليه صيغون من قبل المغول. وبعض المعلومات عن الإمبراطورية البيزنطية. وسلاجقة القروم في قونية. ومعلومات عن معرفة سلطان مصر بتوقع وصول الحملة إلى مصر. وفي الفصل الرابع وعنوانه الرسو في مصر في بداية شهر مارس ١٢٤٩. وفيه ذكر المؤلف أن المسلمين أرسلوا الحماة الزاجل إلى السلطان يخبروه برسو الملك الفرنسي ولكنهم لم يثقلوا رداً من الملك فاعتقدوا أنه مات. لذلك تركوا مراقبتهم وعادوا إلى دمياط دون أن يعطوا جسر القوارب المقام على نهر النيل.

وجاء الفصل الخامس بعنوان السيطرة على دمياط في جزء من عام ١٢٤٩ م. وفي هذا الفصل تكلم المؤرخ عن بعض العمليات العسكرية، كما تكلم عن سقوط مدينة دمياط في يد الصليبيين وتحويل جامع المدينة إلى كنيسة.

أما الفصل السادس فجاء بعنوانه العمليات العسكرية في الفترة من نوفمبر ١٢٤٩ إلى فبراير ١٢٥٠ م. وجاء فيه وصف الصليبيين لجاء القاهرة. وتكلم المؤرخ عن نهر النيل وفروعه. ومحاولة إقامة الصليبيين جسراً على النيل والمقاومة الإسلامية واستخدام المسلمين للنار الإغريقية والأبراج المتحركة. وقيام أحد البدو بإخبار الصليبيين عن مخاضة للعبور منها مقابل خمسمائة بيزانط. وانتهى الفصل بصرع روبرت كوث آرثوا.

وفي الفصل السابع تناول أحداث معركة المنصورة في الثامن من فبراير عام ١٢٥٠ م. وجاء في هذا الفصل أن المؤرخ جوفانفيل قد جرح في بعض المعارك وأن شارل كوث أنجو قد أُنقذ. وهجمات متبادلة بين القوات الإسلامية

والصليبية والقتال داخل مدينة المنصورة. ومحاصرة المسلمين لملك لوس. وقيام جوفانفيل بالدفاع عن الجسر وعودة القوات الصليبية مهزومة من المسلمين. ثم هزيمة الصليبيين لبعض القوات الإسلامية. ثم تكلم عن البدو. ومهاجمة المسلمين للقوات الصليبية بعد فرارها من المنصورة.

وتكلم المؤرخ في الفصل الثامن عن الأحداث اللاحقة في الفترة من فبراير إلى أبريل ١٢٥٠ م. وذكر الهجوم الشامل الذي قام به المسلمين على الصليبيين. ونظام الجيش الإسلامي وجند الحلقة. والمزاورة على السلطان الجديد والمقصود به تورائشاه. ومعاناة الصليبيين من المرض والجوع ومعاودة عبور الصليبيين لنهر النيل في اتجاه دمياط. وعرض الصليبيين للصلح ورقض المسلمين له.

وجاء الفصل التاسع بعنوان أسر الصليبيين. وبدأ المؤرخ بأوامر الملك بالعودة إلى دمياط. ثم أسر الملك لوس وسجنه. وقيام أحد الجنود الصليبيين الخونة بالصباح مطالباً بالاستسلام بناء على أوامر الملك فاستسلم الصليبيون. وكذلك استسلام المؤرخ جوفانفيل بعدما نجده أحد المسلمين باعتباره قريباً للإمبراطور فريدريك الثاني صديق المسلمين.

وفي الفصل العاشر الذي شمل أحداث شهرى أبريل ومايو عام ١٢٥٠ جاء عنوانه المفاوضات مع المسلمين. وذكر المؤرخ أنها كانت مفاوضات صعبة كما تكلم عن شروط الاتفاق. كما ذكر اغتيال تورائشاه. ثم تكلم عن القدية المالية وكيفية عددها بالوزن. وعن وفاة الملك لوس بتنفيذ الاتفاق. ووضع الملكة الفرنسية طفلاً سمى يوحنا ونعتوه بالحزين. وتأهب الحملة لمغادرة دمياط.

وتضمن الفصل الحادي عشر أحداث الفترة من مايو ١٢٥٠ م إلى مارس ١٢٥١ م. وجاء عنوانه الملك لوس في عكا. وجاء فيه أن الرحلة استغرقت ستة أيام في البحر من دمياط إلى عكا. والفرح الذي استقبل به في عكا.



ومتاعب ومرض المؤرخ جوفانيل. وفكرة عودة الملك إلى بلاده أم البقاء في عكا وانتصار الرأي الثاني، وعودة أخرى الملك إلى فرنسا، وبعض الأحداث الأخرى.

أما الفصل الثاني عشر فعنوانه «شيخ الجبل» والمقصود بذلك شيخ طائفة الاسماعيلية في بلاد الشام، والرسل الشهادة بينه وبين الملك لويس.

وتكلم في الفصل الثالث عشر عن المغول وذكرهم باسم التتار وذكر عاداتهم وأن أحد أمراءهم قد اعتنق المسيحية. وفي الفصل الرابع عشر تناول أحداث الفترة من مارس ١٢٥١ - مايو ١٢٥٢ م. وجاء عنوانه «الملك لويس في قيصارية». وفيه ذكر المؤرخ وصول بعض الدرمسان الصليبيين من النرويج وبعض رحلات الصيد، وعادات قبائل الكومان في سياق الحديث عن الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، كما تكلم المؤرخ عن حياته فيما وراء البحار. وبعض الأحكام التي أصدرها الملك في قيصارية.

وتكلم المؤرخ عن الفصل الخامس عشر تحت عنوان «الحملة إلى بافا» التي تضمنت الأحداث من مايو ١٢٥٢ إلى يونيو ١٢٥٣ م أي ما يقرب من عام. وذكر المؤرخ في هذا الفصل عودة رسل الصليبيين الذين قد ذهبوا إلى الجانب الإسلامي. وفيه جانب من المقارنات بين الصليبيين والمسلمين. وحديث عن برهمند السادس أمير أنطاكية وكونت طرابلس. وبعض العمليات العسكرية بين الجانب الإسلامي والصليبي. والصراع بين سلطان دمشق وأمراء مصر. وختم الفصل بنقوبة بافا والرجيل إلى صيدا.

وجاء عنوان الفصل السادس عشر «الحملة إلى صيدا» وضم أحداث الفترة من يوليو ١٢٥٣ إلى فبراير ١٢٥٤ م. وبدأ المؤرخ أن الملك حصن مدينة بافا واعتزم الذهاب لإعادة تحصين مدينة صيدا مارا بمدينة صور واعتزام الملك مهاجمة مدينة ناهلس. ومقابلة الملك لبعض الهجاج الأرمن وهم في طريقهم إلى القدس. ثم تفاصيل الحملة على باتياس وأن للمدينة ثلاثة أسوار وصعوبة

الاستيلاء عليها. وبعض العمليات العسكرية من الجانب الإسلامي ضد الصليبيين. وتكلم عن قلعة المدينة. وقُتل الصليبيين وعودتهم إلى صيدا. ثم تكلم عن استيلاء المنول على بغداد. ووصول رسل حاكم طرابيزون وكذلك ملكة مملكة بيت المقدس. وذهب المؤرخ جوفانيل إلى طرابلس. ووصول خبر موت الملكة الأم هلاتش إلى الملك لويس وهو في صيدا وحزنه الشديد.

وتحدث المؤرخ في الفصل السابع عشر عن عودة الملك إلى فرنسا مارا بجزيرتي قبرص وصقلية وبعض أخبار الرحلة ومخاطرها. وبعض الأمور الداخلية بفرنسا. وفي الفصل الثامن عشر تكلم المؤرخ عن التنظيم الإداري لملكة فرنسا وإصلاح المنشآت. وإصدار بعض القوانين. والصدقات. والمؤسسات الدينية. وفي التاسع عشر تكلم عن حملة لويس التاسع على تونس عام ١٢٧٠ م ومرض الملك أثناء الرحلة إلى تونس. ثم وفاته وحمل جثمانه ودفنه في كنيسة القديس دنيس في ضواحي باريس. وفي الفصل العشرين والأخير تكلم جوفانيل عن منح الملك الترفي لقب قديس.

ومن مصادر الحملة الصليبية السابعة أيضاً خطاب كتبه أحد فرسان الحملة ويدعى جي Guy، ويتضح من الخطاب أنه كتب في مدينة دمياط بعد الثامن والعشرين من يونيو عام ١٢٤٩ م لأنه تكلم عن بعض الأحداث بعد عيد القديس يوحنا المعمدان الذي يصادف هذا التاريخ.

وجاء في هذا الخطاب بعض المعلومات الهامة. منها أن خطة الحملة كانت تقضي بمهاجمة مدينة الاسكندرية بعد الإبحار من قبرص. وأن بعض الجواسيس أبلغوا سلطان مصر بأخبار الحملة وأن السلطان حصن القاهرة وباهليون ودمياط والاسكندرية. وتحدث أيضاً عن حديث تشجيعي من الملك لجنوده وذكر أنه إذا هزمت الحملة فيكون الصليبيون شهداء. وإذا تم النصر فيكون ذلك من أجل مجد الله وكل فرنسا.



وذكر أن عدد سفن الحملة التي وصلت إلى الشاطئ بلغ ألف وخمسمائة بالإضافة إلى مائة وخمسين لم تصل بعد، وأن أهل دمياط اندفعوا لوصول الحملة، وأن السلطان أرسل أربع شواطئ مزودة بالبحار، المهرة للاستطلاع، وتكلم عن بعض فتون الحرب والقتال، وأن المسلمين انسحبوا إلى داخل المدينة، وأن الصليبيين حاصروا المدينة يوم جمعة، ودخلوها اليوم التالي وهو السبت، وهرب أهل دمياط من بعض البرابات الصغيرة وأن دخول المدينة كان في الساعة الثالثة بعد شهر السبت، وأن المسلمين استخدموا النار الأغريقية.

كما تكلم عن وصول بعض القوات الصليبية من الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية وبعض قوات الامبتارية والداوية، وذكر بعض المعجرات ومنها أن النار الأغريقية التي أطلقها المسلمون عادت وارتدت وسقطت عليهم، وأن نفس هذه المعجزة حدثت من قبل في أنطاكية، وأن هناك بعض المسلمون اعتنقوا المسيحية، وأنهم يخدمون في صفوف الحملة بدمياط، وأنه تم الاستيلاء على جامع مدينة دمياط وتم تحويله إلى كنيسة باسم السيدة العذراء. كما أنه أشار إلى المغول باسم التتار وأن الصليبيين لا يعرفون عنهم شيئاً محدداً.

#### - قرارات مجمع ليون الثاني ١٢٧٤م:

ومن مصادر الحروب الصليبية قرارات مجمع ليون الثاني الذي عقد في الفترة من السابع من مايو إلى السابع عشر من يوليو عام ١٢٧٤م. ومن المعروف أن في هذا المجمع حضر أكبر عدد من رجال الدين، فقد ظهر خمسمائة من الاساقفة وستون من رؤساء الأديرة وأكثر من ألف من رجال الدين وأن البابا جريجوري العاشر ١٢٧١ - ١٢٧٦م كان له دوراً كبيراً في هذا المجلس. ولقد بدأ المجلس أعماله في السابع من مايو ١٢٧٤م في كنيسة القديس يوحنا في مدينة ليون الفرنسية، وأن أعمال المجلس انقسمت إلى خمس جلسات. وقد حضر هذا المجلس جيمس الأول ملك أراجون (١٢١٣-١٢٧٦م) وسفراء عن ملك فرنسا وملك إنجلترا والإمبراطور البيزنطي ميخائيل باليولوجس، ورجال

الدين البيزنطيون، وسفراء عن خان المغول. وقد دارت أعمال المجلس كلها حول الأراضي المقدسة والحروب الصليبية ووحدة الكنيسة الشرقية والغربية.

وما يهمنا في هذا الموضوع هو الحروب الصليبية، وقد تمت المراقبة على جمع ضرائب تعادل عشر الدخل من أجل حملة صليبية جديدة وعلى البابا تجميع هذه الأموال لهذا الغرض لمدة ست سنوات، ولكن الملك جيمس الأول كان يرى أن تقوم الحملة بأسرع وقت ممكن، وقد عارض ممثلو فرسان الداوية هذا الرأي لذلك تأجلت فكرة الحملة. وجاء في أعمال المجلس أن سفراء خان المغول وصلوا إلى ليون في الرابع من يوليو ١٢٧٤م للتفاوض مع البابا الذي كان يرغب أن يترك المغول الصليبيين في سلام أثناء قتالهم مع المسلمين، وجاء أيضاً أن اثنين من سفراء الخان قد تنصروا في السادس عشر من الشهر نفسه.

#### - ليودولف أف سوكيم:

ومن المصادر الخاصة بمملكة بيت المقدس ونهايتها وسقوط عاصمتها عكا في عام ١٢٩٢م ما كتبه الرحالة الألماني ليودولف أف سوكيم Ludolph of Suchem في عام ١٣٥٠م، وهذا الرحالة كان قسيساً في كنيسة سوكيم التابعة لاسقفية مدينة بادنبورن بألمانيا، وقد زار الأراضي المقدسة لفترة من الزمن انتهت عام ١٢٤١م وسجل رحلته في عام ١٣٥٠م.

وبعد أن تكلم الرحالة عن عظمة رجال مدينة عكا يقول سوف أسجل باختصار كيف سقطت وخربت هذه المدينة، وأنه سجل هذه المعلومات من رجال ثقة بحق. ويقول أن البداية ترجع إلى الصراع الذي دار في إقليم لمبارديا بإيطاليا بين الجولف والجبليين وما كان له من آثار سيئة على الصليبيين. ولقد أخذ اللمبارد الذين يسكنون في مدينة عكا جانباً في هذا الصراع خاصة بين البيازية والجنوبية وكان لكل منهما مساندة قوية في المدينة. ولقد كان للجانيين معاهدات وهدن مع المسلمين واشتد الخلاف بينهما حتى وصل إلى حد القتال.



## الفصل الخامس المصادر البيزنطية

- \* يوحنا مالالاس
- \* أجاثياس
- \* يوحنا الأنطاكي
- \* ثيوفانس
- \* صلة ثيوفانس
- \* جوزيف جنسيوس
- \* يوحنا كامينيائس
- \* نيقولا مستيقوس
- \* جورج الراهب - موناخوس - همرتولوس
- \* سيمون المستشار
- \* قسطنطين بروفيروجنيثوس
- \* ليو الشماس
- \* يوحنا سكلتيزس
- \* جورج سدرنوس
- \* ميخائيل بسلوس

وعندما علم البابا بذلك حزن حزناً شديداً وأرسل اثنتا عشر ألف من المرتزقة لمساعدة الأراضى المقدسة. وعندما وصلت هذه القوات إلى عكا لم يتصرفوا بشكل جيد بل ترددوا على الحانات وأماكن الرذيلة ونهبوا التجار والحجاج فى الشوارع العامة وخرقوا الهدن. وعندما علم سلطان مصر بذلك وكان رجلاً عاقلاً جمع جيشاً كبيراً والمجى إلى عكا فوجد تخريباً كبيراً طال أشجار الفاكهة والبساتين. وعندما رأى مقدم الدارية وليم أف بوجيه William of Beaujeu ذلك، وكان رجلاً عاقلاً أدرك أن المدينة أصبحت على وشك السقوط.

وقد تشاور مقدم الدارية مع إخوته وقرروا مقابلة السلطان لإعادة السلام خاصة أنه كان صديقاً للسلطان وعرض عليه ما يمكن عمله لإعادة الهدنة. فطلب السلطان أن يدفع كل رجل فى عكا «بنس» Penny بنفقى، ومصر مقدم الدارية لهذا العرض، ولكن أهل عكا اعتبروه خائناً ويستحق الموت، فقام السلطان بالاستعداد لاحتحام المدينة.

وتكلم ليودولف عن القتال داخل المدينة من شارع إلى شارع، وكيف هرب الرجال والنساء والأطفال عبر البحر إلى قبرص والمتاعب التى تعرضوا لها. وكيف سبقت الأسرى إلى القاهرة، وأن المدينة ظلت خالية حتى يوم أن زارها الرحالة. وقدم أعداد المقاتلين والقنلى، ومدد حصار المدينة من الخارج، والقتال داخلها، وحصار قلعة الدارية. وأن أهل الشرق الفرنجى ارتدوا السواد لسنوات عديدة. وهكذا كان الصراع بين المسلمين مدخلاً للحروب الصليبية، كما أن الصراع بين الصليبيين ووحدة المسلمين كان سبباً فى طرد الصليبيين من بلاد الشام. وهكذا طويت صفحة مريعة من الصراع بين الشرق والغرب وهى المعروفة باسم الحروب الصليبية فى الشرق.



يوحنا مالالاس John Malalas هو مؤرخ بيزنطى فى القرن السادس الميلادى ولد فى أنطاكية حيث قضى معظم حياته. وقد عاصر المؤرخ الأباطرة Anastasius I الأول (491 - 518 م) وحتى الإمبراطور جستين الثانى Justin II (565 - 578 م). وتعتبر حوليته تاريخاً لأنطاكية. ثم توسع فيها وشمل تاريخ العالم حتى أواخر جستينان (565 م). وتنقسم الحولية إلى ثمانية فصول. وقد جاء الفصل الأخير منها بخاصة عن تاريخ القسطنطينية وهذا الجزء الأخير لا ينسب إلى المؤرخ لأنه يرتبط بكتاب أرثوذكسى فى حين أن مؤرخنا كان مونوفيزياً. وقد ابتعد هذا المؤرخ عن اتباع الطرق التقليدية فى الكتابة واتبع طريقة بيزنطية جديدة. فهو لم يكتب عن الطبقة المثقفة بل كتب عن العامة والرهبان. ولعل ذلك ما جعله محبوباً من الناس. ويلاحظ على المؤرخ أنه مولع بذكر الأسما. ولعل ذلك سرجمته إلى ما وجدته فى دور المخطوطات بمدينة أنطاكية. ولقد سار المؤرخ على طريقة من سبقوه من المؤرخين مثل جوليس الإفريقى Julius Africanus.

وقد اعتنق المؤرخون الذين أعقبوه على هذه الحولية وأعطوها أهمية كبيرة وقلدوا المؤرخ فى طريقة كتابته. حتى أن الحولية قد ترجمت إلى اللغة السلافية فى زمنها. ثم دخلت فى الحوليات السلافية نفسها وكذلك إلى اللغة الجورجية (الكرجية).

#### - أجاثياس :

ولد أجاثياس Agathias فى ميريانا Myrina فى آسيا الصغرى عام 536 م وتولى فى القسطنطينية بين عامى 542 - 546 م. وهو مؤرخ بيزنطى وعطيب وشاعر. ويعتبر أجاثياس مؤرخ أساسى لعهد الإمبراطور جستينان Justinian (527 - 565 م). وعادة ما يقتبس منه المؤرخون الذين. ويبدو أنه تعلم فى العاصمة البيزنطية. وأنه قضى بعض الوقت فى مدينة الاسكندرية

- نفلور برينبوس
- ميخائيل أتاليانس
- يوحنا زوناراس
- أنا كومينا
- يوحنا كيناموس
- ليكتاس خونيانس
- يوحنا كانتاكوزين
- ميخائيل كريستوفولس
- جورج ستراتس
- نيقولا باربارو



بمصر وبعاد في عام ٥٥٤م. واحترف الأعمال القانونية وأصبح معامياً ناجحاً. وكان للمؤرخ كتابات متنوعة ولكنه تحول إلى الكتابة التاريخية في سن الثلاثين من عمره. وقد سجل كتاباته عن الأحداث من ٥٥٢ - ٥٥٨م في خمسة قصود في عمل يعرف باسم «من عصر جستنيان» On The Reign of Justinian. وفي هذا الكتاب وصف الحروب التي وقعت بين الإمبراطورية البيزنطية والقوط والوندال والفرنجية والفرس والهن. ويعتبر هذا المؤرخ مكملًا لأعمال بروكيريوس الذي كان رجلاً عسكرياً ورجل دولة، بينما يدخل مؤرخنا هذا في طائفة الشعراء والبلغاء. وقد جمع أجاثياس مادته من شهره العيان ووصف العادات والتقاليد وديانات الشعوب الأخرى التي تكلم عنها. كما أنه تكلم عن الزلازل والأمراض والمجاعات في عصره. كما تكلم عن المدن والقلاع والأنهار والقادة العسكريين الساعدين بالإضافة إلى الفلاسفة، ولذلك نرى في كتابات هذا المؤرخ ما لم نجده عند غيره من المؤرخين. وهناك شكوك تدور حول هذا المؤرخ بأنه كان وثيقاً وليس مسيحياً.

#### - بوحنا الأنطاكي:

يوجد أربعة من المشاهير يحملان اسم بوحنا الأنطاكي John of Antioch الأول هو بطريرك أنطاكية ٢٢٨ - ٢٤١م، والثاني بطريرك القسطنطينية ٥٦٥ - ٥٧٧م، والثالث هو البطريرك الأثوذكسي الذي عاصر الإمبراطور الكسبروس كورنين ١٠٨١ - ١١١٨م. والرابع هو بوحنا الأنطاكي المؤرخ الذي عاصر الإمبراطور هرقل Heraclius (٦١٠ - ٦٤١م). وهو مؤرخ في القرن السابع، وعاش راهباً، وله حولية جاءت تحت اسم "Historia Chronike" وتبدأ الحولية منذ آدم حتى نهاية عهد الإمبراطور قوقاس Phokas ٦١٠م. وقد استعان هذا المؤرخ ببعض المؤرخين السابقين مثل سكتوس، وجوليوس الأفريقي، ويوسبيوس، وألفينوس ماسيلينوس وآخرين. ولم يبق من كتابه هذا سوى بعض المقتطفات.

#### - ثيوفانس:

هو ثيوفانس الماعترف Theophanes The Confessor أو القديس ثيوفانس وهو غير ثيوفانس البيزنطي الذي عاش في القرن السادس الميلادي. وقد ولد ثيوفانس الماعترف في عصر صراع عبادة الأيقونات. ويرى البعض أنه ولد في الفترة من ٧٥٢ - ٧٦٠م، بينما يرى الآخرون أنه ولد في عام ٧٥٨. ومات منقياً في جزيرة ساموثشراك Samothrake في شمال بحر إيجه عام ٨١٨م. وقد ولد لأبوين من الطبقة العليا الغنية المتدينة، فوالده يدعى إسحق وأمه تسمى ثيودورا. وقد أصبحت هذه الأسرة مرتبطة بالأسرة المقدونية التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية لمدة قرنين من الزمان. غطت الإمبراطورية (٨٦٧ - ١٠٦٥م). وبعد وفاة والديه تولى تعليمه وتربيته الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١ - ٧٧٥م). وخلال عهد ابنه الإمبراطور ليو الرابع (٧٧٥ - ٧٨٠م) حمل ثيوفانس لقباً رفيعاً داخل الإمبراطورية. ويقال أنه تزوج أو ربما خطب وهو في سن الحادية عشر ابنه أحد المستشارين البيزنطيين وتدعى ميغالو Megalo، ولكنه لم يكن زواجاً فعلياً. وقد انفصلا بعد وفاة والد الفتاة. وسكنت الفتاة الرهبانية في أحد الجزر قرب القسطنطينية، بينما سلك ثيوفانس الرهبانية بالقرب من مدينة فيزقوس Cyzicus، ثم بنى ديراً عرف باسم الأرض العظيمة وتولى رئاسته. وقد حضر مجمع نيقية الثاني (٧٨٧م) ووقف موقفاً مسانداً لعبادة الأيقونات ووقع على المراسيم الخاصة بذلك. وعندما قام الإمبراطور ليو الخامس ٨١٣ - ٨٢٠م بتسلي حكم الإمبراطورية أمر بإحضار ثيوفانس إلى القسطنطينية، وحاول ضمه إلى جانيه في محاربة الأيقونيين ولكن دون جدوى فسجنه لمدة عامين ذاق خلالها صنوف العذاب، ثم نفاه إلى جزيرة ساموثشراك حيث مات بعد سبعة عشر يوماً عام ٨١٨م. وقد منحه الكنيسة البيزنطية لقب الماعترف. وتروى الكثير من المعجزات بعد وفاته.



وحولية ثيوفانس The Chronicle of Theophanes تعتبر حولية غير عادية، ومثيرة للجدل في عدة جوانب لا أستطيع الدخول في تفاصيلها على هذه الصفحات، ولكنني سوف أكتفي بالإشارة إلى ما هو ضروري منها. والحولية تبدأ من عام ٢٨٤ - ٨١٣ م أي منذ تولية الإمبراطور دقلديانوس وتنشئ تقريباً بالإمبراطور ليو الخامس. ويرجع ذلك إلى أن الحولية هي تكملة لأعمال جورج سينكلوس Syncellus وهو زميل للمؤرخ في الرهبانية كتب حولية منذ خلق سيدنا آدم، وعندما توفي جورج هذا في عام ٨١٠ م أو ربما في العام الذي يليه كان قد وصل بالحولية إلى العام الذي مات فيه، وقد تعهد ثيوفانس بإكمال الحولية وسجل المرحلة التالية حتى عام ٨١٣ م، وأن كان هناك داخل الحولية بعض الإشارات التي وقعت في عام ٨١٥ م.

رواق الحال أن المعلومات التي وردت في حولية ثيوفانس عن القرون الثلاثة الأولى تعتبر عديمة القيمة تاريخياً. أما الفترة من ٢٨٤ - ٦٠٢ م فهي الأخرى قليلة القيمة إذا تورنت بالمصادر المعاصرة لهذه الفترة وما ورد بها من معلومات تاريخية. أما الفترة من ٦٠٢ حتى ٨١٣ فإن المعلومات الواردة فيها فهي هامة خاصة أن المصادر التي نقلت منها هذه المادة قد فقدت، وبذلك ظل ما كتبه ثيوفانس هو المصدر الرئيسي لهذه المرحلة خاصة أنه لا توجد مصادر أخرى ذات قيمة.

والحقيقة أن هذا أمر يدعو للفرابة خاصة أن القرن السابع يعتبر فترة حروب وبها أحداث كثيرة، ولعل ذلك يرجع إلى أن هناك من سجلوا الأحداث ولكنهم كانوا من اللاأيقونيين ولذلك دمرت كتاباتهم بعد أنتصار الأيقونيين. ويلاحظ أنه بعد اهتمام المؤرخ ثيوفلاكت أن سيمركاتا Theophylakt of Simokatta في عام ٦٠٢ م بإيعاز من الإمبراطور موريس، لا يوجد عمل تاريخي لمدة قرنين من الزمان، وكان على ثيوفانس أو من كتب الحولية قبله أن يتعامل وينقل من المتاح له وهو قليل. لقد نقل بعض مصادره التاريخية من الشاعر جورج أن بسيدا George of Pisidia عن عهد الإمبراطور هرقل الذي

دافع عن الإمبراطورية البيزنطية ضد الإمبراطورية الفارسية، واستعان بما كتب عن حياة القديس مكسيموس المترف St. Maximus The Confessor فيما يتعلق بالموحدين. أما فيما يختص بالجزء الأخير من القرن السابع الميلادي والجزء الأول من القرن الثامن الميلادي فلعله استعان بما كتبه تراجان Trajan الذي كان يحمل لقب بطريق وكتب عن قسطنطين الخامس، كما استفاد من هؤلاء المؤرخين المؤرخ نقفور، ولعل ثيوفانس قد استفاد من بعض المصادر السريانية التي استفاد منها ميشيل السرياني وابن العبري.

وعلى أية حال قلدينا الآن الحولية المنشورة باللغة الإنجليزية في الفترة من التاريخ العالمي ٦٠٩٥ - ٦٣٠٥ وهي تعادل السنة الميلادية ٦٠٢ - ٨١٣ م. وهي مزودة على طريقة السنوات، وقد سجل المؤلف التاريخ البيزنطي وعلاقة الإمبراطورية بالدول المجاورة خاصة الشرقية. وقد أعتاد المؤرخ تقريباً أن يسجل في بداية كل عام إسم الإمبراطور البيزنطي ويليه إسم الإمبراطور الفارسي، ثم أسقف القسطنطينية، فإسم أسقف القدس وأخيراً إسم أسقف الاسكندرية. ومنذ عام ٦٣٠ م بدأ المؤرخ بحذف إسم الإمبراطور الفارسي ويضع إسم الحاكم العربي الإسلامي بداية من سيدنا محمد ويليه سيدنا عمر بن الخطاب وهكذا مع الدولة الأموية والعباسية مع بعض الاستثناءات.

وقد نشرت الحولية باللغة الإنجليزية بداية من عام ٦٠٢ م وهي تقع في مائة وإحدى وثمانين صفحة لتغطي أحداث حوالي مائتي عام لذلك جاءت المعلومات التاريخية مختصرة للغاية. وقد تضمنت الحولية أحداثاً عن الشرق والغرب، وما تناولته عن الشرق العرب الذين ورد إسمهم أيضاً تحت إسم الشرقيين Saracens أو الهاجريين Agarens نسبة إلى السيدة هاجر، والمقصود بذلك أيضاً المسلمين. كما ورد ذكر الأتراك وتحركاتهم عند بحر قزوين، والإيرانيين نسبة إلى إيبيريا Iberia وهي المنطقة التي تقع بين بحر قزوين والبحر الأسود وهي غير إيرانية أي أسبانيا والبرتغال حديثاً والاتدلس قديماً. ومن الدول مثل مصر واليمن وأثيوبيا. ومن المدن العديد مثل القسطنطينية



والاسكندرية ودمشق وعسيرة وأنطاكية والرها والقدس، ومن الجزر مثل قبرص وصقلية ورووس وأرودا المتناقلة لمدينة طرابلس وأطلق عليها اسم أرادوس Arados، ومن الأسماء أسماء الحكام المسلمين والبيزنطيين وبعض الشخصيات والقادة مثل عبد الله بن الزبير والحجاج بن يوسف الثقفي، وعبد الرحمن الداخل، وأبو مسلم الخراساني، وفي البلاد الأوربية ذكرها باسم رومانيا، وأرض الفرنجة، كما تكلم عن الآقار والهدون والبلغار ومهاجمتهم لإقليم تراقيا، وأسيانيا وشارلمان وعلاقته بالباباوية والإمبراطورية البيزنطية وبعض أحوال صقلية.

وقد ورد في الحولية حملة مسلحة على القسطنطينية ودفاع الإمبراطور ليو الأسوري (٧١٧ - ٧٤١ م) عنها في عام ٧١٧ م. والعلاقات بين المسلمين والإمبراطور جستبان الثاني والسفارات المتبادلة واتفاقية السلام واتسحاب المردة من لبنان. كما ذكر المؤرخ العلاقات الحربية والسلمية بين هارون الرشيد والإمبراطورة إيرين Irene (٧٩٧ - ٨٠٢ م) والجزية التي تحملتها الإمبراطورة البيزنطية، والإمبراطور ثقفور البيزنطي ثقفور الأول (٨٠٢ - ٨١١ م) وعدم دفع الجزية للمسلمين وما تبع ذلك من حروب وهزيمته أمام قوات هارون الرشيد والعودة إلى دفع الجزية مرة أخرى.

وهناك العديد من الأخطاء في الأسماء وبعض الأحداث، ومن ذلك عندما تكلم عن معركة تور أو بواتيه وأن الملك الفرنجي «بين» هزم المسلمين عام ٧٣٢ م، والصواب أن الذي قاد المعركة هو شارل مارتل. وعلى أية حال فالحولية لا غنى عنها لعدم وجود مصادر بيزنطية معاصرة لها تقريباً. وعلى الباحث أن يقرأها بعناية فائقة حتى يصل إلى نتائج طيبة.

- صلة ثيوفانس:

وصلة ثيوفانس Theophanes Continuatus، هي اصطلاح مشتق عليه بين المؤرخين ينطبق على مجموعة من المصادر محفوظة في مخطوط واحد ينتمي إلى القرن الحادي عشر. وهذا المخطوط يتكون من أربعة أجزاء منفصلة تغطي أحداث الفترة من ٨١٣ - ٩٦١ م. ويضم الجزء الأول المرحلة من ٨١٣ - ٨٦٧ م، وهو يختلف في أسلوبه عن أسلوب ثيوفانس المعترف. والجزء الثاني يتناول الفترة من ٨٦٧ حتى ٨٨٦ م وهو يتحدث عن الإمبراطور بازيل الأول Basil I (٨٦٧ - ٨٨٦ م) ويطلق عليه أعمال بازيل Vita Basilii. والثالث اختص بالمرحلة من ٨٨٦ حتى ٩٤٨ م وهو يقارب إلى حد كبير ما كتبه المؤرخ سيمون المستشار Symeon Logothete. وفيه تناول الكاتب جانباً كبيراً من عهد الإمبراطور رومانوس ليكاپينوس Romanus Lekapenos ٩١٩ - ٩٤٤ م. أما الرابع والأخير فقد سجل أحداث الفترة من ٩٤٨ - ٩٦١ م، وينسب البعض إلى المؤرخ ثيودور دافنوباتس Theoder Daphnopates الذي تولى منصب رئيس المحكمة الإمبراطورية في عهد رومانوس ليكاپينوس.

وقد كُتِبَ الجزء الأول بتكليف من الإمبراطور قسطنطين السابع برودجيرجيتوس ٩١٣ - ٩٥٩ م ليسجل أعمال الأسرة المقدونية (٨٦٧ - ١٠٥٧ م) بصورة رائعة. والعمل الثاني هو مديح للإمبراطور بازيل الأول. أما العمل الثالث ففيه إضافات لتزيد من قيمة الأسرة المقدونية، والأخير يتناول العلاقات المتقلبة التي سادت بين الإمبراطور قسطنطين السابع والوصى عليه الإمبراطور رومانوس ليكاپينوس. ومن أهم الأحداث التي وردت في صلة ثيوفانس نذكر منها إعتلاء قسطنطين السابع العرش، وتتويج سيمون ملك البلغار في عام ٩١٣ م، ومهاجمة الإمبراطورية البيزنطية للبلغار عام ٩١٧ م، والسلام الذي عقد بين الإمبراطورية والبلغار في عام ٩٢٤ م، وزواج بطرس تيصر بلغاريا من الأميرة البيزنطية ماريا ليكاپينا Maria Lekapena.



- جوزيف جنسيوس :

وأرد في هذه المرحلة أن أذكر المؤرخ جوزيف جنسيوس Joseph Genesios (٩١٢ - ٩٥٩ م) والذي تكلم عن الفترة الثانية عن الصراع الأيقوني وذكر الأحداث التاريخية حتى عام ٨٨٦ م. ولعل أهم ما قدمه بعض المعلومات عن الإمبراطور ميخائيل الثالث ٨٤٢ - ٨٦٧ م. والإمبراطور بازيل الأول ٨٦٧ - ٨٨٦ م.

- يوحنا كامينيائس :

يعتبر يوحنا كامينيائس John Kaminates من أفضل من كتبوا عن الغارة التي شنها القائد الإسلامي ليو الطرابلسي على مدينة سالونيك في عام ٩٠٤ م. وجاء عنوان ما كتبه في المصادر البيزنطية تحت اسم The Capture of Thessaloniki، فقد وقع هنا المؤرخ في أسر المسلمين وكتب وهو في الأسر في عام ٩٠٥ م خطاباً إلى جرجوري أف قبادوقيا Gregory of Kappadokia في شهر سبتمبر يصف فيه المدينة وتحصيناتها، وكيف هاجمها الأسطول الإسلامي بحوالي أربع وخمسين شانه بعد أن تحول عن مهاجمة القسطنطينية إلى مهاجمة سالونيك، وكيف استعد أهالي المدينة على وجه السرعة للدفاع عن المدينة خاصة الميناء والتجذات التي أرسلها الإمبراطور ليو السادس (٨٨٦ - ٩١٢ م).

لقد ذكر يوحنا أن الأسطول الإسلامي هاجم المدينة في فجر يوم الأحد التاسع والعشرين من يوليو في عام ٩٠٤ م السنة العالمية وتعادل عام ٩٠٤ م وتكلم عن خليج المدينة وحالة البحر وكيف أختار ليو الطرابلسي الموضع الذي سيتم منه الهجوم على المدينة، والسلسلة الحديدية التي كانت تسد مدخل الميناء والعوائق التي تعترض المدخل من كتل حجرية وبعض مراكب السفن الفارقة وأسوار المدينة وبوابتها المصقفة، وكيف استعمل المسلمون السلالم الخشبية لإعتلاء السور، وكيف دافع أهل المدينة بكل ما لديهم من إمكانيات، وأنه كانت هناك بوابة للمدينة تسمى بوابة روما Rome Gate وهي قريبة من البحر،

وكيف استعمل المسلمون القوارب الصغيرة في مهاجمة المدينة، وكيف هرب أهل المدينة إلى الجبال وغير ذلك. وأهم ما قدمه المؤرخ هو فن الحرب والقتال على المدينة بالإضافة إلى تحصينات المدينة. ويلاحظ أن المؤرخ قد ذكر المسلمين بأنهم البرابرة وأن القائد البحري ليو الطرابلسي كان مدسحياً ثم دخل الإسلام.

- نيقولا مستيقوس (كاتم الأسرار) :

ولد نيقولا مستيقوس Nicholas Mysticus حوالي عام ٨٥٢ م. ومن المرجح أنه يرجع إلى أصل إيطالي، وقد تعلم على يد فوثيوس Photius بطريرك القسطنطينية ٨٥٨ - ٨٦٧ م، ٨٧٧ - ٨٨٦ م، وقد تأثر ببقولا باستقائه كثيراً وسار على نهجه خاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين المسلمين والبلغار. وعندما عزل فوتيوس في المرة الثانية خاف نيقولا ولجأ إلى دير القديس تريفون St. Tryphon قرب خلقدونية. ويبدو أن الإمبراطور ليو السادس Leo VI ٨٨٦ - ٩١٢ م قد شعر بما ارتكبه من خطأ فدعا نيقولا إلى قصره وعينه سكرتيراً خاصاً أو كاتم أسرار. وفي عام ٩٠١ م عين الإمبراطور نيقولا بطريركاً للإمبراطورية ٩٠١ - ٩٠٧ م، وعندما توترت العلاقات بين الإمبراطور والبطريرك بسبب الزواج الرابع للإمبراطور عزل نيقولا من منصبه، ولكن الإمبراطور أعاده مرة أخرى ٩١٢ - ٩٢٥ م وهو على فراش المرض. وعندما توفي ليو تولى أخوه الإسكندر عرش الإمبراطورية (٩١٢ - ٩١٣ م) الذي استدعى نيقولا في أواخر أيامه وعينه في مجلس الرضاية على الإمبراطور القاصر قسطنطين السابع، وظل كذلك حتى عام ٩١٨ م عندما تزوجت الإمبراطورة زوي Zeo من القائد رومانوس ليكاينوس وأصبح إمبراطوراً.

وقد ظل نيقولا في منصب البطريركية حتى وفاته في عام ٩٢٥ م. ومن الواضح أن نيقولا قد امتلك خبرة واسعة في الشؤون الدينية والسياسية وأنه أطلع على خبايا الإمبراطورية الداخلية، وكذلك في السياسة الخارجية خاصة مع



المسلمين والبلغار. وحقيقة الأمر أن نيقولا لم يكن مؤرخاً ولكن أهميته ترجع إلى مجموعة من الرسائل بلغ عددها حوالي مائة وتسعين رسالة نشرت باللغة الإنجليزية في عام ١٩٧٣ م. وهذه الرسائل هي وثائق صادرة من مسئول في الإمبراطورية إلى العديد من رجال الدين والحكام المسلمين والبلغار شملت السياسة الداخلية والخارجية، ولعل أهم هذه الرسائل ما أرسل إلى الأمير العربي أمير كريت وإلى سيمون حاكم بلغاريا ٨٩٣ - ٩٢٧ م. وفي الرسائل الأخيرة الكثير من المعلومات السياسية والعسكرية الصادر من مسئول وشاهد عيان على الأحداث.

#### - جورج الراهب أو موناخوس أو همرتولوس:

يُعرف جورج الراهب أيضاً باسم جورج موناخوس Monachus أو همرتولوس Hamartolus. وكان هذا المؤرخ راهباً في القسطنطينية في عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث (٨٤٢ - ٨٦٧ م). وكلمة همرتولوس ليس اسم، ولكنه لقب أضافه المؤرخ كلقب لأعماله، ولا يعرف عن هذا المؤرخ شيئاً سوى أنه كان راهباً حسبما أشار في حويلته وأنه كان معادياً لعبادة الأيقونات. والحقيقة أن ما قدمه هذا المؤرخ يعتبر هاماً في التاريخ الحضاري البيزنطي لأنه يناقش الكثير من القضايا الديرية في عصره والعقيدة الإسلامية. وقد شكلت الطريقة التي كتب جورج الراهب حويلته قاعدة رئيسية لكتابة التاريخ العالمي خاصة بعد قطيعه فوتيوس Photius تقريباً. كما أنه ترك أثراً كبيراً على الكتاب السلافيين الأدباء. كما أنه أثر كثيراً على الحوليات الروسية التي تتطابق مع حويلة جورج الراهب. وتعتبر حويلته الوحيدة التي تتناول أحداث الفترة من ٨١٢ حتى ٨٤٢ م بعد أن فقدت أو أتلقت الحوليات الأخرى. والحقيقة أن حويلة جورج الراهب تتعامل مع الأحداث من وجهة نظر ديرية ضيقة، وقد استقى هذا المؤرخ معلوماته التاريخية من أفواه معاصريه ومن ملاحظاته الشخصية. كما دخل العديد من الأحداث على الحويلة الأصلية، كما أضيف إليها معلومات في مرحلة تالية حتى وصلت إلى عام ٩٤٨ م.

وتتكون حويلة جورج الراهب من أربعة أقسام. وسجل القسم الأول الأحداث التاريخية من عهد آدم حتى الاسكندر الأكبر، ويتعلق القسم الثاني بالتاريخ الوارد في التوراة. أما الثالث فهو عن التاريخ الروماني منذ عهد يوليوس قيصر حتى الإمبراطور قسطنطين الكبير، وجاء الرابع ليستمر في الأحداث حتى عصره. وكما هو معروف لدى المؤرخين أنهم يتعاملون مع الأحداث المعاصرة للمؤرخ. وبذلك يكون المؤرخ يكون قد استخدم المصادر السابقة ولكنه قدمها بصورة منقحة وعالج الأحداث وقدمها بصورة حقيقية قدر استطاعته ومن وجهة نظره بدلاً من ترك القارئ ليقوم بهذا العمل بنفسه.

#### - سيمون المستشار:

إن حويلة سيمون The Chronicle of Symeon Logothere قد حفظت في ثلاثة أشكال. وأن الأصل قد كتب ليمجد أعمال الإمبراطور رومانوس ليكاينوس وتعتبر مكملة لصورة مصغرة للمؤرخ جورج الراهب George The Monk، أو كما يقولون حويلة بسيرو - سيمون Pseudo-Symeon، وهي محفوظة في ترجمة سلاقية، وأن هذا العمل محفوظ في أكثر من ثلاثين مخطوطة منفصلة. ويعتقد أن سيمون كان مؤرخاً مجبوراً. وأن التاريخ المعادل له والمعروف باسم صلة ثيوفانيس محفوظ في مخطوط مستقل. وتغطي هذه الحويلة أحداث الفترة من ٨٤٢ - ٩٤٨ م، وهي تتكون من ثلاثة أجزاء تختلف في الأسلوب. وتتكون الجزء الثالث الفترة من ٩١٢ - ٩٤٨ م، وهي الفترة التي تبدأ من اعتلاء قسطنطين السابع العرش حتى وفاة رومانوس ليكاينوس.

والحقيقة أن معلوماتنا عن هذا المؤرخ قليلة للغاية، وقد دار جدل كثير حول شخصية هذا المؤلف، إنما يمكن القول أنه كان مؤرخاً رسمياً في عهد الإمبراطور رومانوس ليكاينوس. وأنه قدم تاريخ الأسرة نقدونية في أفضل صورة. وما قدمه المؤرخ الهجوم البيزنطي على بلغاريا عام ٩١٧ م، والصلح



الذي تم بين رومانوس ليكابينوس والقيصر سيمون البلقاري في عام ٩٢٤م،  
وزواج القيصر البلقاري بطرس من الأميرة البيزنطية ماريا ليكابينيا عام  
٩٢٧م.

#### - قسطنطين بورفيريوجينيتوس:

هو الإمبراطور قسطنطين السابع (٩١٣ - ٩١٩م) تحت الوصاية ثم  
الاعتصام رومانوس الأول ليكابينوس العرش منه (٩١٩ - ٩٤٤م). ثم عاد إلى  
عرشه حتى مماته في عام ٩٥٩. ويعرف قسطنطين باسم بورفيريوجينيتوس  
Porphrogenitus أي المولود في غرفة الزوجية الإمبراطورية لأن هناك شك  
في شرعيته، لذلك أضفى على نفسه هذا اللقب. ولقد ورث قسطنطين عن أبيه  
الإمبراطور ليو السادس حب المعرفة، وزاد هذا الحب بالعزلة التي فرضت عليه،  
لذلك كرس جهده بحماس لا يعرف الكلل لدقائق الأقسام الإدارية والمراسم  
الإمبراطورية، كما أهتم بالفنون والآداب والتاريخ والآثار.

والواقع أنه يصعب مقارنة الإمبراطور قسطنطين بأباطرة عصره من حيث  
عمق الثقافة واهتمامه بجمع المعلومات. فقد أعد عدة كتب وأنشأ مكتبات  
أكتسب منها خلفاؤه معارفهم، وفضلاً عن ذلك فقد بلغت الإمبراطورية في  
عمره مجداً عسكرياً إلى جانب المجد الثقافي.

ومؤلفات هذا الإمبراطور المؤرخ والكاتب متعددة وفي موضوعات  
مختلفة: منها كتاب عن مراسيم البلاط البيزنطي De Cerimoniis Aulae  
Byzantinae، وكتابه إدارة الإمبراطورية De Adminstrado Imperio،  
وكتاب حياة بازيل Vita Basili ليكون تاريخاً لمجده الإمبراطور بازيل وهو الذي  
أشرفنا إليه في صلة ثيودانيس، وكتاب آخر عن الشبكات De Thematibus،  
وكتاب عن الآثار الدينية لمدينة الرها Narratio de Imagine Edessenah.

وسوف اكتفى في هذه الصفحات بالإشارة إلى كتابين أولهما كتاب إدارة  
الإمبراطورية، وقد ترجمت هذا الكتاب إلى اللغة العربية وعُلت عليه، وهو من

إصدارات دار النهضة العربية - بيروت في عام ١٩٨٠. وهذا الكتاب يقدمه  
الإمبراطور قسطنطين السابع إلى ابنه رومانوس. وقد تناول هذا الكتاب  
موضوعات مختلفة اشتملت على معلومات تاريخية وجغرافية واجتماعية  
ودينية ودبلوماسية ونظام الحكم والإدارة. بهدف تعليم ولي عهده شئون الحكم  
وإدراكه بخصايها وشئون الإمبراطورية السابقة والمعاصرة له، وتزويده بخبرات  
الآخرين للتصرف على ضوئها في الظروف الماثلة.

والكتاب وإن كان يحتوي على نصائح وخبرات فإنه يقدمه لابنه كوثيقة  
سرية لأنه يتضمن الكثير من المبادئ السياسية في معاملة الشعوب خاصة  
العناصر التي تقطن شرق وشمال وغرب الإمبراطورية، وإن الإقصاح عنها  
يجعلها عديمة الفائدة، هذا بالإضافة إلى أسرار صنع النار الأخرقية والزواج  
من أجنبيات، وأطباع الشعوب في شراء الإمبراطورية.

أما الكتاب الثاني وهو كتاب المراسيم، وفي هذا الكتاب ورد كيفية  
تنويع الإمبراطور، وحفل التنويع وكيفية دخول المدعوين إلى الكنيسة وترتيب  
دخولهم. وما ورد أيضاً مخاطبة الملوك والحكام والأمراء وكبار رجال الدين  
والبابا وصيغة الخطاب والديباجة واللغة والصيغة العامة للمراسلات، وكذلك  
إرسال السفراء إلى الخارج، واستقبال الإمبراطورية لسفراء الدول الأجنبية والدول  
الأولى بالرعاية.

#### - ليو الشماس:

ولد المؤرخ البيزنطي ليو الشماس Leo Diaconus في كالير Kaloe  
الواقعة عند سفح جبل تمولوس Tmolos الواقع جنوب مدينة سارديس Sardes  
في غرب آسيا الصغرى في عام ٩٥٠م، وتاريخ وفاته ليس معروفاً لدينا. وقد  
قدم في شبابه إلى القسطنطينية حيث درس بها، وكما يتضح من اسمه فقد  
تلقى تعليماً دينياً وحصل على لقب الشماس. وفي عام ٩٨٦م اشترك في  
الحرب ضد البلغار تحت قيادة الإمبراطور بازيل الثاني (٩٧٦ - ١٠٢٥م)



رشارك في حصار مدينة صوفيا Sofia حيث هُزم الجيش الإمبراطوري وقد نجح بحياته بصعوبة بالغة. وقد بدأ كتابه التاريخ البيزنطي بعد عام ٩٩٢م وإن ما تركه من كتابه تاريخية غير مكتمل، ولعل ذلك مرجعه إلى وفاته قبل أن يتم عمله بعد عام ٩٧٥م.

وينقسم كتاب ليو الشماس إلى عشر فصول تغطي أحداث الفترة من ٩٥٩ حتى ٩٧٥م. وهذه الفترة تتكلم عن حكم الإمبراطور رومانوس الثاني ٩٥٩ - ٩٦٣م. والإمبراطور نقفور فوكاس Nicephorus Phocas (٩٦٣ - ٩٦٩م). والإمبراطور يوحنا زيمسكيس John Zimiscees (٩٦٩ - ٩٧٦م). ويصف لنا المؤرخ الحرب ضد المسلمين وغزو الإمبراطور نقفور لجزيرة كريت واستعادتها من المسلمين في (٩٦٠ - ٩٦١م) وانتصارات قوات الإمبراطورية في قيليقية، وجزيرة قبرص (٩٦٤ - ٩٦٥م) وكذلك الحرب على مدينة أنطاكية وشمال سوريا ضد المسلمين أيضاً (٩٦٨ - ٩٦٩م)، والحرب على البلقار في عام ٩٦٩م، وانتصارات الإمبراطورية البيزنطية في جنوب روسيا عام ٩٧١م. ولربما يتعلق بالأحوال الداخلية في الإمبراطورية تكلم المؤرخ عن موت الإمبراطور رومانوس الثاني في عام ٩٦٣م، واغتيال الإمبراطور نقفور فوكاس في عام ٩٦٩م.

وفيما يتعلق بمهد الإمبراطور نقفور فوكاس ويوحنا زيمسكيس يعتبر ما كتبه ليو الشماس المصدر الوحيد لهذه المرحلة. ومنه أخذ المؤرخون اللاحقون له مادتهم التاريخية. وأنه كان شامدا عيان على ما كتبه أو أنه نقلها عن شهود عيان موثوق بهم.

ويؤخذ على المؤرخ أنه كان منحازاً للإمبراطورية البيزنطية، وأنه اقتبس بعض عبارات من المؤرخ اليوناني هومر صاحب الإلياذة والأوديسا، وبيروكريبوس ومن آيات الكتب المقدسة، ورغم هذا كله فلم يكن ما كتبه ليو الشماس مقبولا بكامله في القرون التالية له.

#### - يوحنا سكليتزس:

يوحنا سكليتزس Skylitzes صاحب كتاب مختصر التاريخ Synopsis Historiarum، ويقول المؤرخ في مقدمة كتابه أنه شغل منصب نائب الأدميرال البحري، ثم أصبح عميداً للقصر الإمبراطوري، وأخيراً منصباً رفيعاً في الهيئة القضائية. لقد عاش هذا المؤرخ وكتب في نهاية القرن الحادي عشر، ويحتمل أن يكون ذلك في السنوات الأولى لحكم الإمبراطور الكسيوس الأول كومنين، ويعطى كتابه الأحداث التاريخية من ٨١١ - ١٠٥٨م. ويبدو من عام ٨١١م أنه مكملًا للمؤرخ نيو فانيس الذي كان بدوره مكملًا للمؤرخ جورج الراهب، وقد مدح المؤرخ سكليتزس كل من المؤرخين السابقين. كما كتب عنه المؤرخ بيلوس وقال أن مختصر التاريخ جاء موجزاً وغير دقيق. ورغم هذا كله يعتبر مختصر التاريخ من أفضل الكتب، ويتطابق الحقيقة، ومكملًا للمؤرخ نيو فانيس ومعادلاً له.

ومن النقاط الهامة التي قدمها المؤرخ معركة كليديون Kleidion التي دارت أحداثها في التاسع والعشرين من يوليو عام ١٠١٤م بين القوات البيزنطية بقيادة الإمبراطور بازيل الثاني (٩٧٦ - ١٠٢٥م)، وسموتيل حاكم البلغار التي قُتل فيها الآلاف من البلغار وأسُر فيها خمسة عشر ألفاً. وقد أمر الإمبراطور بتقسيم الأسرى إلى مئات، وقد سمل عيون تسعة وتسعون وأبقى عيناً واحدة للجندي الباقي، وطلب من هؤلاء سحب القوات البلغارية إلى حيث يوجد سموتيل الذي هرب من ميدان المعركة، وعلي أثر هذا المنظر أصيب سموتيل بأزمة قلبية مات بعد يومين منها في السادس من أكتوبر ١٠١٤م.

#### - جورج سدرنوس:

وأود أن أشير في هذا المكان إلى أهمية هذه الحولية، فإن معظم ما كتبه المؤرخ جورج سدرنوس George Cedrenus الذي عاش في القرن الحادي عشر وأنهى ما كتبه في عام ١٠٥٧م - منقول من حولية يوحنا سكليتزس.



- ميخائيل بسلوس :

والإسم الأصلي لهذا المؤرخ هو قسطنطين بسلوس Psellus. وقد غير اسمه إلى ميخائيل بسلوس. وقد ولد هذا المؤرخ في القسطنطينية عام ١٠١٨م ويقع تاريخ وفاته بعد عام ١٠٧٨م، وكان في حياته نشيطاً ذكياً موهوباً، وترى على أفكار الفيلسوف اليوناني هومر. وقد تولت والدته تعليمه حتى صار في سن المراهقة، ولكن حاجة الأم إلى المال لتزويج أخته جعلها تتوقف عن الصرف عليه، فاضطر للعمل في وظيفة كاتب عند أحد القضاة المحترفين. ولكن نظراً لرعاية أخته المفاجئ جعلت أمه تعيده إلى التعليم في القسطنطينية واستكمل دراسته على يد مدرس خاص. ولقد رافق المؤرخ أثناء تعليمه مجموعة من الشباب الأذكياء، وظل على علاقة طيبة معهم ومع مدرسيه، ومن هؤلاء يوحنا زفيلينوس Xiphilinus عميد كلية الحقوق في جامعة القسطنطينية وبطربرك القسطنطينية (١٠٦٣ - ١٠٧٥م)، وقسطنطين دوكاس Ducas الذي تولى العرش البيزنطي تحت اسم قسطنطين العاشر (١٠٥٩ - ١٠٦٧م)، وهو الذي استقدمه للعمل في البلاط الإمبراطوري.

وتتضح من كتابات المؤرخ أنه كان يشهد بأهمية مركزه، وأن القصر يعتمد عليه اعتماداً كبيراً، وكيف أنه كان له دوراً كبيراً في تصريف شئون الإمبراطورية، وفي نهاية عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع (١٠٤٢ - ١٠٥٥م) تعرض لبعض المشاكل داخل القصر، فانسحب لبعض الوقت إلى أحد الأديرة. وعندما أصبحت الأمور مواتية له عاد إلى القصر مرة أخرى، ولقد أشار بسلوس في مقدمة كتابه أو حوليته Chronographia أن البعض كان يدفعه إلى كتابة تاريخ المرحلة التي عاشها، وفي نهاية الأمر وافق على هذه الفكرة، ولعله انتزع بفكرة صديقه وزميله في الدراسة قسطنطين ليخودس Lichudes الذي تولى منصب بطربرك الإمبراطورية (١٠٥٩ - ١٠٦٣م). ومما لا شك فيه أن حياة بسلوس داخل القصر الإمبراطوري ودخوله الرهبانية لبعض الوقت ومعايشته للمخطوطات داخل الدير والقصر الإمبراطوري جعله على صلة

بكافة المسئولين عن اتخاذ القرار والأحداث الصغيرة والكبيرة الأمر الذي جعل حوليته أهمية كبيرة جداً.

والحولية تنقسم إلى سبعة أجزاء، تناول الجزء الأول عهد يازيل الثاني (٩٧٦ - ١٠٢٥م)، والثاني قسطنطين الثامن (١٠٢٥ - ١٠٢٨م)، والثالث رومانوس الثالث (١٠٢٨ - ١٠٣٤م)، والرابع ميخائيل الرابع (١٠٣٤ - ١٠٤١م)، والخامس ميخائيل الخامس (١٠٤١ - ١٠٤٢م)، والسادس عهد زوي Zoe وثيودورا (١٠٤٢م)، وقسطنطين التاسع (١٠٤٢ - ١٠٥٥م) وثيودورا (١٠٥٥ - ١٠٥٦م)، أما السابع والأخير فتناول عهد ميخائيل السادس (١٠٥٦ - ١٠٥٧م) حتى ميخائيل السابع (١٠٧١ - ١٠٧٨م). وقد تناول بسلوس الأحوال الداخلية مثل ثورات برداس فوكاس Parads Phocas، وبرداس سكليروس Sclerus، وإسحق كوثيين وأحوال الكنيسة، والأخطار الخارجية في البلقان والأناضول خاصة معركة مانزكورت ١٠٧١م ونتائجها الخطيرة على الشرق والغرب.

- نقفور برينيوس :

ينحدر نقفور برينيوس Nicephor Bryennius من عائلة عريقة فقد كان والده حاكم مدينة دراكسيوم الواقعة على ساحل دلماشيا، ووالدته تدعى هيلينا وهي من أسرة عريقة أيضاً، وقد لعبت الأسرتان دوراً كبيراً في السياسة الداخلية والخارجية للإمبراطورية البيزنطية. وقد ولد نقفور تقريباً في عام ١٠٧٧م. وكان رجلاً مثقفاً وأديباً ومتحدثاً لبقاً يحب المرء أن يستمع إليه، حاد الذكاء، جميل الصورة، محارباً بطبعه، له خبرة عالية في نواحي الحكم والإدارة وكان يحمل لقب «قيصر»، وبالإضافة إلى ذلك فهو مؤرخ له إسهاماته فيما كتب عن التاريخ البيزنطي.

تزوج نقفور من المؤرخة أنا كومنينيا في عام ١٠٩٧ تقريباً، وكان ذلك ضد رغبتها لأنها كان تفضل الحياة بدون زواج، وقد قبلت هذا الزواج لإرضاء



والدها، فقد كان لأسباب هذا الزواج دوافع سياسية، ورغم هذا كله فقد كانت سعيدة في زواجها وأنجبت أربعة أولاد.

وقد حارب نففور مع قوات الإمبراطورية حتى أواخر أيام حياته، فقد حارب مع قوات الإمبراطورية على عدة جبهات، كان آخرها اشتراكه في الحملة التي قادها الإمبراطور يوحنا كومنين في عام ١١٣٧ على الشام.

وقد كان نففور مريضاً عندما التحق بالحملة واتجه عبر آسيا الصغرى إلى بلاد الشام، وقد تدهورت حالته الصحية عند عودته طوال رحلة العسيرة إلى القسطنطينية حيث مات بها عام ١١٣٧ م. وقد عملت زوجته «أنا» ابنة الإمبراطور الكسوس كومنين ومعها والدتها على أن يكون له العرش وبعد وفاة والدها في عام ١١١٨ م، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل، ورغم ذلك ظلت علاقته بالإمبراطور الجديد يوحنا طيبة، وشارك معه في العديد من العمليات العسكرية.

وهناك رسائل رائعة قدمها المؤرخ والقبصر نففور، وقد سجلها رغم كل ما انشغل به حروب أو متاعب، وكانت رغبته كذلك أن يسجل تاريخ الإمبراطور الكسوس كومنين. وقد بدأ هذا العمل منذ عهد الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجينيس. ولكن هذا الأمر الكبير لم يتحقق ولم يكمل مشروعه وتوقف عند الإمبراطور نففور بوتانياتس Botaniates الذي اغتصب العرش من سلفه الإمبراطور ميخائيل الرابع دركاس ١٠٧١ - ١٠٧٨ م. وقد ظل هذا المقتصب يحكم من ١٠٧٨ حتى ١٠٨١ م أي حتى بداية حكم الإمبراطور الكسوس كومنين.

ورغم أن الفترة التي كتب عنها ١٠٦٧ - ١٠٨١ م هي قصيرة نسبياً إلا أنها كانت مليئة بالصراع الداخلي بين الأسر الإنطاكية العسكرية والمدنية. مع سوء الأحوال في البلقان وإيطاليا، هذا بالإضافة إلى أخطار الأتراك السلاجقة الذين استولوا على مدينة أني Ani في عام ١٠٦٤ م وانزلوا هزيمة قاسية

بالإمبراطورية في معركة مانزيرت إلى غير ذلك من الأحداث والصراع الداخلي إلى أن انتهى الأمر باغتيال الكسوس كومنين العرش ١٠٨١ م.

والكتاب ينقسم إلى أربعة فصول، وقد جاء عنوان الفصل الأول تحت عنوان «بدايات اسحق ويوحنا كومنين»، وهما من القادة الأتراك في أسرة كومنين. أما الفصل الثاني وعنوانه «إعادة تنظيم حكومة الإمبراطورية، يليه الفصل الثالث وعنوانه «أحوال الإمبراطورية تحت حكم ميخائيل السابع دركاس» والفصل الأخير جاء عنوانه «الإمبراطور بوتانياتس يبدد أموال خزنة الدولة» ويلاحظ أن هذا المؤرخ لم يقدم عناوين الفصول بأسماء الحكام بل تحت أحوال ونظام الإمبراطورية.

- صلة سكيليتزس :

وتغطي هذه الصلة الأحداث من ١٠٥٧ - ١٠٧٩ م، وهي تشابه كثيراً من حيث الأسلوب الكتاب الأصلي، وأن كان هناك بعض الاختلاف في الأسلوب فلعل ذلك يرجع إلى نضج الكاتب نفسه، ويرى البعض أن هذه الصلة هي إعادة لكتاب ميخائيل أتالياتس مع ظهور نزعة استقرائية في الكتابة، ولكن هذه النزعة موجودة في الكتاب الأصلي أيضاً.

- ميخائيل أتالياتس :

يعرف ميخائيل أتالياتس Attaliates بأنه مؤرخ ورجل دولة، وهو من مواطني مدينة أضاليا Attalia الواقعة في إقليم بامفليا Pamphylia الواقع في وسط الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى. وقد توجه إلى القسطنطينية في المرحلة من ١٠٣٠ - ١٠٤٠ م حيث الثروة والمركز، وقد عاصر عدة أباطرة وعمل في عدة مراكز هامة منها قاضي البلاط الإمبراطوري. ولقد أعد للإمبراطور ميخائيل دركاس في عام ١٠٧٢ م خلاصه عن القانون البيزنطي. كما أعد قانوناً عن «دير للفقراء»، وهو ما وضع أساسه في القسطنطينية في عام



١٠٧٧ م. وهذا العمل له أهمية خاصة في التاريخ الاجتماعي لأنه يتعلق بحياة وسلوك البيزنطيين في القرن الحادي عشر.

وحوالي عام ١٠٧٩ م أو ١٠٨٠ م أعد جانباً عن التاريخ البيزنطي، وهو يمثل الانقلابات والثورات داخل القصر الإمبراطوري في تلك المرحلة، وتمثل التحول من عظمة الأسرة المقدونية إلى الأسرة الكومنينية، لقد سجل أناتوليوس الأحداث باعتباره معاصراً وشاهد عيان. ورغم أنه كان رجل قانون، إلا أنه حاول أن يقطر المؤرخين في كتاباتهم، ولكنه لم يوفق للوصول إلى سلفه المؤرخ ميخائيل بسلوس وقد شغل كتابه التاريخ "Historia" الفترة من ١٠٢٤ حتى عام ١٠٧٩ م.

- يوحنا زوناراس:

عاش يوحنا زوناراس John Zonaras في الجزء الأخير من القرن الحادي عشر حتى منتصف القرن الثاني عشر، وفي عهد الإمبراطور يوحنا كومنين صار قائداً للحرس الإمبراطوري الخاص، والسكرتير الأول للمحكمة الإمبراطورية وأخيراً أصبح راهباً في دير جليكريا العظيمة Hagia Glykeria (أحد جزر الأمراء في بحر مرمرة وتعرف الآن باسم نينادرو Niandro). وفي مكانه الأخير كتب ملخصاً للتاريخ تضمن الفترة من بداية الخلق حتى عام ١١١٨ م وهو كتاب رافع في الشكل والمحتوى ويعادل الحوليات البيزنطية الأخرى، وقد استخدم هذا الكتاب على نطاق واسع في العصور الوسطى. وترجع أهميته أيضاً أنه نقل عن كتاب ديوكاسيوس Dio Cassius المفقود. وبالإضافة إلى كون زوناراس يعتبر من المؤرخين، فقد كان أيضاً عالماً بالقانون الكنسي، لذلك له كتابات أخرى وتعليقات على المجامع الدينية الشرقية، وعلى كتابات رجال الدين في القرنين الثالث والرابع.

- أنا كومنيننا:

سبق الحديث عن المؤرخ البيزنطي أنا كومنيننا قبل ذلك عند الحديث عن مؤرخي الحروب الصليبية باعتبارها مسجلة لأحداث الحملة الصليبية الأولى وما بعدها، وعند الحديث عن زوجها المؤرخ نقفور بريسبوس. وسوف أركز في هذه الصفحات على ما تم يرد قبل بعامة ومؤرخه بيزنطية بخاصة. لقد ولدت المؤرخة في يوم السبت الأول من ديسمبر عام ١٠٨٣ م أي بعد تولية والدها الإمبراطور الكيسرس كومنين الحكم بعامين. وفي اليوم الثاني لميلادها عاد والدها من ميدان المعركة منتصراً، وكان في ذلك فرحة للإمبراطور وكذلك والدتها الإمبراطورة إيرين، وكان الأمل أن يكون المولود الأول ذكراً، وكانت المؤرخة أنا الإبنة الكبرى لسبعة أخوة، ومن الملاحظ أن المؤرخة نشأت وهي تكبر أختها يوحنا وهي في سن الثامنة، ويوحنا هذا كان أكبر الأبناء من الذكور، وبذلك أصبح ولها للعهد.

لقد تزوجت «أنا» كما ذكرت من المؤرخ نقفور بريسبوس، وعندما توفي والدها في عام ١١١٨ م اشتركت في مؤامرة لتولية زوجها العرش بدلاً من أخيها وعندما فشلت المؤامرة انسحبت مع والدتها إلى أحد الأديرة. ولقد نالت المؤرخة أنا قسطاً وافراً من العلوم اليونانية، كما درست التاريخ والجغرافيا والأساطير والفلسفة. وخلال عزلتها هذه كتبت بعض الأشعار وكتابتها الشهير الألكسياد لتكمل أعمال زوجها نقفور، فبدأت من عام ١٠٧٩ م حيث انتهى زوجها وانتهت في عام ١١١٨ م حيث وفاة والدها. قد ظلت في هذا الدبر حتى وفاتها في عام ١١٥٠ م. ويعتبر البعض أن كتاب الألكسياد مكمل لكتاب المؤرخ الشهير ميخائيل بسلوس.

وتعتبر المؤرخة أنا كومنيننا جوهرة أو درة الأسرة الكومنينية، ويعتبر كتاب الألكسياد الذي سجلته لتروي فيه أمجاد والدها هام للغاية لعدة أسباب؛ منها أنه المصدر الوحيد البيزنطي لعهد الإمبراطور الكيسرس، كما أن



التعليم العالي الذي تلقته المؤرخة كان له تأثيراً كبيراً على ما سجلته. هذا بالإضافة إلى ملاحظاتها الشخصية وإطلاعها على كافة الشؤون العامة وجوانب الحكم والإدارة، والسياسة الخارجية والداخلية للإمبراطورية. كما أنها لعبت دوراً كبيراً في كتابة المراسلات الدبلوماسية، وعلمها يتقارب والدها إلى القادة العسكريين والجنود وإطلاعها على دار محفوظات الإمبراطورية. ولقد أثنى عليها النقاد فيما كتبه، ولكنهم أشاروا إلى المديح الزائد الذي أضفته على والدها. وعندما تحدثت عن علاقة النورمان بالإمبراطورية خاصة روبرت جويسكارد فمن الواضح أنها أطلعت على بعض المصادر اللاتينية.

لقد نظرت المؤرخة أما كومنيناً إلى الصليبيين في كتاباتها من وجه نظر بيزنطية، وتلاحظ أيضاً عداها لللاتين بكل وضوح. ويلاحظ على كتاب الألكسياد أن به بعض التوافه، ومن ذلك أن المؤرخة أضفت قدر من العظمة على الأعمال الرسمية للدولة. كما أن هناك جانباً من الهجاء والافتقار من شأن بعض الشخصيات، وأنها تدخلت في أعناق بعض الشؤون مثل الأحوال المالية والشؤون العسكرية والقانونية.

ويشتمل كتاب الألكسياد خمسة عشر موضوعاً وهي مرتبة حسب الأحداث الزمنية. وقد تناول الموضوع الأول حياة الإمبراطور الكسيوس منذ صباه حتى الشهر الأخيرة من حكم الإمبراطور نفلور يونانياتس المقتصب عام ١٠٨١م. أما الموضوع الثاني فتناول ثورة آل كومنين. وجاء الموضوع الثالث بعنوان احتلال الكسيوس عرش الإمبراطورية والصراع بين آل دركاس وآل كومنين وذكر الموضوع الرابع بعنوان «الحرب ضد النورمان» في صقلية وجنوب إيطاليا ١٠٨١ - ١٠٨٢م. أما الخامس فجاء مكملًا للحروب مع النورمان ١٠٨٢ - ١٠٨٣م. والتعامل مع الهرطقة.

أما الموضوع السادس فقد ورد تحت عنوان «هزيمة النورمان وموت روبرت جويسكارد النورمانى، والامتراك» والمقصود بالامتراك هنا الأتراك

السلاجقة في آسيا الصغرى. وفيما يختص بالموضوع السابع فقد ورد بعنوان «الحرب مع السكيثيون Scythians ١٠٨٧ - ١٠٩٠م». والمقصود بهم هنا العناصر التي تنظر شمال الدانوب. أما الثامن فقد جاء بعنوان «الحرب مع السكيثيون (١٠٩١م)، انتصار الإمبراطور الكسيوس عند ليفونيوم Levunium ٢٩١ أبريل ١٠٩١م المزامرات ضد الإمبراطور». والفصل التاسع جاء بعنوان «الحرب مع الأتراك السلاجقة وتدخل أهل دلماشيا ١٠٩٢ - ١٠٩٤م». ومؤامرة نفلور دهرجيتس ضد الإمبراطور. وفي الفصل العاشر ذكرت المؤرخة أنها كومنيناً وهرطقة أخرى - الحرب ضد عناصر الكومان، والحملة الصليبية الأولى ١٠٩٤ - ١٠٩٧م. وخصصت المؤرخة الفصل الحادى عشر للحملة الصليبية الأولى ١٠٩٧ - ١١٠٤م. أما الموضوع الثانى عشر فقد تكلمت المؤرخة عن بعض المشاكل العائلية والنزور النورماندى الثانى ١١٠٥ - ١١٠٧م لبعض أراضى الامبراطورية. وجاء الموضوع الثالث عشر بعنوان «مؤامرة هارون البلغارى ضد الإمبراطور، ومعاهدة ديفول ١١٠٧ - ١١٠٨م». وهى المعاهدة التي وقعها الأمير الصليبي بوهمتد بعد هزيمته. وفيما يتعلق بالموضوع الرابع عشر فقد كتب عن «الأتراك، والفرلجة (الصليبيون) والكومان Cumans وبعض عناصر شمال الدانوب». وتكلم الموضوع الخامس عشر والأخير عن «انتصار الكسيوس على الأتراك السلاجقة والهرطقة البوجوميلية Bogomils. وأخيراً مرض الإمبراطور الكسيوس وموته (١١١٦ - ١١١٨م).

- يوحنا كيناموس:

وكتاب يوحنا كيناموس John Kinnamos هو مختصر التاريخ Epitome Historiarum، ومعلوماتنا عن هذا المؤرخ قليلة. فمستط رأسه غير معروف لدينا. وكل ما نعرفه أنه ولد حوالى عام ١١٤٣ لى مع بقاية حكم الإمبراطور مانتويل أو بعد ذلك بقليل، وأنه عمل كذلك حاجباً في البلاد البيزنطى شأنه في ذلك شأن زميله نيكيتاس Nicetas. وعلى ما يبدو أنه



صاحب الأمبراطور ماثويل في بعض حملاته العسكرية بدليل ما نجده من إسهاب في شرح تفاصيل بعض المعارك أو أنه كان يعمل في البلاط في بعض الشؤون العسكرية. وتاريخ وفاته غير معروف والواضح من النصوص التي تركها في مؤلفه «مختصر التاريخ» أنها كانت في عهد الأمبراطور الكسبروس الثاني كومنينوس Alexius II Comnenus (١١٨٠ - ١١٨٣ م) ابن الأمبراطور ماثويل أو بعده بقليل. لأنه أشار في بداية مؤلفه إلى حكم الكسبروس الثاني.

ويعتبر ما كتبه كيناموس من المصادر الهامة في التاريخ البيزنطي التي تناولت جانباً من القرن الثاني عشر الميلادي ولا يقل أهمية عن نيكيتاس. فقد تناول في كتابه الأحداث التي تبدأ من عهد الأمبراطور يوحنا، وعهد الأمبراطور ماثويل حتى عام ١١٧٦ م. ومن المحتمل أن يكون كيناموس قد انتهى من كتابة عهد الأمبراطور ماثويل وأضاف إليه عهد ابنه الكسبروس ولكنه فقد ولم يلحق بالكتاب الذي بين أيدينا. ومن الملاحظ أن المؤرخ كيناموس كان معاصراً لزميله نيكيتاس، وإذا كان كيناموس قد توفي في زمن سابق لوفاة نيكيتاس فمن المشاهد كذلك أن المؤرخ نيكيتاس لم يشر إلى زميله كيناموس، ولعل من أسباب ذلك أن المؤرخ كيناموس لم يكن معروفاً لدى معاصريه كمؤرخ وأن ما دونه من مادة تاريخية لم تعرف إلا بعد وفاة نيكيتاس، أو أن الأخير تعمد إغفاله.

وكتاب «مختصر التاريخ» من المصادر التي يعتمد عليها خاصة وأنه المؤرخ الوحيد بعد نيكيتاس الذي ألف لعهد الأمبراطور ماثويل - وصلت مادته التاريخية إلى أيدينا - يضاف إلى ذلك أن ما تركه لنا هذا المؤرخ يمتاز بالدقة والمعرفة، وعلى ما يبدو أنه لم يسهب إلا في سرد الأحداث التاريخية التي شاهدها بنفسه بدليل ما نجده من إسهاب في ذكر بعض الأحداث على العكس من بعض الأحداث الأخرى، وهي التي على ما يبدو قد نقلها عن شهود العيان. لذلك أوردتها باختصار وفي غاية التحفظ.

ومن الملاحظ أيضاً على كيناموس أنه كان يحب الأمبراطور ماثويل ومعجباً به بشكل واضح، ومن ذلك ما نشاهده من أنه أعطى أعمال الأمبراطور قيمة خاصة وأنه عندما يتكلم عن أعمال ماثويل العسكرية ينفى عليه نوعاً من البطولة الأسطورية وكان ذلك على حساب المادة التاريخية للأحداث لأنه في محبرة حديثه عن بطولات ماثويل القروية ينسى إمدادنا بالمعلومات التاريخية الكافية عن أحداث هذه المعارك.

ونقسم كتاب «مختصر التاريخ» إلى سبعة فصول. يشتمل الفصل الأول منها على حكم الأمبراطور يوحنا. والمعلومات التاريخية التي وردت به موجزة وقد أوردنا المؤرخ حسب ترتيبها الزمني.

أما الفصل الثاني فقد تضمن الأحداث منذ بداية حكم ماثويل حتى عام ١١٥٢ م. وقد أورد فيه المؤرخ أحداث حروب الأمبراطورية مع السلاجقة وأخبار الحملة الصليبية الثانية وعلاقات الأمبراطور ماثويل مع الملك كونراد أثناء عبوره على رأس قواته إلى آسيا الصغرى، وما كتبه المؤرخ في هذا الفصل عن العلاقات السلجوقية البيزنطية يدل على معرفته الطيبة بالمسائل السلجوقية. والمادة التاريخية وردت حسب ترتيبها الزمني في سرد الوقائع.

وتتناول الفصل الثالث الفترة التالية الممتدة حتى عام ١١٥٦ م. وقد اشتمل على جانب كبير من علاقة الامبراطورية بالمغرب، والجانب الشرقي الذي أورد فيه المؤرخ يتعلق بصراع الامبراطورية مع الأرمن وهي معلومات ناقصة ولا تناسب إطلاقاً مع مجريات الأحداث.

وبلى ذلك الفصل الرابع الذي امتدت أحداثه حتى عام ١١٦١ م. وتناول فيه المؤرخ حملة الأمبراطور ماثويل على قيليقية والشام وانتهى بأحداث هجوم السلاجقة على الامبراطورية البيزنطية. وقد قدم المؤلف في هذا الفصل معلومات طيبة عن الأحداث المتعلقة بأنطاكية وآسيا الصغرى ولكن معلوماته عن أحداث قيليقية قليلة وفي غاية الاختصار.



أما الفصل الخامس فقد شملت مادته التاريخية الفترة التالية حتى عام ١١٦٦م، وتضمن الأحداث الشرقية الخاصة بحروب الامبراطورية مع السلاجقة وعلاقة الامبراطور مانويل بامارة أنطاكية، والأحداث التاريخية واردة حسب ترتيبها الزمني واشتمل هذا الفصل على جانب كبير من العلاقات البيزنطية الغربية والروسية.

واشتمل الفصل السادس ما يلي من أحداث عام ١١٧٤م وما ورد به من الجانب الشرقي يتركز في الحملة البيزنطية الصليبية على مصر في عام ١١٦٩م وزيارة الملك عموري الأول Amalric I ملك مملكة بيت المقدس (١١٦٢ - ١١٧٣م) وجانباً من الحروب السلجوقية.

أما الفصل السابع والأخير فقد تناول فيه المؤلف الأحداث حتى منتصف عام ١١٧٦م، وقد أورد فيه المؤلف الحروب السلجوقية مع الإمبراطورية في هذه الفترة والجهود التي قام بها مانويل الأول لضرب السلاجقة، وتنتهي أحداث هذا الفصل بما ذكره المؤلف عن إرسال بعض قطع الأسطول البيزنطي إلى مصر ويتوقف في الوقت الذي نظم فيه الامبراطور مانويل قواته لضرب السلاجقة التي انتهت طبقاً لما روته لنا المصادر الأخرى بهزيمة القوات البيزنطية في معركة ميريوكيفالون.

- نيكيتاس خونيئاتس:

ويعرف كتاب نيكيتاس خونيئاتس Nicetas Choniates باسم التاريخ Historia، وقد ولد هذا المؤرخ في أواسط القرن الثاني عشر الميلادي في مدينة خونية Chonca بأسيا الصغرى ولذلك اقترن اسمه بسقط رأسه، وعندما بلغ التاسعة من عمره انتقل إلى القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية ليشتغل تعليمه تحت إشراف أخيه الأكبر ميخائيل خونيئاتس Michel Choniates الذي أصبح مطراناً لمدينة أثينا فيما بعد. ولقد تقلد نيكيتاس عدداً من الوظائف الهامة كان أولها أنه عمل حاجباً في البلاط البيزنطي في

أواخر عهد الامبراطور مانويل ثم أصبح عضواً في السناتوس Senatus، كما عمل قاضياً وتدرج في مناصبه حتى أصبح كبير الحجاب Paracoemomenus في عهد الامبراطور اسحق الثاني انجيلوس Issac II Angelus (١١٨٥ - ١١٩٥م)، ثم عين حاكماً لثيم قيليوليس Philippolis الواقع في البلقان. وعندما سقطت القسطنطينية في يد اللاتين عام ١٢٠٤م/ ٦٠٠ هـ لجأ نيكيتاس إلى إقليم بثنيا Bithynia في آسيا الصغرى ودخل في خدمة الامبراطور البيزنطي ثيودور الأول لاسكاريس Theodore I Lascaris (١٢٠٤ - ١٢٢٢م) الذي أقام حكومته في نيقية حيث انتهت حياة نيكيتاس في تاريخ غير معروف يمكن تحديده في الفترة الممتدة من عام ١٢١٠ وهي السنة الأخيرة التي انتهت فيها الحوادث التي ذكرها في مؤلفاته وعام ١٢٢٢م وهي السنة التي مات فيها أخوه وأشار فيما كتبه عن موت أخيه الأصغر نيكيتاس.

وكتاب «التاريخ» الذي تركه لنا نيكيتاس هو المؤلف البيزنطي الوحيد الذي تناول فيه الفترة الممتدة من عام ١١١٨ - ١٢٠٦م وأرخ فيه للأباطرة البيزنطيين وذيله يلحق صغير تناول فيه المؤلف ثماثيل القسطنطينية التي أنقذها اللاتين عام ١٢٠٤م عندما استولوا على العاصمة البيزنطية، وللمؤرخ بعض المؤلفات الأخرى تتعلق بالمجالات الدينية والشعرية والخطابية. والمهم أن كتاب التاريخ يعتبر من أعمدة المصادر التاريخية البيزنطية عن حكم الامبراطور مانويل الأول. والمتصفح لفقرات هذا الكتاب يمكنه أن يلاحظ بوضوح أن المؤرخ دون الفصول الثلاثة الأولى بعد عهد الامبراطور مانويل وفي عهد الامبراطور أندرونيق كومنينوس Andronicus Comnenus (١١٨٣ - ١١٨٥م) وما يدل على ذلك أن المؤرخ تحدث عن بعض أخباره كإمبراطور في الوقت الذي يتحدث فيه عن أخبار الامبراطور مانويل، أما بقية الفصول فقد كتبها المؤرخ بعد سقوط القسطنطينية لأنه تحدث فيها عن سقوط القسطنطينية وأشاد فيها بحسن سياسة الإمبراطور مانويل التي أتبعها مع اللاتين، وربما يكون قد دون بعضها قبل ذلك.



ولم يشر نيكفاس إلى المصادر التي استقى منها مادته التاريخية، ولكن من الواضح أن المناصب التي تقلدها هذا المؤرخ لم تكن من الاتصال بكبار الشخصيات الذين كانوا يحركون الأحداث كالقادة العسكريين ورجال البلاط، وعلى ما يبدو أن المؤرخ قد استقى بعض مادته التاريخية من الروايات الشعبية التي تناقلها البعض خاصة فيما يتعلق بعلاقة الإمبراطورية مع الحملة الصليبية الثانية. كما رجع المؤرخ إلى بعض المصادر المكتوبة وينتزع ذلك من نطاق مادته التاريخية التي أوردها عن معركة ميروكيغالون Myriokephalon إلى حد كبير مع ما كتبه الإمبراطور مانويل في تقريره الذي أرسله الإمبراطور إلى هنري الثاني Henry II ملك إنجلترا (١١٥٤ - ١١٨٩ م) في نوفمبر عام ١١٧٦ م.

ويقع كتاب التاريخ في عشر فصول بعضها كبير والآخر صغير، كما أن بعض الفصول ينقسم إلى أجزاء صغيرة. وفي الفصل الأول تناول المؤرخ عهد الإمبراطور يوحنا كومنين ١١١٨ - ١١٤٢ م. وقد سجل فيه الأحداث بصورة مختصرة، ورغم ذلك فقد قدم لنا مادة طيبة في بعض جوانبها. وقد بدأ بالحديث عن تأمين الإمبراطور لعرش الإمبراطورية والحرب على الصرب في عام ١١٢٣ م، وعلى هتغاريا في ١١٢٧ م ثم الصلح بعد حوالي عام من الحروب، وحروب الإمبراطورية مع الأتراك السلاجقة في آسيا الصغرى منذ عام ١١٣٤ وما بعدها. كما سجل حملة الإمبراطور يوحنا على قيليقية وأنطاكية في شمال الشام وعودته إلى قيليقية في نهاية سبتمبر عام ١١٤٢ لقضاء فصل الشتاء، ثم وفاته في المنطقة نفسها في أول أبريل ١١٤٣ م.

أما الفصل الثاني فهو يتناول عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣ - ١١٨٠ م. ويقع هذا الفصل في سبعة أجزاء. وقد ذكر المؤرخ في الجزء الأول بداية حكم الإمبراطور وتأمينه للعرش وحروب الإمبراطورية مع سلاجقة الروم وأحداث الحملة الصليبية الثالثة واقتراب الملك الألماني بقواته الصليبية من القسطنطينية وعبره إلى آسيا الصغرى، ثم تلاه الملك ليرس السابع بقواته.

وتضمن الجزء الثاني الأحداث من ١١٤٧ - ١١٥٨ م. وقد تناول المؤرخ هجوم النورمان في صقلية بقيادة الملك روجر الثاني بعد ما أبحرت القوات من مدينة برنديزي إلى جزيرة كورفو دون مقاومة وبعض المعلومات حول هذا الهجوم حتى انتهى الأمر بالصلح عام ١١٥٨ م.

واشتمل الجزء الثالث على ما يلي ذلك من أحداث حتى عام ١١٦٢ م وأورد فيه المؤرخ حملة الإمبراطور علي الأرمن في إقليم قيليقية ودخول الإمبراطور مدينة أنطاكية وعلاقته بالصليبيين وعودة الإمبراطور إلى عاصمته ووفاة الإمبراطورة إيرين في أواخر عام ١١٥٩ م، وزواج الإمبراطور من الأميرة الصليبية ماريا. كما تناول جانباً من حروب مانويل مع السلاجقة، وتوسع في أخبار زيارة السلطان السلجوقي قلق أرسلان (١١١٦ - ١١٥٦ م)، وأشار إلى مساندة الإمبراطور للسلطان ضد آل دانشمند.

وفي الجزء الرابع تحدث عن علاقة الإمبراطورية بهتغاريا، وما ترتب على ذلك من أحداث، وكل ما يتعلق بالجانب الشرقي خاصة الحروب مع سلاجقة الروم التي أنهت أحداثها حوالي عام ١١٧٣ م.

وسجل المؤرخ في الجزء الخامس أحداثاً تاريخية امتدت بين عام ١١٦٦ م حتى عام ١١٨٠ م. وخصص معظمها لأحداث المجر وقصة الصراع بين الإمبراطورية والبنادقة، وفي الجانب الشرقي تناول أحداث الحملة الصليبية البيزنطية على دسبيل عام ١١٦٩ م، وهجمات البنادقة على جزيرة خيوس Chios.

وتضمن الجزء السادس حروب الإمبراطورية مع السلاجقة في آسيا الصغرى، كما خص معركة ميروكيغالون بعناية خاصة، وهي المعركة التي هزمت فيها القوات البيزنطية هزيمة قاسية في عام ١١٧٦ م.

وفي الجزء السابع والأخير من هذا الفصل سجل المؤرخ عجز الإمبراطورية عسكرياً عن مواجهة الدول التي تحيط بها من الشرق والغرب خاصة البندقية



وجنوة وبيرة وأنكونا. كما تكلم عن الإمبراطور الفرنسي فرديريك بارباروسا  
وتغريبه مدينة ميلان، وقدم سفراء من أنكونا إلى البلاط البيزنطي، وأخيراً  
مرض الإمبراطور ووفاته في عام ١١٨٠م.

وسجل المؤرخ في الفصل الثالث ما يتعلق بحكم الإمبراطور ألكسيوس  
الثاني ١١٨٠ - ١١٨٣م. وذكر أنه من مواليد عام ١١٦٩ وملك أمه السرى،  
والوصاية على الإمبراطور. ودور أندرونيق Andronicus في هذه المرحلة حتى  
وصوله إلى السلطة.

وجاء الفصل الرابع عن عهد الإمبراطور أندرونيق الأول كومنين ١١٨٣ -  
١١٨٥م وهو يقع في جزئين. وقد جاء في الجزء الأول تولي أندرونيق السلطة  
والفصل جزيرة قبرص عن الإمبراطورية البيزنطية، وهجمات النورمان على  
مدينة سالونيك في صيف عام ١١٨٥م. أما الجزء الثاني فقد أكمل فيه المؤرخ  
الأحداث الخاصة بمدينة سالونيك حتى نهاية الأحداث العسكرية وانسحاب  
الأسطول النورماني.

أما الفصل الخامس فاختص بعهد الإمبراطور إسحق الثاني أنجيلوس  
Isaac II Angelus (١١٨٥ - ١١٩٥م). وقد جاء هذا الفصل في ثلاثة  
أجزاء، وقد ورد في الجزء الأول توليته العرش دون مشاعب، والحرب مع المدن  
الإيطالية والأتراك السلاجقة في آسيا الصغرى. أما الثاني فقد سجل فيه  
المؤرخ حروب الإمبراطورية في البلقان وبعض أحداث الحملة الصليبية الثالثة  
ومنها مرور الإمبراطور فرديريك الثاني وقواته الألمانية عبر أراضي  
الإمبراطورية وأسيا الصغرى وموقف السلاجقة من القوات الألمانية وغرق  
الإمبراطور في نهر سالف، كما تحدث عن استعادة المسلمين لمدينة بيت المقدس  
وليليب أرغسطس ملك فرنسا واستيلاء رينشارد قلب الأسد ملك إنجلترا على  
جزيرة قبرص. وفي الجزء الثالث ذكر مصاهرة الإمبراطور لملك صقلية، وحروب  
الإمبراطورية مع البلغار واغتصاب الكسيوس الثالث للعرش البيزنطي بعدما  
قبض على أخيه وسمل عينيه وسجنه.

وفيما يتعلق بالفصل السادس فقد تناول أحداث عهد الإمبراطور  
الكسيوس الثالث أنجيلوس ١١٩٥ - ١٢٠٣م، وقد ورد هذا الفصل في جزئين.  
وقد جاء في الأول قيام الإمبراطور بإغراق الأموال على من ساعدوه للوصول إلى  
العرش، وفشل الإمبراطور في الحرب مع البلغار، وادعاء الإمبراطور الألماني  
هنري السادس لعرش بيزنطة وإرسال مبعوثيه إلى الإمبراطور البيزنطي ثم موت  
هنري السادس، والعلاقات مع جنوه، ثم عداد المؤرخ ليتكلم عن الحرب في  
البلقان والهدنة مع سلاجقة الروم ثم خرقها. أما الجزء الثاني فقد أورد توجه  
الإمبراطور البيزنطي إلى مدينة سالونيك، والحرب مع البلغار والكومان  
والسلاجقة، وفرار الإمبراطور السابق من سجنه، ثم استيلاء الصليبيين على  
مدينة زارا وأخيراً الصراع على العرش.

واختص الفصل السابع بذكر أحداث عودة الإمبراطور إسحق الثاني  
أنجيلوس ومعه ابنه الكسيوس لعرش بيزنطة ١٢٠٣ - ١٢٠٤م، وفي هذا  
الفصل تناول المؤرخ أحداث الحملة الصليبية الرابعة وقيام الصليبيين بزعماء  
البندقية بحصار مدينة القسطنطينية.

أما الفصل الثامن فذكر حكم الإمبراطور الكسيوس الرابع دوكاس  
ويعرف أيضاً بإسم مورتمزوفلوس Mourtzouphlos (١٢٠٤م)، وفيه أكمل  
المؤرخ حصار مدينة القسطنطينية حتى سقوطها في يد الصليبيين وقيام  
الإمبراطورية الصليبية اللاتينية ١٢٠٤ - ١٢٦١م.

وسجل المؤرخ في الفصل التاسع الأحداث التي أعقبت سقوط  
الإمبراطورية البيزنطية ونهب المدينة وحروب اللاتين في البلقان ومصرع  
الإمبراطور اللاتيني بلدوين الأول ١٢٠٤ - ١٢٠٥م.

وفي الفصل العاشر وهو الأخير تناول فيه المؤرخ الآثار والتفاس التي  
استولي عليها الصليبيون من مدينة القسطنطينية ومنها النسر والخيول الأربعة  
البرونزية وغير ذلك.

ويتضح مما كتبه المؤرخ نيكشاس أنه قدم مادة وفيرة، وتغطي أحداث



حوالي تسعين عاماً، وأنه كشاهد عيان بالإضافة إلى صلته بالمسؤولين جعلته يقدم كثيراً من التفاصيل، وأنه عندما يصل إلى نهاية حكم أي إمبراطور يذكر مدة حكمه. ويلاحظ عليه أنه لم يراع التسلسل الزمني للأحداث إلى حد ما، كما أنه كان يميل إلى الاستطراد في بعض الأحيان، كما أنه لم يشر إلى السنة التي وقعت فيها الأحداث وأنه كان يشير في بعض الأحيان إلى الفصل الجغرافي، وأحياناً يذكر السنة العالمية لبعض الأحداث. والمادة التاريخية غزيرة وقوية ولتحتاج إلى مهارة عالية للتعامل معها وتتبع أحداثها لغرض بعض الأحداث.

- يوحنا كانتاكوزين :-

ولد يوحنا كانتاكوزين Kantakuzenos في عام ١٢٩٢م تقريباً وهو ينتمي إلى أسرة استقراطية عسكرية وأصبح القائد العسكري لقوات الإمبراطورية في عهد سلفه الإمبراطور أندرونيكوس الثالث Andronicus III ١٣٢٨ - ١٣٤١م ثم أصبح شريكاً في الحكم مع الإمبراطور القاصر يوحنا الخامس ١٣٤١ - ١٣٩١م، ثم انفرد بالسلطة من ١٣٤٧ - ١٣٥٤م، وتم عزله في عام ١٣٥٥م فدخل الرهبانية وبقي مدة في أحد أديار جبل آثوس Athos حيث التحق به ابنه متى فأقام في ميسترا Mistra منذ عام ١٣٨٠ حتى توفي بها عام ١٣٨٢م.

ومن الأحداث التي شارك الإمبراطور يوحنا وسجلها الحرب مع الصرب والأتراك العثمانيين التي وقعت في صيف عام ١٣٤٨م، وذكر تقدم القوات البيزنطية ضد مدينة ميديا Midea التي تقع على ساحل إقليم بنطس Pontic في البحر الأسود وكيف دارت الحرب أيضاً في إقليم تراكيا، والهزيمة التي لحقت بالقوات الصربية في مدينة مسن Mesene التي تقع في الجنوب الغربي من بلاد اليونان حالياً. أما الأحداث الأخرى التي سجلها المؤرخ في خريف العام نفسه فهي الحرب ضد الجنبية في إقليم جالاتا وهو الجزء الشمالي للقرن الذهبي ومرضى الإمبراطور. وكيف استغاث مواطني الإمبراطورية من

تعديات الجنبية وكيف استعد الاسطول البيزنطي بالشواني وهزم الجنبيين، وكيف أنهى الأمر بتسليم ما أطلق عليهم اللاتين وهم الجنبية الأراضي التي كانوا يسيطرون عليها، وكيف لعبت الرياح دورها في هذا القتال، والحقيقة أن الوصف الذي قدمه المؤرخ فيه الكثير من فن الحرب والقتال البحري، وكيف شكر الأهالي البيزنطيون من سكان ضاحية جالاتا الإمبراطور على قدمه لهم.

- ميخائيل كريتوفولوس :-

هو ميخائيل كريتوفولوس أو كريتوبولوس Michael Kritovoulos أو Critoboulus وكتابه منشور باللغة الإنجليزية تحت عنوان تاريخ محمد الفاتح، والمتصور به السلطان العثماني محمد الثاني (١٤٥١ - ١٤٨١م). ومعلوماتنا عن هذا المؤرخ قليلة، فهو يوناني الأصل ويبدو أنه من مواطني جزيرة إمبروس Imbros التي تقع في الطرف الشمالي الشرقي لبحر إيجه في مقابل مدينة أبيدوس Abydos. ولم يكن هذا المؤرخ حاضراً أثناء حصار مدينة القسطنطينية في عام ١٤٥٣م ولكنه زار المدينة بعد سقوطها بقليل ودخل في خدمة السلطان محمد الفاتح، ويبدو أنه في نهاية الأمر أصبح حاكماً لجزيرة إمبروس. ومن الواضح أنه أصبح على علاقة طيبة بالسلطان وأنه درس سيرته جيداً. كما أنه كان معجباً بالسلطان وقدراته العسكرية منذ سقوط مدينة القسطنطينية وبداية زوال الإمبراطورية البيزنطية. وقد حمل المؤرخون اليونانيون المحدثون على هذا المؤرخ وألقوا عليه باللوم لميله إلى السلطان محمد الفاتح وتصويره في صورة بطل، وهو الرجل الذي هزم البيزنطيين. ولكن المؤرخين المتصفين قالوا عنه أنه مؤرخ على مستوى عال فيما يتعلق بكافة الحملات العسكرية على المدينة.

ومن الملاحظ عليه أنه استخدم كلمة اليونانيون Greeks (البيزنطيون) بدلاً من الرومان، وفيما يتعلق بأسماء الأشخاص فإنه كتب اسم محمد



بالطريقة التركية مهنت Mehmet. كما أنه استخدم التقويم منذ بداية الخلق أى على الطريقة البيزنطية وهو ٥٥٠٨ وأن سنة ٦٩٥٩ تعادل ١٤٥١ م.

ويتقسم كتاب المؤرخ إلى خمسة أقسام ومقدمة في شكل خطاب. وقد وردت في ثلاث صفحات. وجاء القسم الأول وهو أكبر الفصول في حوالي ثمانين صفحة واشتمل هذا الفصل على الأحداث من ١٤٥١ - ١٤٥٢ م وتضمن بداية حكم السلطان العظيم محمد الفاتح، وبعض أعماله وبناء قلعة البسفور والمقصود بها قلعة روملى حصار وحالياً هي المتحف التركي، والمعارك العسكرية على القسطنطينية. أما القسم الثاني فقد تناول الأحداث من ١٤٥٤ - ١٤٥٧ م، وسجل الأحداث الخاصة بالحملات التركية على إينوس Enos والحرب ضد إقليم تريبالى Triballi وهو الصرب حالياً وهزيمة السلطان وتخليص من وقع في أيدي الأتراك، والاستيلاء على جزيرتى ليسموس Limnos، وثاسوس Thasos. وهجوم أسطول بحرى إيطالى سيره اليابا على بحر إيجه خاصة جزيرة ثاموسراكا Thamothraca.

أما الفصل الثالث فقد تضمن الأحداث من ١٤٥٨ - ١٤٦٠ م. وتكلم المؤرخ عن الحرب ضد إقليم البلويز Peloponnes أى بلاد اليونان حالياً والغزوة الأولى والثانية للسلطان محمد الثانى وهزيمة الإقليم وأسر سكانه وبعض الأحداث الأخرى مثل وصول السلطان إلى مدينة أدرنة وقيامه ببعض التنظيمات. وفيما يتعلق بالقسم الرابع الذى أحتوى الأحداث من ١٤٦١ - ١٤٦٣ م، فقد سجل المؤرخ استسلام مدينتى طرابيزون وسينوب للأتراك العثمانيين، وثورة الولاخين Vlachs أو الجيشى Getae، والقضاء على ثورتهم وأسرهم، والسيطرة على كل جزيرة ليبوس. وأول تدخل للسلطان فى إقليم البوسنة والاستيلاء عليه، وبعض الشئون الداخلية. وجاء الجزء الخامس لسجل الأحداث من ١٤٦٤ - ١٤٦٧ م. وكتب عن حروب السلطان مع البنادقة، الحملة العسكرية الثانية ضد البرسنة، والحملة الأولى والثانية على إقليم

التيهيا Illyrians وهى البانيا حالياً وكيف أخضع السلطان هذا الإقليم وقيامه ببناء بعض القلاع.

- جورج سقرانتزس :

ولد المؤرخ جورج سقرانتزس George Sphrantzes فى عام ١٤٠١ م وكانت وفاته بعد عام ١٤٧٧ م. وهو أحد رجال بلاط الامبراطورية ولعب دوراً كبيراً فى الدبلوماسية البيزنطية وخدم كسفيراً لعدة أباطرة، وفى ختام حياته أعد حورية عرفت باسم الحورية الصغرى Chronicon Minus، وهى بمثابة يوميات سجلها المؤرخ كشاهد عيان. وقد امتدت الحورية من ١٤١٣ حتى عام ١٤٧٧ م.

وقد جاءت المعلومات الخاصة بسقوط القسطنطينية، وهى ما تهمنى فى هذه الصفحات موزجة جداً، ومن ذلك أن المؤرخ يقول فى أقل من ثلاثة أسطر أن السلطان ويقصد به محمد الفاتح إستولى فى السادس والعشرين من مارس عام ٦٩٦٠ (١٤٥٢ م) على المضيق بتقصد مضيق البسفور من أجل إقامة قلعة والمقصود قلعة روملى حصار. ويقول فى موضع آخر أنه فى يوم الثلاثاء الموافق التاسع والعشرين من مايو (١٤٥٣ م)، وفى الصباح الباكر استولى السلطان على المدينة أى القسطنطينية، وأن الامبراطور قسطنطين قد قتل، وأنه أى المؤرخ لم يكن فى هذا المكان طبقاً لتعليقات الإمبراطور، وأن الإمبراطور عاش لمدة تسع وأربعين سنة، وتسعة أشهر وعشرين يوماً، وأن حكمه امتد أربع سنوات وأربعة شهور، وأربعة وعشرين يوماً. كما تكلم المؤرخ عن وقوعه فى أسر الأتراك العثمانيين، وتم تحريريه فى الأول من سبتمبر عام ١٤٥٣ مقابل الفدية، وكذلك تحدث عن أسر زوجته وأولاده. ويعتبر أهم ما سجله المؤرخ هو عدم قيام الممالك المسيحية الأوربية بتقديم أية مساعدة للامبراطورية البيزنطية فى هذه المرحلة، وكيف سارعت دولة المجر وأرسلت سفيراً إلى السلطان العثمانى لعقد معاهدة سلام. وسجل طلب دولة قشتالة فى



الحصول على جزيرة لينوس لتستعد لمهاجمة الأتراك عن طريق البحر في الوقت المناسب.

- نيقولو باربارو -

ولد نيقولو باربارو Nicolo Barbaro في عام ١٤٠٠م، وهو ينحدر من أسرة نبيلة من مدينة البندقية. وكان هذا المؤرخ طبيباً جراحاً محترفاً، وكان شاهد عيان على الأحداث الخاصة بسقوط مدينة القسطنطينية في عام ١٤٥٣م، ويرجع اشتراكه في هذه الأحداث إلى القوانين البحرية التي تقضى بوجود طبيب على متن كل سفينة تبحر في البحر المتوسط. والحقيقة أن ما كتبه هذا المؤرخ جاء في صورة يوميات ومن ذلك بقول المؤرخ على سبيل المثال وفي اليوم الخامس من أبريل عام ١٤٥٣م وبعد ساعة من طلوع الشمس جاء محمد بك ويقصد به السلطان محمد الفاتح إلى القسطنطينية ومعه حوالي مائة وستين ألف رجل، وعسكر على مسافة ميلين ونصف من أسوار المدينة وهكذا في اليوم السادس والسابع من الشهر نفسه. ويلاحظ أن هذا المؤرخ كان يركز على أعمال الأسطول البندقي الذي شارك في الدفاع عن المدينة، كما تكلم أيضاً عن ما قام به البيزنطيون والجنود، ويلاحظ أيضاً التركيز على المعارك البحرية أكثر من غيرها.

وقد سجل نيقولا الأحداث أولاً بأول، وقام بتدوين الأحداث منذ الثاني من مارس عام ١٤٥٢ حتى التاسع والعشرين من مايو عام ١٤٥٣م أي حوالي خمسة عشر شهراً، ولما كان نيقولا لم يعمل إلى مسرح الأحداث إلا في سبتمبر ١٤٥٢م، فبذلك يكون قد نقل عن شهود العيان الأحداث السابقة لذلك، وقد جاء ذلك في بعض معلومات بسيطة، أما ما سجله المؤرخ بعد وصوله إلى منطقة المعارك العسكرية فقد جاء بالتفصيل. وقد سجل المؤرخ الأحداث في حينها، وبعد سقوط العاصمة البيزنطية هربت السفينة التي كان عليها وعادت إلى البندقية عاد صباغة يومياته. ومن الملاحظ أن المؤرخ لم يكن مؤرخاً بطبيعته لذلك قدم الأحداث كما شاهدها دون تعليق أو تحليل أو مقارنة.

والمطلع على هذه اليوميات يلاحظ الخطر الذي شعر به المؤرخ من الغزو العثماني بدليل اشتراك البنادقة والجنوديين بالإضافة إلى البيزنطيين في الدفاع عن المدينة، كما يلاحظ شدة كره المؤرخ للسلطان العثماني وأنه وصفه بالوثني أو الكافر في بعض الأحيان في حين وصف الجنود الأتراك بأنهم كالأسود. كما يلاحظ قيام المؤرخ بذكر بيان عن سفن البندقية التي شاركت في المعارك وحصولها بالإضافة إلى ذكر قوائم بالقادة والمجاريين البنادقة الذين شاركوا في الأحداث. وأنه كان يوجد بعض القادة الأتراك في صفوف القنرات البيزنطية، والحقيقة أن ما قدمه المؤرخ نيقولا يعتبر من أفضل كافة الكتابات التي أرخت لأحداث سقوط القسطنطينية. والشكر الجزيل للدكتور حاتم عبد الرحمن الطعاوي بكلية الآداب جامعة الزقازيق على الجهد الكبير الذي بذله في ترجمة ودراسة هذه اليوميات في الكتاب الصادر عام ٢٠٠٢م عن عين للدراسات والبحوث وإنسانية والاجتماعية.

وفي ختام الحديث عن المصادر الأوربية والصليبية والبيزنطية التي اخترتها، أود الإشارة إلى أن هناك مصادر روسية وجورجية وأرمينية وقشتالية ومغولية وتورمانية لم يتسنى هذا الكتاب لذكرها وأنني أترك هذا الموضوع للزمن ربما أمكنني الكتابة عنها أو يتولى أحد المهتمين بمصادر العصور الوسطى الكتابة عنها. كما أتوجه بعظيم الشكر والتقدير لكل من ساهم في عقل الكتابات التاريخية من المؤرخين المعثرين خاصة في العصور الوسطى، سواء أكانت هذه المساهمة بكتاب أو بحث في مصر أو العالم العربي أو في المؤتمرات الدولية، وكذلك كل من ترجم مصدراً تاريخياً أو كتاب حديث عن لغة ليست عربية.

وهناك نقطة هامة حول المصادر، وهي المصادر العربية ولا يتسع المقام هنا لذكرها، وعلى الطالب أن يبحث عنها ويتعامل معها في الزمن المناسب للأحداث سواء في الحروب الصليبية أو مع العلاقات الإسلامية البيزنطية أو مع أوروبا العصور الوسطى أو في بلاد الاندلس. هذا بالإضافة إلى كتب الرحالة في الشرق والغرب.



## أهم المصادر



- Arnald of Le Mans**  
The Deeds of Bishop Arnald of Le Mans and The Mans Commune 1065-1081 Trans Richard Barton, 1998
- Bede,**  
A History of The English Church and People, Penguin, 1975
- Chronicle of the Counts of Arijou,**  
C 1100 From Louis Halphen and René Poupardin,  
Paris, 1913
- Ekkehard of Aura**  
Chronicon Universale, A German trans Pflüger Leipzig, 1893
- Berthold of Reichenau**  
Chronicle, in P.L., CXLVII, pp 314-442.
- Einhard and Notker The Stammerer,**  
Two Lives of Charlemagne, Penguin, 1974.
- Flodoard (Frodoard)**  
Annales, Trans. Academy of Reims, Reims, 1854-55, 3 Vols.
- Gregory of Tours,**  
The History of The Franks, Penguin, 1974.
- Gildas**  
De Excidia Britannae Liber Querulus, Two Manuscripts in  
Cambridge University Library.
- Herman of Altach**  
Annales Hermanni, in Mon. Germ. XVII, 351-427
- Hincmar**  
Annales, in P.L., CXXV-CXXVI.
- Isidore of Seville**  
All The Works of Isidor in Patrologia Latina LXXXI-LXXXIV
- Jocelin of Brakelond,**  
The Chronicle of Jocelin of Brakelond of St. Edmundsburg,  
(1173-1202), trans. L.C. Jane, London, 1907.
- Lambert of Hersfeld**  
Annales Lamberti, in Mon. Germ. Script. III, pp. 22-263
- Matthias of Neuburg**  
Chronica, Berne, 1866.



- Anonymous Chronicle**  
(ed. A. S. Tritton with English trans.) in 'First and Second Crusades from an anonymous Syriac Chronicle', in *Journal of the Royal Asiatic Society*. London, 1933.
- Anonymous Chronicle**  
(ed. With Latin trans. By I. Guidi), in C.S.C.O. *Scriptores Syriaci*, III, vol. IV. (Quoted as Anon. Guidi).
- Bar Hebraeus, Gregory,**  
called Abu'l Faraj. *Chronography*. Part I, *Political History* (ed. With English trans. By E.A.W. Budge), 2 vols. Oxford 1912, Parts II and III, *Ecclesiastical History* (ed. With Latin trans. by J.B. Abbeloss and T.J. Lamy), 2 vols. Louvain 1872-7, (Extracts in Assemani, *Biblioteca Orientalis*, vol. II).
- Doctor Basil,**  
*Oraison Funebre de Baudouin, Comte de Kéçoun et de Marasch*, C.F., R.H.C. Doc. Ar., I,
- Grégoire le Pretre,**  
*Chronique de le Grégoire le Pretre*, Cf. R.H.C. Ar. Vol. I, pp.151-201.
- Guiragos de Kantzag,**  
*Histoire d' Armenie*, extrait, Cf. R.H.C Doc. Arm., I, pp. 413-430 Hethoum, Comte de Gorigos.  
*Table Chronologique*, Cf. R.H.C Doc. Arm., I, pp.1-180.
- Michael The Syrian**  
*Chronicle* (ed. With French trans. By J.B., Chabot, IV vols. Paris 1899-1910.
- Saint Nerses,**  
*Elegie Sur La Prise d'Edesse Par Eman ein Zankui* Cf. R.H.C Doc. Arm., I, pp. 226-307.
- Saint Nerses de Lampron,**  
*Extraits de Son Oubrage*, Cf. R.H.C Doc. Arm., I, pp. 557-603.
- Samuel d'Ani,**  
*Chronographie*, extrait, Cf. R.H.C Doc. Arm., I, pp. 447-468.
- Sempad, Le Conetable,**  
*Chronique du royaume de la Petite Armenie*, extrait, Cf. R.H.C Doc. Arm., I, pp. 610.

- Matthew Paris**  
*English History*, trans. J.A. Giles, 2 Vols London, 1852-3
- Matthew of Westminster**  
*The Flowers of History*, trans. C.D. Yonge, 2 Vols. London 1853.
- Nennius**  
*Historia Brittonum*, trans. John Allan Giles, London 1891
- Paul the Deacon**  
*History of The longobards*, trans. F.W. Foulke, Philadelphia 1907, repr. 1974 which includes *Pauli Continuatio Tertia*.
- Roger of Hoveden,**  
*The Annals of Roger of Hoveden*, trans. Henry T. Riley 2 Vols., London, 1853.
- Roger of Wendover,**  
*Flower of History*, trans. Giles, J.A. 2 Vols London, 1949
- Sugar, Abbot of Saint Denis**  
*The Deeds of Louis The Fat* Trans. Richard Cusimano and John Moorhead, Washington, 1992.
- Thangmar,**  
*Vita Bernwardi*, in *Mon. Germ.* IV pp 757-782
- Thegan (Degan) of Treves**  
*Chronicle*, tran. Into German by Jaarmund, Berlin, 1850 and by Wattenbach, Leipzig, 1889
- Thomas Walsingham**  
*Chronicon Angliae*, in *Rolls Series* 1874
- Victor of Tunnuna**  
*Chronicle*, P.L., LXXII, pp 859-70
- Widukind of Corvey**  
*Res Gestae Saxonicae Sive Annalium Libri Tres*. *Mon. Germ. Hist. Scriptores*, III, pp.416-67 and in *Scriptores rerum Germanicarum*, Hanover, 1882.
- William of Nangle**  
*Historiae Francorum: Scriptores Coetanei* 5 vols. Paris
- William of Newburgh**  
*The History of English Affairs*, trans. P.G. Walsh and M.J. Kennedy. Warminster, Wiltshire: Aris, 1988.



## مجموعات عن معظم المصادر الصليبية

**R.H.C. = Recueil des historiens des Croisades**  
*Recueil des historiens des Croisades*, (Paris, Imprimerie royale, 1841-1906), 16 Vols  
 Historiens occidentaux, t. 1-5, 1844-95 --  
 Historiens orientaux, t. 1-5, 1872-1906 --  
 Documents arméniens, t. 1-2, 1869-1906  
 Historiens grecs, t. 1-2, 1875-81  
 Lois Assises de Jerusalem, t. 1-2, 1841-43

## مجموعة من مصادر الحملات

**A.C. Krey,**  
*The First Crusade: The Accounts of Eye-Witnesses and Participants*, (Princeton NJ: Princeton University Press, 1921, rep. Gloucester MA: P. Smith 1958)  
 Dana C. Munro, "Urban and the Crusaders", *Translations and Reprints from the Original Sources of European History*, Vol. 1.2, (Philadelphia: University of Pennsylvania, 1895)  
 مصادر عن الحملة الأولى

## Fulcher of Chartres

Latin  
 English trans. Martha E. McGinty, *Fulcher of Chartres: Chronicle of the First Crusade*, (London: Oxford University Press; Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1941)  
 English trans. Frances R. Ryan, and H.S. Fink, *Fulcher of Chartres: A History of the Expedition to Jerusalem, 1095-1127*, (Knoxville: University of Tennessee Press, 1969)

## Gesta Francorum

*Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum*  
 English trans.  
*The first crusade, The deeds of the Franks and other Jerusalemites; "Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum"*, translated into English for the first time by Somerset de Chair, (London: The Golden Cockerel Press, 1945)  
*The deeds of the Franks and the other pilgrims to Jerusalem.*

**Vahram d'Eddesse,**  
*Chronique Rimes des Rois de la Petite Arménie*, Cf R.H.C.  
 Doc. Arm., I, pp. 493-535

## بعض المصادر المتنوعة

**Bar Sauma**  
*The History of the Life and Travels of Rabban*  
 Sir E. A. Wallis Budge, KT. London, 1928  
**Bernat Desclot,**  
*Chronicle of the Reign of King Pedro III of Aragon 1276-1282*,  
 trans. F. L. Chitchlow, Princeton, 1928  
**Chronicle of Novgorod (1016-1471)**  
 Trans. Robert Mitchell and Nevill Forges, London, 1914  
**Daniel, The Russian Abbot,**  
*The Pilgrimage in the Holy Land (1106-1107)*, (annotated by  
 C. W. Wilson) in the Palestine Pilgrim's Text Society, vol. IV,  
 London, 1888  
**Joseph ben Joshua ben Meir,**  
*Chronicle* (trans. From Hebrew by C. H. F. Bialablotzky) 2 vols  
 London, 1834-1836  
**Ramon Muntaner**  
*Chronicle*, trans. Lady Goodenough, Cambridge, Ontario, 2000



Christopher Mierow, (New York: Columbia University Press, 1928)

الحملة الثالثة

Richard of Devizes

*Chronicles of the Crusades: being contemporary narratives of the crusade of Richard Coeur de Lion /* by Richard of Devizes and Geoffrey de Vinsauf, and of the crusade of St. Louis, by Lord John de Joinville, (London, H. G. Bohn, 1848, reissued New York: AMS, 1969)

Ernoul:

*Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier* (ed. Mas Latrie, Paris, 1871).

Estoire d'Eracles,

R.H.C. Occ. Vols. I and II

Rigord

Deeds of Philip Augustus, in *Readings in European History*, by James Harvey Robinson, Boston, 1904

الحملة الرابعة

Collection - Old French Chronicles

English trans.

Three Old French chronicles of the crusades: the History of the holy war, the History of them that took Constantinople, the Chronicle of Reims. Trans. Edward Noble Stone, (Seattle, Wash.: The University of Washington, 1939)

[Ambroise, fl. ca. 1196. *Histoire de la guerre sainte*. Clari, Robert de, 12th/13th cent. *Conquete de Constantinople*. *Recits d'un menestrel de Reims*]

Villehardouin, Geoffroi de, d. ca. 1212

French

*The Conquest of Constantinople*

*La conquete de Constantinople*, Editee et traduite par Edmond Faral, (Paris, Societe d'edition "Les Belles lettres", 1938-)

Coulet, Noel, *Ceux qui conquirent Constantinople: recits de la quatrieme Croisade*, (Paris: Union general d'editions, 1966)

English trans.

Shaw, Margaret R. B. (Margaret Renee Bryers), *Chronicles of the Crusades*, (Baltimore: Penguin Books, [1963])

trans. Rosalind Hill, Latin text and English translation, (London: New York: T. Nelson, 1962)

Ordericus Vitalis

1075-1143?

*Histoire ecclesiasticae libri*  
Latin

*The ecclesiastical history of England and Normandy*, trans. Thomas Forester, 4 vols. (London, H. G. Bohn, 1853-56, reissued New York: AMS, 1968).

[Translation was made from the edition of Auguste Le Prevost, Paris, 1838-55]

*The ecclesiastical history of Orderic Vitalis*, edited and translated with introduction and notes by Marjorie Chibnall, (Oxford, Clarendon Press, 1969-1980)

Raimundus de Agiles (Raymond D'Aguilers)

*Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem* [by] Raymond D'Aguilers, trans. John Hugh Hill and Laurita L. Hill, (Philadelphia: American Philosophical Society, 1968)

Petrus Tudebodus (Peter Tudebode)

*Historia de Hierosolymitano itinere* [by] Peter Tudebode, trans. John Hugh Hill and Laurita L. Hill, (Philadelphia: American Philosophical Society, 1974)

William of Tyre

*A History of Deeds Done Beyond the Sea*, trans. Emily A. Babcock and A. C. Krey, (New York: Columbia University Press, 1943)

الحملة الثانية

Odo de Deuil, Abbot of Saint Denis, d. ca. 1162

*De profectione Ludovici VII in orientem*, ed. with an English translation, by Virginia Gingerick Berry, (New York, Columbia Univ. Press, 1948)

Otto I, Bishop of Freising, d. 1158

*The deeds of Frederick Barbarossa*, by Otto of Freising and his continuator, Rahewin, translated and annotated with an introd. by Charles Christopher Mierow (with the collaboration of Richard Emery), (New York: Columbia University Press, 1953)

*The two cities; a chronicle of universal history to the year 1146 A.D.*, by Otto, Bishop of Freising, trans. Charles



Jean de Joinville

c 1224-c1317

*Life of St. Louis.*

*Histoire de saint Louis* [Ed. revue et présentée par Régine Pernoud (Paris: Club des libraires de France [1960])

English trans.

*Chronicles of the Crusades: being contemporary narratives of the crusade of Richard Coeur de Lion / by Richard of Devizes and Geoffrey de Vinsauf; and of the crusade of St. Louis, by Lord John de Joinville.* (London: H. G. Bohn, 1848)

*Chronicles of the crusades, by Villehardouin & De Joinville,* translated by Sir Frank Marzials, (London, Dent, New York, Dutton [introd. 1908])

*The history of Saint Louis,* translated from the French text edited by Natalis de Wailly, by Joan Evans, (Newtown, Montgomeryshire [Wales]: Gregynog Press, 1937)

*The life of St. Louis,* translated by René Hague from the text edited by Natalis de Wailly, (New York: Sheed and Ward, 1955)

Shaw, Margaret R. B. (Margaret Renee Bryers), *Chronicles of the Crusades*, (Baltimore: Penguin Books, [1963])

OTHER CRUSADE SOURCES

Assizes of Romania

*Liber consuetudinum Imperii Romaniae. Feudal institutions as revealed in the Assizes of Romania, the law code of Frankish Greece: translation of the text of the Assizes with a commentary on feudal institutions in Greece and in medieval Europe,* by Peter W. Topping, (New York: AMS Press, [1980] c1949.) Series title: University of Pennsylvania. Dept. of History Translations and reprints from the original sources of history; ser. 3, v. 3.

*Chronicles of the crusades, by Villehardouin & De Joinville,* translated by Sir Frank Marzials, (London, Dent, New York, Dutton [introd. 1908])

Available on the Internet at  
<http://www.fordham.edu/halsall/sbook.html>

Robert de Clari, fl 1200-1216.

*The Conquest of Constantinople*

*La conquête de Constantinople*, ed. par Philippe Lauer, (Paris, E. Champion, 1956)

*La Conquête de Constantinople.* Traduction par Pierre Charlot, (Paris, E. de Boccard, 1939)

Coulet, Noël, *Ceux qui conquièrent Constantinople: récits de la quatrième Croisade.* (Paris: Union général d'éditions, 1966)

English trans.

*The Conquest of Constantinople*, trans. E. H. McNeal, (New York: Columbia University Press, 1936)

*Three Old French chronicles of the crusades: the History of the holy war, the History of them that took Constantinople, the Chronicle of Reims.* Trans. Edward Noble Stone, (Seattle, Wash.: The University of Washington, 1939)

Italian trans.

*La conquista di Costantinopoli (1198-1216)* [di] Roberto di Clari. Studio critico, traduzione e note, by Anna Maria Nada Patrone, (Genova, 1972)

Jacques de Vitry

ca. 1170-1240.

1- *The history of Jerusalem. A.D. 1180*, trans. Aubrey Stewart, (London, 1896 [1893?])

2- *Letters de Jacques de Vitry*, Leiden, 1960.

Oliver of Padernborn

*The Capture of Damietta*, trans. John J. Cavigan, Philadelphia 1948.



**Procopius**

*History of the Wars, Secret History and Building*, trans. ed. And abridged Averil Cameron, Great Histories Series, (New York 1967)

**Evagrius**

*Ecclesiastical History*, ed J. Bidez and L. Parmentier, (London 1898, reprinted Amsterdam 1964)

**Theophanes of Byzantium**

[fragments] in C. Muller, *Fragmenta Historicorum Graecorum* IV, pp 270-71 and in Photios, *Bibliotheca*, ed R. Henry, Vol 2, (Paris 1959), pp 76-79

**Nikephoros,**

*Short history, ; text, translation, and commentary*, Corpus fontium historiae Byzantinae ; v. 13 by Cyril Mango, (Washington, D.C. Dumbarton Oaks, 1990)

**Theophanes the Confessor**

*Chronographia*, trans Harry Turtledove, (Philadelphia University of Pennsylvania Press, 1982)

**Theophanes Continuatus**

*Chronographia*, [Book 5 written by Constantine VII Porphyrogenitos] ed. Immanuel Bekker, Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, (Berlin 1838)

**George Monachos,**

*Chronicle*, ed. C. de Boor, (Leipzig: 1905).

**Joseph Genesios**

["Official" account of Michael III and Basil I]  
ed. C. Lachmon, Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, (Bonn: 1828)

**Nicholast I (Mysticus)**

Letters of Nicholas I Patriarch of Constantinople, tran R. J.H. Jenkins and L.G. Westering, Washington, 1973

أهم المصادر البيزنطية مرتبة حسب القرون

**Eusebios of Caesarea**

*Ecclesiastical History*, English trans. as *The History of the Church from Christ to Constantine*, by G.A. Williamson, (New York: Penguin, 1965).

**Ammianus Marcellinus**

*Res Gestae*, English translation, J.C. Rolfe, Loeb Classical Library, 3 Vols, (London and New York: 1935-39).

**Zosimos**

*New History*, English translation by Ronald D. Ridley,, Byzantina Australiensia 2, (Canberra: Australian Association for Byzantine Studies, 1982).

**Sozomenos**

*Ekklesiastike historia / Ecclesiastical History*, A history of the church in nine books, from A.D. 324 to A.D. 440, tran Edward Walford, (London: Bagster, 1846)

**Priskos**

*The Age of Attila, Fifth Century Byzantium and the Barbarians*, (Ann Arbor: University of Michigan Press, 1960)

**John Malalas**

*Chronographia, The Chronicle of John Malalas*, trans. Elizabeth Jeffreys, Michael Jeffreys, Roger Scott, et al, Byzantine Australiensia 4, (Melbourne: Australian Association for Byzantine Studies, 1986).

**Theodoret of Cyprus**

*Ecclesiastical History*, ed. L. Parmentier, (Leipzig 1911)



- George Kedrenos**  
*Historiarum Compendium*, ed. Immanuel Bekker, *Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae* 35-36, 2 vols. (Berlin 1838-39)
- Constantine Manassas**  
*Chronicle*, ed. as *Breviarum historiae metricum*, ed. Immanuel Bekker, *Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae*, (Berlin 1837).
- John Zonaras**  
*Epitome historiarum*, ed. M. Pindar and M. Buttner-Wobst, 3 vols, *Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae*, (Berlin 1841-97)
- Anna Komnena**  
*The Alexiad*, English trans. E. A. Dawes, (London 1928)  
 English trans. E. R. A. Sewter, (New York: Penguin, 1969)
- Nicephoras Bryennios**  
*Materials for a History*, ed. as *Histoire* with French trans. by Paul Gautier, *Corpus Fontium Historiae Byzantinae*, Vol. IX, (Brussels 1975)
- John Kinnamos**  
 [Deeds of John and Manuel Comnenus], English trans. Charles M. Brand, (New York: Columbia University Press, 1976).
- Niketas Choniates**  
*O City of Byzantium, Annals of Niketas Choniates*, trans. Harry J. Magoulias, (Detroit: Wayne State University Press, 1984).
- George Akropolites**  
*Chronike Sungraphe*, critical ed. as *Opera*, by A. Heisenberg, (Leipzig 1903).

- Symeon the Logothete**  
*Chronicle*, [ed. T. Tafel, (Munich 1859)], George Monachos Continuatus, and the Chronicle of Leo Grammatikos, [ed. Immanuel Bekker, *Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae*, (Bonn 1842); also Migne PG 108 1037-1164]
- Constantine VII Porphyrogenitos**  
*De Administrando Imperio*, tran. R. J. H. Jenkins, Washington, 1967
- John Kaminatos**  
*De Expugnatione Thessalonicae*, ed., Gertrude Buhlig, *Corpus Fontium Historiae Byzantinae*, Vol. IV, Series Berolinensis, (Berlin: De Gruyter, 1973)
- Leo the Deacon**  
*Historia*, ed., C. B. Hase, *Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae*, (Bonn 1828)
- Michael Psellos**  
*Chronographia*, edited with critical notes and indices by Constantine Sathas 1st AMS ed. (New York: AMS Press, 1979)
- John Skylitzes**  
*Synopsis Historiarum*, ed. Hans Thurn, *Corpus Fontium Historiae Byzantinae*, Vol. V, Series Berolinensis, (Berlin: De Gruyter, 1978)
- Skylitzes Continuatus**  
*Ioannis Scylitzes Continuatus*, ed. E. T. Tsolakes, (Thessalonica 1968)
- Michael Attaliates**  
*Historia*, ed. Immanuel Bekker, *Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae* 34, (Bonn 1853)



## كتب وأبحاث

الأستاذ الدكتور/ محمود سعيد عمران  
أستاذ تاريخ العصور الوسطى - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

### أولاً: الكتب:

- ١- الحملة الصليبية الخامسة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، إسكندرية، ١٩٧٨.
- ٢- إدارة الإمبراطورية البيزنطية ترجمة وتعليق - دار النهضة، بيروت، ١٩٨٠.
- ٣- معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة - بيروت، ١٩٨٠.
- ٤- معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٢.
- ٥- مملكة الوندال في شمال أفريقيا، دار المعارف، إسكندرية، ١٩٨٥.
- ٦- السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، دار المعارف، إسكندرية، ١٩٨٥.
- ٧- القادة الصليبيون الأسرى في أيدي المسلمين، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٦.
- ٨- تاريخ الحروب الصليبية، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٠.
- ٩- حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة، بيروت، ١٩٩١.
- ١٠- تاريخ مصر في العصر البيزنطي، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٩٩٦.
- ١١- أوروبا والمغول، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٩٩٧.
- ١٢- الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة، بيروت، ٢٠٠١.
- ١٣- المغول والأوروبيون والصليبيون وقضية القدس، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ٢٠٠٣.
- ١٤- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة، بيروت، ٢٠٠٦.

ثانياً: بحوث باللغة العربية:

١- أنيقولا مستيقوس وعلاقة الإمبراطورية البيزنطية بالقوى الإسلامية، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٠.

Nikephoras Gregoras

*Correspondance*, ed R. Guillard, Paris, 1927

John Kantakuzenos

*Historiarum*, English partial trans by R. Trone *History I: 1-19* (Ph.D Dissertation, Catholic University of America, 1979)

Nicolo Barbaro

*Diary of The siega of Constantinople 1453* tran J R Jones, New York, 1969

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية انظر:  
حلم عبد الرحمن المحلاوي: الفتح الاسلامي لقسطنطينية يوميات المعاصر للمغالي  
١٤٥٢م القاهرة - عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ٢٠٠٢م.

George Sphrantzes

*Chronicon Mairus*, English trans as *The Fall of the Byzantine Empire*, by Marios Philippides, (Amherst MA University of Massachusetts Press, 1980) [This edition includes a short except on the fall of Constantinople by Michael Melissenos]

Michael Kritovoulos

*History of Mehmed the Conqueror*, trans Charles T Rigg, (Princeton, Princeton UP, 1954)



- ١٢- دور الحركة الصليبية في تكوين مملكة البرتغال، ندوة القدس: القدس والتاريخ - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٢ - ٢٥ أبريل ١٩٩١.
- ١٣- حولية سقوط لشبونة ١١٤٧م، ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى كلية الآداب، الرباط ٢ - ٤، نوفمبر ١٩٩٤، نشر ١٩٩٥.
- ١٤- السلطان قلاوون بين أوروبا والمغول، بحث ألقى في ندوة مدينة طرابلس لبنان بمناسبة مرور ٧٠٠ عام على بناء الجامع المنصوري ١٧ - ٢١ نوفمبر ١٩٩١.
- ١٥- أروميا وسقوط الإمبراطورية البيزنطية، ندوة تاريخ وحضارة العصور الوسطى - كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ٢٤ - ٢٥ أبريل ١٩٩١.
- ١٦- تحصينات مدينة دمياط في عصر الحروب الصليبية، ندوة التاريخ العسكري لشمال مصر عبر العصور، كلية الآداب، ٨ - ٩ أكتوبر ١٩٩٥.
- ١٧- وليم آدم واستعادة الأراضي المقدسة، ندوة الإطار التاريخي للحركة الصليبية - اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ٢٨ - ٢٩ نوفمبر ١٩٩٥.
- ١٨- القدس في كتب الرحالة الأجانب في العصر البيزنطي، ندوة القدس: التاريخ والحضارة، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ٢ - ٥ نوفمبر ١٩٩٦.
- ١٩- العلاقة بين مغول فارس ومغول القنجاك بعد معركة عين جالوت ١٢٦٠ - ١٢٧٠م، بحث ألقى في ندوة إقليم الخليج على مر عصور التاريخ - اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ٢٣ - ٢٥ نوفمبر ١٩٩٦.
- ٢٠- شارل كونت أنجو بين القسطنطينية وتونس والقدس، بحث ألقى في ندوة بلاد المغرب وعلاقاتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي "الطابع الهجري"، القاهرة ٢٥ - ٢٦ نوفمبر ١٩٩٧.
- ٢١- حصار الصليبيين والقوات الفاطمية لصلاح الدين في مدينة الإسكندرية ٥٦٢هـ، بحث ألقى في ندوة سواحل مصر الشمالية عبر العصور - كلية

- ٢- المؤرخ جريجوري التوري، منشورات جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٩٨٠.
- ٣- الإمبراطورية البيزنطية رومانوس الرابع ديوجينيس ١٠٦٨ - ١٠٧١م في ضوء حولية ميخائيل بملوس، بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ٨٢ / ١٩٨٢.
- ١- أركولف ورحلته إلى الشرق، بحث منشور في ندوة التاريخ الإسلامي والوسط - جامعة عين شمس، المجلد ١٣ دار المعارف، ١٩٨٥.
- ٥- كتابات الرحالة أركولف كمصدر لبلاد الشام في عصر الراشدين، بحث منشور في أعمال المؤتمر الدولي الرابع لبلاد الشام - الأردن عمان، ١٩٨٧.
- ٦- صلاح الدين من الإسكندرية إلى حطين، بحث في المؤتمر الدولي لذكرى مرور ٨٠٠ عام على معركة حطين، بغداد، ١٩٨٧.
- ٧- السفراء والقناصل في عصر الحروب الصليبية، بحث ألقى في الموسم الثقافي لجامعة بيروت العربية - بيروت، ٨٧ / ١٩٨٨.
- ٨- الهدن بين المسلمين والصليبيين في عصر الدولة الأيوبية، بحث ألقى في ندوة العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ٢٠ - ٢٢ أكتوبر ١٩٩٢ كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٢.
- ٩- رحلة الشهيد قبطونيوس إلى بلاد الشام ومصر ٥٦٠ - ٥٧٠م، بحث ألقى في ندوة العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى الثانية، ٣٠ - ١٠ إلى ١ - ١١ - ١٩٩٣، كلية الآداب - جامعة المنيا، ١٩٩٣.
- ١٠- تحصينات مدينة القسطنطينية في مواجهة الغزوات الخارجية، بحث ألقى في ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحر - اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ٦ - ٨ نوفمبر ١٩٩٣.
- ١١- مصر في كتب الرحالة الأجانب في العصر البيزنطي، بحث ألقى في مؤتمر الإسكندرية الدولي حول التبادل الحضاري بين شعوب حوض البحر المتوسط عبر التاريخ ٢٢ - ٢٦ يناير ١٩٩٤.



ثالثاً: كتب باللغة الإنجليزية منشورة بالخارج:

*Contributors,*

*Chronicles of the Crusades, Eye - Witness Accounts of the Wars Between Chrestianity and Islam - Edited by Elizabeth Hallam, London 1989.*

رابعاً: بحوث باللغة الأجنبية منشورة بالخارج:

1-King Aamartric and the Siege of Alexandria, in the First Conference of the Crusades and the Latin East, Cardiff 1 - 4 Sep. 1982, Cardiff 1985, UK.

2-Truces between Moslems and Crusaders (1174 - 1217) in Autour de la premiere Croisade. Actes du Colloque de la "society for the Study of the Crusades and the Latin East" (Clermont - Ferand 22 - 25 Juin 1995 France). Reunis par Nichel Balard, publication de la Sorbonne, Paris 1996.

3-John Kinnamos As a Historian of the Second Crusade. In the International. Symposium on Crusade 23- 25 June 1997. Istanbul. Turkey.

4-Edward I King of England and the Holy Land (Jerusalem) In the 35 th Innternational Congress of Asian and North African studies, 2 - 21 July 1977. Budapest - Hungaria.

5-Grigor of Akanc as a Historian for the Moslem Nations. In The International Medieval Congress, 9 - 12 July 2001, University of Leeds. UK.,

6-Hohenstaufen and Their Arab Subjects and Moslems Against Excommunication. In The International Medieval Congress, 8 - 11 July 2002, University of Leeds, UK.

الآداب - جامعة الإسكندرية بالاشتراك مع المجلس الأعلى للثقافة ٢٢ - ٢٣ أبريل ١٩٩٨.

٢٢-الحركة الفكرية في الإسكندرية في القرون الأولى للمسيحية، مشاركة في الكتاب الذي أصدرته محافظة الإسكندرية (د.ت.).

٢٣-المراقل الحضارية في مصر والشام في القرون المسيحية الأولى، بحث ألقى في المؤتمر الدولي الثالث (التبادل الثقافي بين شعوب البحر المتوسط) - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية بالاشتراك مع وزارة الثقافة ١٢ - ١٥ أغسطس ١٩٩٨.

٢٤-العرب في مدونة المؤرخ السرياني زكريا الملتيني، بحث ألقى في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة تحت اسم "أضواء جديدة على مصادر تاريخ العرب" ٢٤ - ٢٦ نوفمبر ١٩٩٨.

٢٥-أفكار بيير دو بوا لاستعادة الأراضي المقدسة - مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنسي ١٩١ - ١٩٠ هـ - جامعة البرموك - كلية الآداب إربد - الأردن من ٨ - ١٠ نوفمبر ١٩٩٩.

٢٦-فشل الحروب الصليبية وأثره على الفكر الأوربي - مؤتمر التبادل الحضاري بين شعوب حوض البحر المتوسط - من ١١/٢٩ إلى ١٢/١ / ١٩٩٩ - جامعة بيروت العربية - كلية الآداب.

٢٧-دور إيمري بطريرك أنطاكية في دعم الحروب الصليبية - مؤتمر "الصليبيون والشرق" - الجمعية التاريخية اللبنانية - من ٢ - ٤ / ١٢ / ١٩٩٩ - بيروت - لبنان.



## حسابات البحث

اعتاد الأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران على عقد حلقة بحث (سبوتار) يوم الأربعاء الأخير من كل شهر في مكتبه بالكلية منذ أكثر من ثلاث عشرة سنة بصفة منتظمة، ويحضر هذا اللقاء جمع من السادة أعضاء هيئة التدريس في تخصص الصور الوسطى، وكذلك المسجلين مع سيادته لدرجة الدكتوراه أو الماجستير وطلاب السنة التمهيدية ومن يرغب من الباحثين في حقل الصور الوسطى أو غيرهم. وفي هذا اللقاء قدم سيادته العديد من النصائح حول المنهج التاريخي والمصادر التاريخية، هذا بالإضافة إلى العديد من البحوث وخاصة القائمة منها على دراسة المصادر التاريخية الأصلية، ونقدم في هذه الصفحات أهم ما تناوله سيادته من بحوث.

١- مصادر المؤرخ الصليبي البرت أف ألكس Albert of Aix .

٢- حولية تولما متسوبتسيس Tovma Metsobetsis ؟ تيمورلك وخلفاؤه حتى عام ١٤٣٨ م.

٣- سجلات المناصب الرفيعة المدنية والعسكرية للإمبراطورية البيزنطية في الشرق حوالي عام ٤٠٠ م. Notitia Dignitatum .

٤- كتابات سالفيان Salvian عن قدام العدالة الضريبية في الإمبراطورية البيزنطية ٤٤٠ م.

٥- خطابان من سوليوس أبوليناريس Sollius Apollinaris .

١- خطاب مؤرخ في ٤٥١ م كتب عن الملك القوطي قيرين ثيودريك الثاني (٤٥٢ - ٤٦٣ م).

٢- خطاب مؤرخ في ٤٦١ م عن الحياة في الريف البيزنطي القالي.

٦- طاعون عام ٥٤٢ م للمؤرخ بروكوبيوس.

- ٧- حولية مرقس الشماس عن بروكيري القزاوي أسقف غزة (٢٤٨ - ٤٢٠ م).
- ٨- حياة الراهبة مكرينا للأسقف جريجوري النيسي Gregory of Nyssa .
- ٩- البابا ليو الأول وأتيل للمؤرخ بروسير Prosper ٤٥٥ م.
- ١٠- مرسوم التسامح الديني من جاليريوس ٣١١ م.
- ١١- مرسوم التسامح الديني الصادر من جاليريوس وقسطنطين ٣١١ - ٣١٣ م.
- ١٢- البطريرك إيمري والدفاع عن الإمبراطور البيزنطي ١٣٩٥ م.
- ١٣- دراسة في حولية المؤرخ البيزنطي ثيوفاتيس ٦٠٢ - ٨١٣ م.
- ١٤- دراسة في حولية المؤرخ البيزنطي يوحنا كيناموس ١١١٩ - ١١٧٦ م.
- ١٥- دراسة في حولية المؤرخ البيزنطي نيكيتاس خونيانس ١١١٩ - ١٢٠٦ م.
- ١٦- دراسة في حولية المؤرخ الصليبي أود أف ديل عن الحملة الصليبية الثانية.
- ١٧- دراسة في حولية المؤرخ إيفاجريوس ٤٣١ - ٥٩٤ م.
- ١٨- اجتياح الفرس لمدينة بيت المقدس طبقاً لرواية أنثيوخس استجراتجوس عام ٦١٤ م.
- ١٩- البطريرك فوتيوس والهجوم الرومي على القسطنطينية عام ٨٦٠ م.
- ٢٠- حولية المؤرخ زوسيموس Zosimus من الاسكندر حتى عهد أركلايوس ٣٩٥ - ٤٠٨ م.
- ٢١- التاريخ "مختصر للمؤرخ البيزنطي نقفور.
- ٢٢- كتاب المراسم للإمبراطور قسطنطين بروكيريوس (٩١٣ - ٩٥٩ م).
- ٢٣- تاريخ القوط للمؤرخ القوطي جورديانس من نشأة القوط حتى ٥٣٦ م.
- ٢٤- تاريخ اللعبارد للمؤرخ بولس الشماس ٥٦٨ - ٧٧٤ م.
- ٢٥- حولية المؤرخ البيزنطي ليو الشماس ٩٥٩ - ٩٧٦ م.



- ٢٦-حولية المؤرخ البيزنطي يوحنا سكليتيز John Skylitzes ٨١١ - ١٠٥٧ م.
- ٢٧-حولية المؤرخ البيزنطي ميخائيل بسلوس Michael Psellus ٩٧٦ - ١٠٧٨ م.
- ٢٨-الحملة الصليبية عام ١٢٨٢ م طبقاً لرواية هنري ثايتون.
- ٢٩-حولية أرنولف، ألف ميلان ٩٢٥ - ١٠٢٧ م.
- ٣٠-حصار مدينة آمد عام ١٠٠٢ م طبقاً لرواية بوسودوا بوشع.
- ٣١-الحرب بين بيزنطة والفرس في القرن السادس الميلادي طبقاً لرواية المؤرخ البيزنطي يوحنا مالالاس John Malalas
- ٣٢-هجمات المسلمين على مدينة سالونيك عام ٩٠٤ م.
- ٣٣-حولية المؤرخ القشتالي رامون مونتانير Ramon Montner ١٢١٧ - ١٢٢٥ م.
- ٣٤-حملة روجر دي فلور Roger de Flor القلاص على الأراضي البيزنطية ١٢٠٢ - ١٢١١ م.
- ٣٥-حصار المعبد الأقصى مصارياً على يد الخليفة عمر بن الخطاب.
- ٣٦-هلاط اتيل Attila ملك الهون في عام ٤٤٨ م للمؤرخ بريسكوس Priscos.
- ٣٧-حولية إيزدور الإشبيلي Isidor of Seville حتى عام ٦١١ م.
- ٣٨-حولية المؤرخ الفلورنسي جيوفاني فيلاني Giovanni Villani من الكتاب الثاني عام ٨٠١ - ١٢٤١ م.
- ٣٩-حولية المؤرخ الفلورنسي ليوناردو برني Leonardo Bruni من الكتاب الأول حتى الرابع ٨٠ - ١٢١١ م.

- ٤٠-حصار مدينة طرسوس عام ٩٦٥ م طبقاً لرواية المؤرخ البيزنطي ليو شماس.
- ٤١-معركة كلديون عام ١٠١٤ م طبقاً لرواية المؤرخ يوحنا سكليتيز.
- ٤٢-غزو بيزنطة لآيطاليا عام ١٠٣٤ - ١٠٤٧ م، طبقاً لما أضيف إلى حولية أمباتوس مارسلينوس.
- ٤٣-الحرب في ضاحية جالاتا شمال القسطنطينية عام ١٢٤٨ م، طبقاً لرواية المؤرخ البيزنطي يوحنا كانتاكوزين John Kantacuzens.
- ٤٤-مسألة الأتراك في الحرب عن خطاب بارثيميو دي جاتو مؤرخ في ١٤٣٨ م.
- ٤٥-من قواتين الإمبراطور جستينان
- ١-الزواج بين الأحرار والعبيد ٥٢٠ م.
- ٢-حماية النساء الأحرار عند الزواج من العبيد ٥٢٠ م.
- ٣-عودة العبيد الأفيين ٥٢٠ م.
- ٤٦-سفارة عربية مجهولة إلى بيزنطة في أواخر القرن العاشر.
- ٤٧-امتيازات بحرية من خايمي الأول ملك أراجون ١٢٢٧ م.
- ٤٨-قواتين برشلونه صادرة في عام ١٢٢٢ م.
- ٤٩-حولية الإمبراطور ألفونسو الثامن ملك قشتالة (١١٢٦ - ١١٥٧) لمؤرخ مجهول.
- ٥٠-حولية الأنجلو سكسونية من ٧٥٥ - ١١٤٠ م.
- ٥١-حياة دانيال الصودي ٤٠٩ - ٤٩٣ م.
- ٥٢-البلبا نيقولا الأول (٨٥٨ - ٨٦٧ م) والمسألة البلغارية.
- ٥٣-خطابات بطريرك القسطنطينية نيقولا مستيفوس مستيفوس (في المرة الثانية) ٩١٢ - ٩٢٥ م إلى سيمون البلغاري.
- ٥٤-حولية نونجورد الروسية.



## إضافات أخرى

عن الأستاذ الدكتور محمود سعيد عروق

- ١- جائزة جامعة الإسكندرية للتشجيع العلمي.
  - ٢- جائزة جامعة الإسكندرية للتميز العلمي للعلوم الإنسانية.
  - ٣- عميد كلية الآداب - جامعة بيروت العربية سابقاً.
  - ٤- عضو جمعية الآثار بالإسكندرية.
  - ٥- عضو الجمعية التاريخية المصرية.
  - ٦- عضو اتحاد المؤرخين العرب.
  - ٧- عضو الجمعية الدولية لدراسات الحروب الصليبية والشرق اللاتيني.
- The Society for the Study of the Crusades and Latin East.
- ٨- عضو الجمعية الدولية لدراسات التاريخ العسكري في العصور الوسطى
- The Society for Medieval Military History
- ٩- مستشار بهيئة تحرير مجلة من ١٩٩٦ - ٢٠٠٣ م.
- Al-Masaq, Islam and The Medieval Mediterranean, Leeds, U. K.
- التي تصدر من قسم دراسات اللغة العربية والشرق الأوسط في جامعة ليستر المملكة المتحدة (إنجلترا).
- ١٠- عضو بهيئة تحرير مجلة Journals التي تصدر من المملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية.
  - ١١- تحكم على مستوى العالم العربي والدولي.
  - ١٢- رئاسة جلسة في مؤتمر دولي.

٥٥- مدونة نروسية ٦٧

- ٥٦- الامتيازات التي منحت لتجار نوفجورد عام ١٢٩٩ م.
- ٥٧- الحرس الفارانجي وبدايات الدولة الروسية والأوكرانية.
- ٥٨- مدونة السفير المغولي رابان سوما عام ١٢٨٧ م.
- ٥٩- حولة المؤرخ الأرمني أريستاكس لاستيفرت Aristakes Lastivertci.
- ٦٠- كنيسة آبا صوفيا كما وصفها المؤرخ بروكوبوس.
- ٦١- تأسيس مدينة موسكو عام ١١٤٧ م، طبقاً للحولية الروسية.
- ٦٢- معركة فونتناي Fonteneay عام ٨١١ م طبقاً لحولية فولدا Fulda.
- ٦٣- غزوات الفايكنج فيما بين ٨٤٣ - ٨٥٩ م طبقاً لحولية القديس برتن st. Bertin



# المحتوى

الصفحة

٥	الفصل الأول
	منهج البحث التاريخي
٧	مقدمة
١١	١- مدخل إلى البحث العلمي التاريخي
١٣	- مفهوم التاريخ
١٤	- الصفات الواجب توافرها في المؤرخ
١٧	- العلم والفن في التاريخ
١٨	٢- المراحل الأولى للبحث التاريخي (العلوم المساعدة)
١٨	اللغات
٢٠	علم المكتبات (البibliوجرافيا)
٢١	الأختام
٢١	الرنوك
٢١	الاقتصاد
٢٢	التقود والمكوكات
٢٣	القنون (الآداب - النعت - التصريح)
٢٣	العمارة والترحال والجغرافيا
٢٥	الحاسب الآلي
٢٥	عوامل نجاح الرسالة
٤٢	٣- جمع العادة التاريخية
٤٢	تعريف المراجع
٤٢	تعريف المصادر

Autour de La Premiere Croisiade Actes du Colloque de la  
"Society for the Study of the Crusades and the Latin East"  
(Clermont - Ferand 22- 25 Juin 1995 France).

١٢- دراسة جلسة في مؤتمر دولي:

The 35 th International Congress of Asian and African  
studies, 2- 12 July 1997, Budapest, Hungaria.

Round Table about The First Crusade and The Fall of -١٤

Jerusalem, in

the Second International Conference on the First Crusade.  
Faculty of

Huesca, 7- 11 Sept., 1999 University of Zaragoza, Spain.



٤٥	المفهوم الفكري لجمع المادة التاريخية
٥٠	كيفية جمع المادة التاريخية
٥٤	تحليل المادة التاريخية
٥٩	المواشي
٦٤	الصور والرسومات والمخطوطات

### الفصل الثاني المصادر المبكرة لميزنطة وأولها العصور الوسطى

٦٥	مقدمة
٦٧	* يوسيبوس القيصري
٧١	* أميانوس مارسلينوس
٧٣	* زوزيموس
٧٤	* يولس أوردوسيس
٧٦	* القديس جيروم
٧٩	* جوردانس
٨٢	* إيفاجيوس
٨٥	* إيدور الإشبيلي
٨٧	* بروكيوس القيصري
٩٠	* فيكتور أف تونونا
٩٣	* جيرومي التوري
١١١	* يولس الشماس

### الفصل الثالث المصادر الأوربية

١١٥	١ - المصادر الكارولنجية والألمانية
١١٧	- رنانق كارولنجية
١١٨	* إينهارد
١١٩	* نيشارد
١٢١	* تيجان أف تريف
١٢٢	* هنكار
١٢٣	* نوتكر المتلشم
١٢٤	* ويدكند أف كورفي
١٢٥	* ليوتبراند أول كرمونا
١٢٦	* تالمجار
١٢٨	* هرمان القعيد
١٢٩	* لامبرت أف هرسفيلد
١٣٠	* برتلود أف ريخناو
١٣١	* إكهارد أف أورا
١٣٢	* أرتو أف فراينج
١٣٣	* هرمان أف التاخ
١٣٦	- قرارات امبراطورية
١٣٧	٢ - المصادر الإنجليزية
١٣٩	* القديس جلداس
١٤١	* بيدو
١٤٣	



١٩٠	* رموند دأجلير
١٩١	* رودلف أف كاين
١٩٢	* أنا كرمينا
١٩٤	* جيبرت أف نوجنت
١٩٦	* بالدريك أف دول
١٩٧	* البرت أف أكس
١٩٨	* وليم الصوري
٢١٥	* خطابات الحملة الثانية
٢١٧	* حوله فرزيبورج
٢١٧	* أودو أف ديل
٢١٩	* خطاب إيمري أف ليسوج وغيره
٢٢١	* ذيل وليم الصوري
٢٢٣	* إرتول
٢٢٥	* هرقل
٢٢٦	* روتلان
٢٢٧	* امبرواز
٢٢٨	* ريتشارد أف ديفيزس
٢٣٠	* جوفري أف فينزوف
٢٣٤	* ريجورد
٢٣٧	* خطاب عن الحملة الألمانية
٢٣٨	* روبرت كلاري
٢٤٠	* جوفري دي فيلهاردوين
٢٤٤	* خطاب من البابا انوسنت الثالث

١٤٥	
١٤٧	* نتيوس
١٤٩	* وليم أف مالمسبري
١٥٢	* المحوليات الأنجلوسكسونية
١٥٥	* وليم أف نيور
١٥٧	* روجر أف هوفدن
١٥٨	* جوسلين أف بريكليوند
١٦٠	* روجر أف وتدفور
١٦٣	* متي الباريسي
١٦٤	* متي أف وشمستر
١٦٧	* توماس والسنهام
١٦٩	* ٣ - المصادر الفرنسية
١٧٠	* فرودورد أوفلودور
١٧١	* حولة كونتات أنجو
١٧٢	* سوجر أف سانت دنيس
	* أرنالد اسقف ليما

## الفصل الرابع

## المصادر الصليبية

١٧٥	
١٧٧	- مقدمة
١٨٠	- خطابات عن الحملة الصليبية الأولى
١٨٥	* غوشيه أف شارتر
١٨٨	* المزرع المجهول



٢٧٨	* جوزيف جنسيوس
٢٧٨	* يوحنا كامينيأتس
٢٧٩	* نيقولا مستيقوس
٢٨٠	* جورج الراهب - موناخوس - هيرتولوس
٢٨١	* سيمون المستشار
٢٨٢	* قسطنطين هروفيروجنييتوس
٢٨٣	* لهر الشماس
٢٨٥	* يوحنا سكلتيزس
٢٨٥	* جورج سدرنوس
٢٨٦	* ميخائيل بسلوس
٢٨٧	* نقفور هرنيرس
٢٨٩	* ميخائيل أنالياتس
٢٩٠	* يوحنا زوناراس
٢٩١	* أنا كرمينا
٢٩٣	* يوحنا كيتاموس
٢٩٦	* نيكيتاس خونياتس
٣٠٢	* يوحنا كانشاكوزين
٣٠٣	* ميخائيل كريتوفولس
٣٠٥	* جورج سفراتزس
٣٠٦	* نيقولا باربارو

### قوائم المصادر

٣١١	* أهم المصادر الأوروبية
٣١٣	* مصادر أرمينية وسريانية

٢٤٥	* مصدر عن حملتي الصبيان
٢٤٥	* أوليفر أف بادنيرون
٢٤٩	* جاك دي فري
٢٥١	* خطاب بطرس أن مورتاجو
٢٥٢	* فيليب أف البني
٢٥٤	* تاريخ بطاركة القدس وغيرهم
٢٥٤	* قرارات مجلس اللاتيران
٢٥٥	* مآثر القبارصة
٢٥٦	* مجموعة رسائل من الحملة السادسة
٢٥٩	* خطاب ولهم شانوف
٢٦٠	* جرانفيل
٢٦٥	* خطابات عن الحملة السابقة
٢٦٦	* قرارات مجمع ليون الثاني ١٢٧٤م
٢٦٧	* ليودلف أف سركيم

### الفصل الخامس

#### المصادر البيزنطية

٢٧١	* يوحنا مالالاس
٢٧١	* أجاثياس
٢٧٢	* يوحنا الأنطاكي
٢٧٣	* ثيوفانس
٢٧٧	* صلة ثيوفانس



## الصفحة

٣١٤

\* بعض المصادر المتنوعة

٣١٥

\* مصادر الحروب الصليبية

٣٢٠

\* المصادر البيزنطية

٣٣٥

\* كتب وأبحاث للمؤلف

١٦١  
١٦٢  
١٦٣  
١٦٤  
١٦٥  
١٦٦  
١٦٧  
١٦٨  
١٦٩  
١٧٠  
١٧١  
١٧٢  
١٧٣  
١٧٤  
١٧٥  
١٧٦  
١٧٧  
١٧٨  
١٧٩  
١٨٠  
١٨١  
١٨٢  
١٨٣  
١٨٤  
١٨٥  
١٨٦  
١٨٧  
١٨٨  
١٨٩  
١٩٠  
١٩١  
١٩٢  
١٩٣  
١٩٤  
١٩٥  
١٩٦  
١٩٧  
١٩٨  
١٩٩  
٢٠٠





The Four Bronze Horses Of St. Mark's In Venice